بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء الأول

ألواح ما بين قبر ومنبر

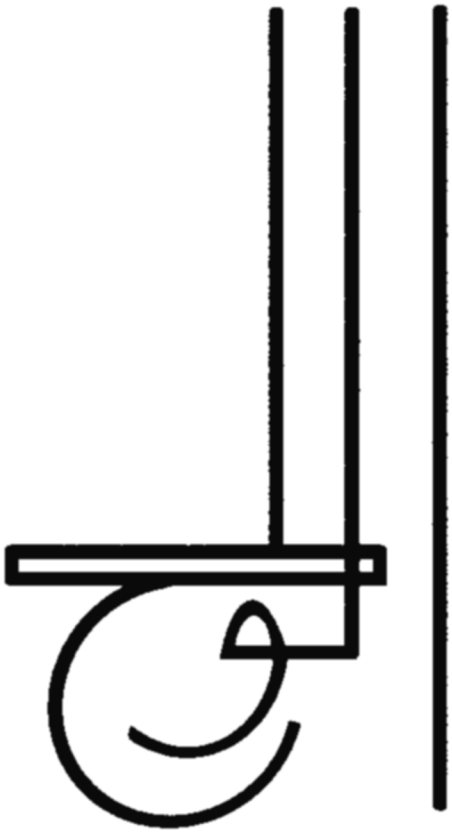

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الأول

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
	مقدمة للسيد علي رافع بعد المراجعة والتوثيق		١٣ مايو ٢٠٢٦ م	1
	ومضات للسالك في ألواح ما بين قبر ومنبر		بدون تاريخ	5
	تقديم من الجمعية الإسلامية الروحية		بدون تاريخ	13
	كلمة		بدون تاريخ	15
1	الاتصال الروحي في عصرنا الحاضر	محاضرة بدار الشبان المسيحيين	٢٧ فبراير ١٩٥٩ م	17
2	واقعية الرسالة الروحية ولتكن منكم أمة خير	محاضرة بدار الجمعية	١٧ نوفمبر ١٩٦٠ م	29
3	قامت الصلاة أزلية دائمة وسطى عارمة		بدون تاريخ	43
4	مقدمة عن الإسلام والمسلمين		بدون تاريخ	47
5	أدب الطلب لله دائم مع كل نفس في الحياة وراء عبده ومصطفاه	حديث الجمعة	١٧ يونيو ١٩٦٠ م	51
6	وحدة الرسالة ودوام الرسول	حديث الجمعة	١١ أبريل ١٩٥٨ م	61
7	سفور الروح لبيك في كل مكان وفي كل زمان وفي كل إنسان	حديث الجمعة	٢٧ يونيو ١٩٥٨ م	71
8	الناس هم الناس يا حسرة على العباد	حديث الجمعة	٤ أبريل ١٩٥٨ م	79

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
9	عوالم الإنس والجن والروح من الإنسان	حديث الجمعة	٣١ يناير ١٩٥٨ م	87
10	عوالم الروح في دين الفطرة ومصدره	حديث الجمعة	٣ يناير ١٩٥٨ م	97
11	لا إله إلا الله حصن الخلاص والنجاة	حديث الجمعة	١٧ يناير ١٩٥٨ م	105
12	عبد الله القائم. وذكر الله الدائم. فهل طلب الناس منه السلام وله الإسلام؟	حديث الجمعة	٢٢ أغسطس ١٩٦٠ م	113
13	الحج عرفة فهل وقف الناس ببابه وعلى عرفاته؟	حديث الجمعة	٣ يونيو ١٩٦٠ م	119
14	الإنسان والأكوان	حديث الجمعة	٨ أبريل ١٩٦٠ م	127
15	صلاة عيد الأضحى المبارك إلى عرفات القلوب	حديث الجمعة	٤ يونيو ١٩٦٠ م	137
16	العقل أصل الدين	حديث الجمعة	١٢ أغسطس ١٩٦٠ م	143
17	الساعة ورسول معناها وقيام وتجديد ذكراها	حديث الجمعة	٣ مايو ١٩٥٨ م	151
18	متى الحساب؟ وما العقاب؟ وكيف الصلاة؟ وأين القبلة؟	حديث الجمعة	٩ مايو ١٩٥٨ م	159
19	دورة الأمور بين السماوات والقبور	حديث الجمعة	٢٧ سبتمبر ١٩٥٧ م	165
20	لا إله إلا الله	حديث الجمعة	١٠ أكتوبر ١٩٥٨ م	177
21	صلاة عيد الأضحى المبارك ما بين قبر ومنبر	حديث الجمعة	١٦ يونيو ١٩٥٩ م	185
22	الموجود والموعود من أمر الله هل صدقنا في طلبه فتابعناه؟ فكنا إياه؟	حديث الجمعة	٢٠ مايو ١٩٦٠ م	193
23	إن قضية آدم وكلماته هي قضية الدين فهل عبَّد الناس أنفسهم لذلك وعن يقين؟	حديث الجمعة	٢٧ مايو ١٩٦٠ م	203
24	(هذا الدين القيم)	حديث الجمعة	٥ فبراير ١٩٦٠ م	213

مقدمة للسيد علي رافع بعد المراجعة والتوثيق

٢٧ ذو القعدة ١٤٤٧ هـ - ١٣ مايو ٢٠٢٦ م

المعنى والمقصد من الألواح

إن "الألواح" كلمة مرادفة للصحف المكتوبة، على غرار قوله تعالى: {إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ}. فهي نصوص تتناول قوانين الحياة على مستويات مختلفة، وقد حُفظت بعناية إلهية. والفكرة الرئيسة هي أن هذه الألواح ليست وحياً أو أمراً إلهياً غيبياً، ولكنها فكر ومعارف ومعانٍ وردت للسيد رافع، فأراد أن يخرجها للناس.

كانت هذه النصوص في أصلها خطبَ جمعة، ثم جُمِعَت في أجزاء أو صحف مكتوبة. وكان السيد رافع يراجعها بعد كتابتها مراراً وتكراراً حتى يرضى عن صورتها النهائية، ثم تركها على هذه الهيئة قبل وفاته.

وقد وجدنا أنه من المفيد مراجعة هذه الألواح على نُسَخها الأصلية، لنطمئن قدر استطاعتنا إلى أن الكلمات المسطورة فيها خالية من أي زيادة أو نقصان أو تغيير، لكن هذا لا يمنع احتمال وجود بعض الأخطاء التي لم نلحظها، فالنص ليس منزَّلاً أو غير قابل للنقد، بل يمكن لمن يرى فيه ما يستدعي النقد أن ينقُدَه، طالما يستند إلى حجة وسند، وقد نتفق مع هذا النقد أو نختلف، فالأمر يرجع إلى فهم كل طرف للنص، مع الإقرار بأن وجود خلاف في بعض النقاط لا ينفي الاتفاق على أمور كثيرة. ونحن نحتفظ بحقنا في الرد على هذا النقد بما نفهمه من المعنى المقصود.

تحتوي هذه الألواح على وجه العموم على مفاهيم كثيرة ربما لم تُطرَق من قبل، ولذلك فهي تمثل النسخة الأصلية لبعض المفاهيم التي عرضها والدي. ونرجو أن يكون لها نفع وأثر إيجابي في فهم المعنى الحقيقي للإسلام والإيمان والإحسان، وللعبادات والمعاملات التي جاء بها الإسلام في صورته التي أُوحِيَت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويُعَدُّ هذا العمل نوعاً من التأمل فيما تلقيناه من الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، فالقرآن الكريم نفسه فيه مما في صحفهما، وهو يرجع في أصوله إلى إبراهيم وموسى، بل وإلى آدم قبلهما. وبما أنه لم تكن هناك وسيلة متاحة لنقل هذه المعرفة عبر العصور، فربما يحمل العمل الذي نقوم به لمسة من تلك اللمسات، ويكون فيه فائدة للقارئ.

إن الدافع الأول لنشر هذا العمل هو نقل علمٍ تلقيناه، نرى أنه قد يكون مفيداً للآخرين. ونحن على استعداد تام لتوضيح أي تساؤل حول هذه المفاهيم، وتبيين ما قد يكتنفها من غموض بقدر فهمنا وعلمنا.

ما معنى "ما بين قبر ومنبر"؟

"الألواح" تمثل فترة ما بين التواجد المادي إلى الانتقال إلى عالم الروح، فالألواح جاءت ما بين قبر ومنبر؛ قبل القبر وبعد المنبر. كلمة "المنبر" ترمز للحياة، و"القبر" إلى الانتقال، فهي فترة بين الحياة والانتقال؛ ما بين انتقال إلى العالم الآخر وحياة على هذه الأرض. المنبر حياة على هذه الأرض، والقبر حياة بعد هذه الأرض، حياة روحية لا تغيب.

الرسالة الأساسية للألواح

لا نستطيع الادعاء بأننا نعرف كل ما أراده السيد رافع، لنقول إن هذا هو ما جاء به وهذا ما يبتغيه من هذه الصحف، لأنه لم يخبرنا مباشرةً بالهدف منها. إنما يرجع الأمر إلى فهمنا نحن لهذه الأحاديث، التي نعتقد أنها قد تضيء الطريق لمن يجدون أحيانًا في الإسلام نقاطًا يصعب عليهم استيعابها أو تقديرها؛ فربما توضح هذه الألواح وما تحويه تلك النقاط.

وبطبيعة الحال، لا ندعي أن الجميع سيوافقون على ما فيها من مفاهيم، فربما تكون هناك اعتراضات. لكننا لا نقول بوجوب التوافق على كل شيء، وإنما هي وجهات نظر ومواضيع تحفز العقول على التفكير أعمق في رسالة الإسلام. هذا هو اعتقادنا، وقد نكون مصيبين أو مخطئين في ذلك، ففي النهاية هي حرية الفكر التي لا يجب أن تُقيَّد بأي شكل من الأشكال، وإنما هي مجرد محاولة لدفع الإنسان إلى التفكير.

وهذا ما نحاول التركيز عليه دائمًا: ألا يُتصوَّر وجود مفهوم واحد للقضايا الجوهرية يجب أن يسود، أو أن هذا هو الحق المطلق وما سواه هو الخطأ المطلق. بل توجد دائمًا مساحات رمادية بين هذا وذاك، وربما يكون هذا الجزء الرمادي في مرحلة ما سببًا في دفع إنسان إلى التفكير بعمق أكبر، ومن ثم يستطيع نقل الأفكار بصورة أوضح.

هذه محاولة منا، قد نكون أصبنا فيها أو أخطأنا. فإن كان فيها من خطأ فهو خطؤنا في المقام الأول، وإن كان فيها من صواب فمرجعه إلى الأحاديث التي أدلى بها السيد رافع في خطب الجمعة وغيرها من المناسبات.

علاقة الألواح بـ "سيلفر برش"

يرتبط اسم "سيلفر برش" بموضوع شائك، وهو قضية الحيوات السابقة وفكرة أن للإنسان أكثر من حياة. وهو مفهوم شائع في ديانات الشرق الأقصى، كالهند واليابان وبلدان أخرى، كما يوجد في بعض الدول الغربية مثل إنجلترا، ويقوم على فكرة أن الإنسان قد يكون له أكثر من وجود على هذه الأرض. وهذا الفكر له من يقبله ومن يرفضه، ولا يعنينا هنا القبول أو الرفض، ولا ندّعي أن هذا هو الحق أو الباطل، وإنما نذكر أن هذا أمرٌ قد حدث ويحدث.

في الدائرة التي كان يقودها السيد رافع، كانت تُعقد جلسات روحية تخاطب فيها الأرواحُ البشر. لذلك، رأى السيد رافع أنه من باب إحقاق الحق أن ينسب الفضل إلى "سيلفر برش"، وهو في حقيقة الأمر روحٌ مرشدٌ. وقد لا يقبل الكثيرون ما سيُذكر الآن، ولكن المفهوم السائد حينها كان أن هذه الروح عاشت في حياة سابقة، أو ما يُعرف بالتناسخ، وتجسدت في شخص من الهنود الحمر في أمريكا. وقد أتت هذه الروح ببعض المعارف الروحية، وهي مسجلة في جلسات الدائرة التي كانت تُعقد في لندن بقيادة هانن سوافر، الذي كان رئيس اتحاد الصحفيين آنذاك في فترة الأربعينيات من القرن العشرين. وكانت هناك مجموعة من المصريين يؤمنون بهذه الفكرة ويتلقون اتصالًا روحيًا من خلال الروح المرشد سيلفر برش، وقد انضمت هذه المجموعة إلى السيد رافع الذي كان يتبنى منهجًا يجمع بين الجانب الإسلامي والإيمان بالروحية.

أما المجموعة الأخرى فكانت تؤمن بالروحية وحدها، بمعزل عن الدين، فحدث انفصال بين المجموعتين. واستمر الاتصال الروحي بين دائرة السيد رافع وسيلفر برش حتى عام 1976، فعلى الرغم من أن السيد رافع قد انتقل عام 1970، إلا أن الوسيط الروحي ظل موجودًا في الدائرة حتى ذلك العام.

ولعل السيد رافع رأى أنه من الصدق في التبليغ الإشارة إلى أن هذه المعاني، أو ما قاله وأدلى به، قد تأثر بهذا الاتصال الروحي. ولذلك رأى أنه من الأمانة ذكر ذلك على غلاف كتاب "الألواح". كما توجد في نهاية بعض الخطب والأحاديث فقرات منسوبة إلى الروح المرشد سيلفر برش، اختارها السيد رافع بنفسه، ونشرت تحت عنوان "أضواء على الطريق". وهذا هو سبب ظهور اسمه. على غلاف أجزاء "ألواح بين قبر ومنبر".

ولهذا السبب، أسس السيد رافع "الجمعية الإسلامية الروحية" في بدايات الخمسينات من القرن العشرين،

لتعبر عن هذا الدمج والتناغم بين الروحية والإسلام. وقد جاء مسمى الجمعية نتيجةً لهذا الارتباط، ففي نظر السيد رافع، الإسلام ذو معنى ممتد لا ينتهي، ويأتي كل يوم بمفهوم جديد وصورة متجددة من التواصل، ومن هذا المنطلق ربط بينهما.

ومضات للسالك في ألواح ما بين قبر ومنبر

مراجعة وتوثيق وتحقيق

لأحاديث السيد الرائد رافع محمد رافع[1]

(١٣ مايو ١٩٠٣/ ١٥ صفر هـ١٣٢١— ٢٤ يوليو ١٩٧٠م /٢٠ جماد أول ١٣٩٠ هـ مصر)

خرجت الألواح في ٢٥ جزءا تضم أحاديث من عام ١٩٥٧ - ١٩٦٨

قام بالمراجعة عدد من أعضاء أسرتنا الروحية

تحت إشراف الابنة عائشة رافع

وبإذن ورعاية الابن المعلم السيد/ علي رافع

محتوى الومضات

- إلقاء بعض الضوء على الطابع الخاص وملامح التراث الذي أهداه السيد رافع للأرض أثناء وجوده عليها وبقي حيا في قلوب محبيه، وسيبقى حيا فيمن يتعرض له يوما ما نورا على نور يستهديه.
- من هو القارئ الذي نتوجه له هذه الأحاديث، أو من يهتم بالبحث عنها؟
- إعطاء نبذة تاريخية عن ميلاد "ألواح ما بين قبر ومنبر".
- تعريف بما قمنا به من خطوات في عملية المراجعة والتوثيق والتحقيق والتنسيق.
- إلقاء الضوء على النهج الخاص للسيد رافع في ذكر النصوص المقدسة، بما يساعد القارئ على التواصل مع هذا النهج غير التقليدي، والتفاعل معه.

١- الومضة الأولى: ما "الألواح"؟ ولمن نتوجه؟

إن كل كلمة في "ألواح ما بين قبر ومنبر" نابعة من تجربة إنسانية، روحية، حياتية، وجدانية، عاشها السيد رافع، وشارك لمحات منها على مدى سنوات عمره على الأرض، مع أبنائه ومريديه، يستقبل من فيضها كلٌ بما هو له أهل، وتبقى كلمات حضرته فوق الإحاطة بكل ما فيها من معان وأنوار ومن حياة.

هي كلمات تتوجه لمن لمعنى الحياة يبحثون.. لمن للعلم والمعرفة عن الحياة يتوقون.. لمن لآيات الله في أنفسهم وفي الكون يتبصرون.. لمن للكلمة الطيبة شجرة يزرعون.. لمن للمصادر المقدسة بقلب حيّ وعقل مفتوح وحرّ يتأملون.. لمن على الأرض هونا يمشون، لا يستكبرون ولا يستعلون.. لمن للسلام داخلهم وحولهم ينشرون.. لمن وجه الله يقصدون ومعه يتعاملون وعنده يحتسبون، في الأخذ والعطاء، في الحزن والفرح، في الصحوة والغفلة، في الصمت والكلام.

هؤلاء هم الذين بقلوب حية، ونفوس صافية، مع تلك الكلمات الحية يتواصلون، ولمعانيها يستقبلون، ويتجددون، ويثمرون، وعلى الحياة يحافظون. وهذا حال عبر عنه السيد رافع بعبارته:

"الكلام الحي يربط بين المتكلم والسامع،

لجمع ما فيهما من حياة، في حياة أكبر،

ليست هي حياة المتكلم، ولا حياة السامع،

ولكن حياة المحيط بالسامع وبالمتكلم.[2] "

٢ - الومضة الثانية: تأمل في نهج السيد رافع في ذكر النصوص المقدسة

٢-١ مقدمة

كان السيد رافع بطبيعته الفطرية ومنذ صباه إنسانا متفكرا متأملا في نفسه وفيما يجري من حوله بعقل حر، وقلب حدّثه منذ طفولته عن علاقته بالله سبحانه وتعالى، ووصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر في مذكراته الخاصة. كان دوما باحثا عن الحقيقة، لا يتبع أي شيء من عقيدة أو فكر دون قبول من عقله أو ارتياح قلبه وروحه، فلم يكن أبدا مقلدا، ولا مرددا لأي كلمات أو نصوص مقدسة، أو مقولات الأولياء والحكماء دون أن يُبحِر في أغوارها ومعانيها، ويتفاعل معها بعمق، فإذا ما ذكرها في أي مجلس، شارك بعضها تلقائيا بما ظل من المعاني التي تولدت في عقله وقلبه، وقبلتها نفسه.

فصارت ألفاظ القرآن، وبعض من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم جزءا من نسيجه الروحي، ولغة حديثه تتدفق بعضها إلى ذاكرته تلقائيا أثناء إلقاء خطب الجمعة، أو الأحاديث مع مريديه، وكذلك الأحاديث العامة، بما يوافق الموضوع الذي يقدمه.

٢-٢ جوهر الومضة

لابد للقارئ لتراث السيد رافع أن يتأمل ما يأتي ذكره من آيات وأحاديث شريفة بقلب نقي طاهر، وعقل مفتوح وصافٍ، ليكون مستعدا لاستقبال معناها ومغزاها في سياق الموضوع أو القضية، أو

الحدث، الذي يُذكَر فيه المقتبس، وألا يقف عند الألفاظ أو المعنى الحرفي المتداول لأي آية كريمة أو حديث شريف.

٣- الومضة الثالثة: نبذة تاريخية عن ميلاد "ألواح ما بين قبر ومنبر"

الألواح تحتوي على خمسة وعشرين جزءا (٢٥)، تم طباعة ستة عشر (١٦) منها أثناء حياة السيد رافع محمد رافع. وبعد انتقاله للرفيق الأعلى عام ١٩٧٠م، قام الابن السيد علي رافع، بالتعاون مع أحد المريدين د. محمد عبد المقصود بمراجعة ونشر التسعة أجزاء (٩) التي كانت مسوداتها الخطية جاهزة ومراجَعة من السيد رافع. لذلك نجد الجزء السابع عشر يبدأ بخطبة الجمعة الأولى التي ألقاها السيد علي رافع، بمقر الجمعية الإسلامية الروحية، 27 من جماد الأول 1390 هـ - 31 يوليو عام 1970م، وتحمل عنوان:

وحي وروح الفطرة لقائم الوجود بالحياة

رافـــــــــع

صاحب وقائم الرتب

معظم الأحاديث في الألواح تتضمن خطب الجمعة والأعياد، فضلا عن عدد قليل من أحاديث أُلقيت في مناسبات خاصة بمقر الجمعية الإسلامية الروحية، أو في أماكن أخرى مثل نقابة المحامين وغيرها، كما هو مسجل في الأحاديث.

كانت خطب وأحاديث السيد رافع تُسجّل صوتيا، ثم تُفرّغ كتابيا بخط يد أحد المريدين، ويراجع السيد رافع المسودة المكتوبة، فيُعيد صياغة بعض الأفكار، ويضيف كلمات أو عبارات، ويضع للحديث عنوانا، ثم يأخذ المريد "الحاج مصطفى القباني" هذه النسخة المنقحة، ويطبعها على الآلة الكاتبة.

و"الحاج مصطفى" كان رجلا بسيطا، ربما لم يكن حظه من التعليم على مستوٍ عالٍ، إلا أنه كان شديد الوفاء في القيام بهذه المهمة. كان يكتب بأصبع واحد على الآلة الكاتبة اليدوية، حيث لم يكن في هذا الوقت أي من الوسائل المتقدمة للكتابة الآلية، ولا حتى الآلة الكهربائية، ومع ذلك كان شديد السرعة والإنجاز، وقد تمكن من قراءة التصويبات التي كان السيد رافع يكتبها بخط يده في كل نسخة.

ولأن السيد رافع كان يعيد قراءة النسخة المطبوعة من جديد، فيضيف كلمات ومعان جديدة، ويشطب بعض الكلمات أو الجمل، وأحيانا يغير أو يطور عنوان الحديث، فكان الحاج مصطفى يعيد

كتابة الخطبة كلها مجددا، ثم يراجعها السيد رافع مرة ثانية أو ثالثة، حتى يجيزها للطباعة على ما يُسمى "إستنسيل"، وتصدر في شكل مجلدات، لتكون متاحة للمريدين.

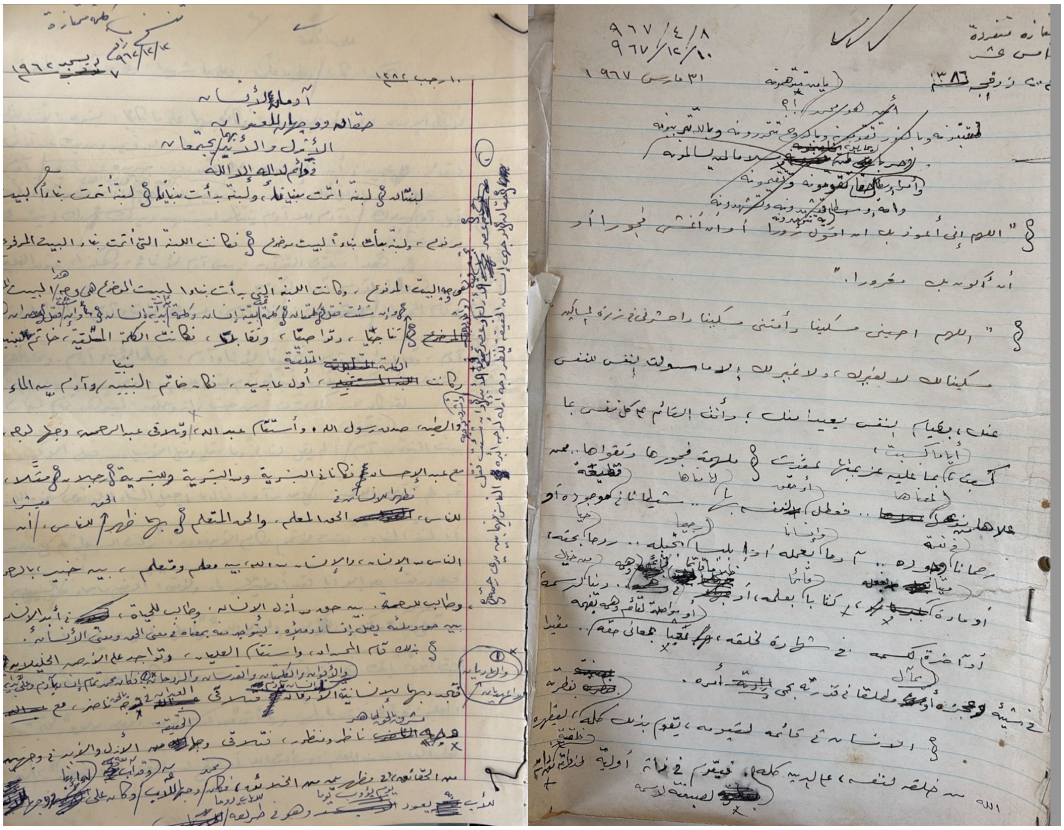

[نموذجان من تصويب النسخة المفرغة بخط اليد]

واستمر هذا المنهج في إخراج ونشر الأجزاء التسعة بعد انتقال السيد رافع ١٩٧٠، فكان "الحاج مصطفى" يكتب الأحاديث كما هي مُراجعة من النسخة الخطية، ثم يراجع السيد علي رافع ود. محمد عد المقصود النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة، ويطبقانها على النسخة الخطية، فيصوب السيد علي بعض الأخطاء ويعيد "الحاج مصطفى" طباعتها على الآلة الكاتبة، ثم تتم طباعة الجزء كله على الإستنسيل، ويتم نشرها.

٤- الومضة الرابعة: عملية التوثيق والتحقيق

تمت عملية التوثيق في الفترة ١٦ سبتمبر عام ٢٠٢٣ إلى ٣ يناير ٢٠٢٦

توضيح واجب: لقد حرصنا بشكل أن تظهر النسخة المراجعة من جانبنا بنفس الصورة التي أُخرجت في وجود السيد رافع، كما تركها والمنشورة في صورة نسخة مصورة (ممسوحة ضوئياً) على موقع الجمعية المصرية للبحوث الروحية والثقافية (esscr.org). أما ما أضفناه -نحن أبناءه- فهو الآتي:

- إضافة تحقيق الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والمقولات المأثورة من مصادر متنوعة. وقد اقتصر التحقيق على المقتبسات المنصصة وفقا للنسخة الأصلية المصورة، وأيضا الرجوع للأصول الخطية المراجعة من السيد رافع.
- تصويب بعض الألفاظ في الآيات القرآنية.
- في حال وجدنا حديثا نبويا شريفا، أو بيت شعر، أو مقولة، أو حكمة مأثورة، مما يذكره السيد رافع باختلاف في الصياغة، احتفظنا بنص السيد رافع، وكتبنا نص الحديث الشريف المذكور في الحاشية السفلية.
- تصحيح الأخطاء الإملائية لبعض الكلمات التي ليس فيها قولان، على سبيل المثال: (أنسان) تصحح "إنسان"، (أسلام) تصحح إسلام، (ايمان) تصحح "إيمان".. وهكذا، وكذلك تصويب القليل جدا من الأخطاء النحوية.
- تصويب بعض الكلمات المكتوبة خطأ في الطباعة، وفقا للرجوع للأصول الورقية بخط اليد والمطبوعة، والمراجعة من السيد رافع بنفسه، ويمكن وصفها بأنها نادرة جدا قياسا للحجم المهول لهذا التراث.
- إضافة أو محو القليل جدا من علامات الترقيم لسلاسة القراءة، دون المساس بالأسلوب الموجود.

٥- الومضة الخامسة: المراحل التي مر بها التوثيق والتحقيق

٥-١ مرحلة النص الرقمي

- تم تحويل النسخة الورقية إلى نسخة مصورة (ممسوحة ضوئيا) وقام بهذا أ. محمود خطاب
- تم تحويل النسخة المصورة إلى نسخة مكتوبة رقمياً وقام بكتابتها أ. رافع السلاموني. وقام بمراجعة الكتابة أ. حسام صالح، أ. محمد علي الشافعي، أ. مصطفى محمود، أ. هالة فتحي

٥-٢ مرحلة مطابقة النص

مطابقة النص المكتوب رقميا على الأجزاء الأصلية المصورة. وقام بهذه المطابقة فريق مكون من: د. وليد فياض، أ. إيمان أبو القاسم.، أ. مرفت محمد عبد الفتاح، أ. عادل حسن، أ. محمد عباس، د. رافع محمد عبد المقصود، أ. علا حمدي إبراهيم، أ. صابر صالح، أ. رافع السلاموني، أ. راحم رافع

السلاموني، أ. أيمن خطاب، أ. محمود عبد اللطيف، أ. رحمة محمود عبد اللطيف، أ. حسام صالح، أ. ميرفت محمد يوسف، أ. نشوى محمد أبو طالب.

٥-3 مرحلة التحقيق والتوثيق

تحقيق وتوثيق كل ما جاء من مقتبسات منصصة، مع الحرص على الالتزام بالتنسيق الذي خرجت به الألواح كما ارتضاها السيد رافع من حيث الاحتفاظ بـــ: تقسيم الفقرات - وضع علامات التشكيل - تنصيص المقتبسات المختلفة. فقط وضعنا قوسين للآيات القرآنية {....}، وتركنا علامة (....) للأحاديث الشريفة، وآيات الإنجيل، والمقولات الصوفية، والحكم المأثورة، فضلا عن عبارات للسيد رافع خاصة به أو استلهاما من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقدسية. فالسيد رافع يذكر عددا كبيرا من الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة بعضها يضع لها علامات تنصيص، وأحيانا ترد هي ذاتها بدون تنصيص، فلم نتدخل في هذا الأمر للاحتفاظ بالشخصية العامة للألواح. كذلك احتفظنا بعلامات الترقيم كما خرجت به الألواح، إلا من النادر جدا من العبارات.

فريق توثيق ومراجعة نصوص الآيات الشريفة: د. سمحاء عادل البلتاجي (بدأت بعض الأجزاء بالبرنامج الإلكتروني الذي صممته ثم وجدنا أن خصوصية ذكر السيد رافع للآيات القرآنية تحتاج للمراجعة البشرية المباشرة) فقام بذلك أ. عاطف الخوانكي (المشرف على الفريق)، أ. محمد عباس، أ. هالة فتحي، أ. راحم رافع السلاموني، أ. صبحي حيدر، أ. نجوى سالم.

فريق توثيق الأحاديث الشريفة والمقتبسات الأخرى: السيدة عائشة رافع وساهمت أ. رحمة محمود عبد الطيف في توثيق جزء من الأحاديث الشريفة.

٥-4 مرحلة التنسيق

التنسيق البصري:

- تم استحداث نظام موحَّد للتنسيق يناسب النشر الرقمي والمطبوع على حدٍّ سواء، بهدف الوصول بمستوى الاتساق إلى معايير المؤلَّفات العلمية والأدبية الحديثة، مع الاستفادة من التقنيات المعاصرة دون المساس بالمحتوى الأصلي.
- تم تحويل جميع مصادر التوثيق إلى تعليقات ختامية في نهاية كل حديث، وذلك للحفاظ على تسلسل المحتوى لدى القارئ دون انقطاع.

التنسيق المعرفي:

تم تحويل كامل المحتوى إلى قاعدة بيانات معرفية يتكوَّن فيها كل حديث من العناصر التالية:

- الجزء
- الرقم
- العنوان: وجد أنه في بعض الأحيان يكون العنوان في الفهرس يختلف بالزيادة أو النقص عن العنوان في نص الحديث. تم أخذ النسخة الأكمل وبهذا أصبح العنوان في الفهرس متطابق مع العنوان في نص الحديث. مثال: عنوان خطبة السيد علي رافع في بداية الجزء السابع عشر لا يذكر أنه للسيد علي في نص الحديث، ولكن الفهرس يوضح ذلك وبالتالي تم أخذ العنوان الأكمل واستخدم في نص الحديث والفهرس.
- النوع (حديث الجمعة، محاضرة، بحث، مقدمة، ...إلخ): والغالبية العظمى من الأحاديث هي أحاديث الجمعة، إلا أنه تم توحيد طريقة التنسيق لجميع الأنواع. وفي حالات قليلة، تم تقسيم العنوان إلى جزئين لفصل النوع عن العنوان دون حذف أو إضافة أي كلمات.
- التاريخ الميلادي والهجري: تم توحيد طريقة كتابة التاريخ، إذ تعدَّدت طرق هجاء الأشهر الميلادية والهجرية في النص الأصلي. كما تمت مراجعة التواريخ وإضافة التصحيح في حالات عدم التوافق بين التاريخ الهجري والميلادي الناتجة في النص الأصلي، مع الإبقاء على التاريخ الأصلي كما ورد دون حذفه.
- قائمة بفقرات الحديث وبداخلها مصادر التوثيق.

وأخيراً تمت كتابة برنامج حاسب آلي لتوليد نسختين مراجعتين وموثقتين من قاعدة البيانات: الأولى مُهيَّأة للطباعة، والأخرى مُهيَّأة للنشر على الإنترنت. وتم إنشاء موقع إلكتروني مخصص للألواح (alwah.esscr.org) ملحق بموقع الجمعية ويحتوي على ثلاث نسخ من المحتوى جنبا إلى جنب: النسخة الأصلية المصوَّرة، والنسخة الخاصة بالطباعة، والنسخة الخاصة بالويب مفهرسة وقابلة للبحث حيث يسهل التنقل بين الأحاديث بيسر والرجوع إلى النسخة الأصلية المصورة إذا اقتضت الحاجة.

وقام بهذا فريق التنسيق المكون من د. سامح الأنصاري و م. خالد العدوي

5-٥ خلاصة

كل ما قمنا به من اجتهاد لإخراج هذه النسخة من الألواح اقتصر على تصويب طفيف لما لا شك فيه من أخطاء إملائية، مع عدم المساس بالمضمون إطلاقا. أما عملية التوثيق والتحقيق فهي مسؤوليتنا

الخاصة تماما. اجتهدنا فيها بقدر استطاعتنا، فنحمد الله على ما قد نكون وفقنا فيه، ونستغفره بكرة وأصيلا فيما نكون قد أخطأنا، أو جاوزنا فيه حدودنا. لكن ما يطمئننا هو وجود النسخ الأصلية pdf، كما ظهرت في حياة السيد رافع، وستظل هي كما هي، الأساس والمرجع، والنفحة الباقية من طاقته ومحبته، التي أهداها للبشرية أثناء وجوده على الأرض.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 للاطلاع على السيرة الذاتية للسيد/ رافع محمد رافع: الموقع الإلكتروني: (esscr.org). وكتاب "حكمة الإسلام في سيرة مسلم"، إعداد الابنة/ علياء رافع. الناشر مؤسسة البناء الإنساني والتنمية (hfegypt.org)

2 عبارة للسيد رافع من كتاب "خطرات ونظرات" رقم ٨١٣

بسم الله الرحمن الرحيم
تقديم من الجمعية الإسلامية الروحية

تتبارك الجمعية الإسلامية الروحية أن تقدم في هذه الصحف، جانبا من أحاديث السيد الأستاذ رائد الجمعية ورئيسها ... وهي الأحاديث السابقة لصلاة الجمعة، والمتصلة بعد الصلاة، بدار الجمعية من كل أسبوع..

من فيض روحه ومرشده.

وقد صدرت هذه الكلمات في حينها مرتجلة، وعفو الخاطر، بتوجيه من الظرف، أو ردّا على سؤال لساني، أو قلبي من حاضر. وقد روجعت من الناحية الشكلية واللغوية، دون المساس بجوهرها ومعانيها، من وحي روح المتكلم، من الروح المرشد.

ورأى حضرات أعضاء الجمعية، لتعميم النفع بهذه الأحاديث لهم ولمن يستهويهم مشربهم المتحرر - إلا مما جاء به التبليغ والهدى وما لمس حقه القلب والعقل - أن تطبع هذه الأحاديث على أجزاء دورية ليعم الانتفاع بها ..

والأصل في مطبوعات الجمعية أن تقدم للأعضاء، ولمن يشاركهم عقائدهم وهويتهم، من محبي مبادئ الجماعة، بدون مقابل، أو باليسير الذي يكفل التكاليف. وقد التزمنا هذا أيضا تيسيرا على الجماعة، وتعميما للنفع ...

وقد طرقت هذه الأحاديث مواضيع قيمة، في الدين والحياة، مما يشغل القلب والعقل، عند كل كتابي، وعند كل متدين، وعند كل سائل وحائر.

وقد لازم هذه المحاولة الكثير من التوفيق، لكشف ما غمض على الناس فهمه، من القضايا العقائدية، عند جميع الطوائف الدينية، من أهل الكتب السماوية، أو أهل الفطرة من أتباع الأصول الإنسانية، من الحكماء المكلفين.

وهذه الكلمات.. إلى ما فيها من جانب نظري ممتع، وجالب للسكينة والسلام النفسي والعقلي.. فهي أسس عملية واقعية، لطريق تجريبية، تهيئ العامل - بما فيها - للسلوك الحسي، وتمهده لليقين الكامل بوحدة الجنس وقدسيته.. كما تكشف للمتحقق، عن أزلية الجنس وأبديته، في الموصوف بالتنزيه، والمعروف بالوجود، وبصمدانية كل ما وقع ويقع فيه، من قضايا الدين، ومسالك الحياة ... وهي

الطريق المطروقة في قديم الجنس، وعلى مدى الأزمان ... تجديدا لفطرة الإنسان في الفاطر للسموات والأرض.

هي طريق الفطرة الإنسانية - التي فَطَر الناس عليها - والتي بها وبكشف الغبار عنها، تُستساغ عند كل عاقل، وتفيض عند كل صادق، وتقارب من كل طالب طارق ... عليها يجتمع الجنس في وئام، وبها تتوثق الصلات في رضا وسلام - وهو - مُظْهرها على الدين كله، على ما وعد، غالب بالقائمين بها على ما أوعد .....

نفعنا الله وإياكم بها وأقامنا وإياكم على طريقها. إنه نعم المولى ونعم النصير.

كلمة

للسيد الوعي الحي الإمام طنطاوي جوهري، موجهة لإخوانه من المؤمنين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جعلني قادرا على أن أُذكر المسلمين، في كتاباتي وتآليفي، بأن الإسلام هو دين العقل، وليس بدين الخوارق، والمبالغات، والأوهام.

والإسلام دين يقبل بالعقل، ولا يقبل أبدا بغير ذلك.

العلم هو كل شيء في الحياة، ما دام هذا العلم، المقصود به وجه الله، ومعرفة الله.

فيا أيها القارئ الكريم .. اقرأ هذه الكلمات، ولا تجعل من نفسك قاضيا على ما فيها من علم، ولا تجعل من نفسك عالما، فيمتنع عنك العلم، ويحتجب عنك النور.

أيها المسلم الكريم، أُهدي إليك هذه الكلمات البالغات، التي خطها بفيض أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مثل للتقوى، ونبراس للإيمان، وإمام لليقين.

اقرأ.. ففيها حلاوة وجمال، يدرك لكل ذي قلب سليم. الخير من ورائها، والحنان والحب يستمد منها، والله يهدي إليه من يشاء.

الروح الكاتب لهذه المقالة

أخوك

طنطاوي جوهري

(١)

الاتصال الروحي في عصرنا الحاضر

محاضرة بدار الشبان المسيحيين

١٩ شعبان ١٣٧٨ هـ - ٢٧ فبراير ١٩٥٩ م

(ألقيت المحاضرة مساءً وقد أعقبها بعض الاستفسارات)

بالروح نبدأ مبتهلين إلى الله، متوجهين إليه أن يوفقنا - متحدثين وسامعين - للفهم عن هذه الحقيقة الكبرى، بها نتوجه إلى الله الحقيقة الأزلية المجردة، إنسان الوجود الأزلي، أب الآباء، وخالق الأشياء، وروح الأرواح، وما وراء الموجودات والأشباح. نتوجه إليه متوسلين بسر الحياة من سره، وقدس الحياة من قدسه أن يجعلنا من المقبولين عنده، المرضيين فيه بسر رحمته، وبسر وجوده.. وجوده.

إخواني ...إنّا ونحن في صدد الحديث عن الروح، لا نتحدث عن جوهر الروح أو كنهه، ولكنّا نتحدث عن ظواهر اتصاله في العصر الحديث. وما دمنا سنتكلم عن ظواهر اتصاله في العصر الحديث- وإذا قلت العصر الحديث- فإنما أرجع بهذا الاتصال إلى قرن مضى من الزمان.. أعني من منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، فيجب أن نقدم بفزلكة عن الاتصال في العصور القديمة.

البشرية متصلة من قديم بالروح، وهي بالروح تحيا وتقوم، فإذا تأملنا كأناس يفكرون ويربطون حاضرهم بماضيهم، ويربطون ظواهر هذا الاتصال في بيئاته من البشرية في جميع العصور نجد أن هذا الاتصال قام في قديم الجنس في عهود لم يصل إدراكنا وتسجيلنا في نظامنا التاريخي إليها. وكل ما يمكننا أن ندركه هو ما سجلته تواريخ الأمم في الشرق والغرب، والمنطقة الوسطى من الأرض، فهذا الاتصال عام في الجنس. ولكن إذا تأملنا في شدة ظهوره في بلد دون بلد، أو في أمة دون أمة، فإنه يلفت نظرنا ما سجله تاريخ البشرية من أن هذا الاتصال -كما يبدو لنا- قام في الشرق وفي الشرق الأقصى على صورة ظاهرة، أو أكثر ظهورا من غيره في بلاد أخرى، وأنه تتابع في حركته الظاهرية زحفا في اتجاه الغرب. وطبيعي أن أقول الشرق والغرب لأن هذا مجال إدراكنا وتصورنا لمواقع البلدان على ما اصطلحنا على تسميته. أما إذا تساميا بالوعي فليس في الأرض شرق وليس فيها غرب، فكل جزء من أجزائها هو مشرق في ذاته ومغرب بذاته لأننا أصبحنا ندرك كروية الأرض، وأن مشارق الأرض على

بقاعها تسير في بقاعها بصورة منتظمة، فأمريكا شرق اليابان، واليابان شرق الهند، والهند شرق مصر، وكذلك إذا نظرنا لمعنى الغروب والغرب. ولكني أستعمل هذا اللفظ استعمالا واقعيا على ما تعارفنا عليه، ولكنه ليس استعمالا علميا في الحقيقة، وبقايا هذا الاتصال من مشرق الأرض إلى مغربها ما زالت قائمة في تاريخ كل أمة، فاليابانيون مثلا تقوم عقائدهم وآدابهم- وهي ما أسميناه في مناطقنا الوسطى بالدين وما يسمونه هم بالآداب والعقائد- تقوم على إدراك مواصلة الحياة، وأن الإنسان كائن روحي، وأنه يتواجد على هذه الأرض، ويغيب عنها، ويعود إليها، في صورة منتظمة. فآدابهم وعقائدهم تقوم على أساس التناسخ لموجود الحياة الأرضية في قديم الحياة للحياة الروحية. وطبعا إذا قلت التناسخ فأعنيه على ما يجب أن يُفهم من هذا المعنى، لا على ما يتوارد إلى الذهن بالتناقل المنحرف من أن الأرواح تعود إلى الأشباح سجينة فيها، ولكنهم يعتقدون أن الأرواح تعطى فرصة للعمل على هذه الأرض وفي هذا النوع من الحياة، وأن هذه الفرصة تتكرر لها، أما هي فأمر آخر بعيد عن معاني الشبح والفرص. وقد عبرت الأديان عن هذه العودة بلفظ "البعث".

والاتصال في الصين أخذ صورة الحكمة والموعظة، والزهد في المادة، والتعلق بمعنويات الوجود، وتسامت هذه الحكمة في الصين إلى عقائد منتظمة، وقضايا من الحكمة، وحلول لإدراك الوجود، وأخذت وضعا عمليا بين الناس وبين المباركين من بينهم، وانتقلت هذه الحكمة وامتدت إلى بلاد التبت فالهند وفيها ازدهرت وتلونت وتألقت، ثم جاءت منطقة الشرق الأوسط حيث أينعت وأثمرت لأن الروح أبرزت فيها هديها وإشراقها وكتبها في الأنبياء، والأولياء، والأئمة والمباركين من الناس أمة وسطا، ثم امتدت غربا، وظهرت في حكمة اليونان بأمثال سقراط وأرسطو وأفلاطون وأفلوطين وغيرهم من الحكماء في العصور القديمة.. كما ظهرت في نظريات فلاسفة الألمان، وكتّاب الإنجليز والفرنسيين عن أسرار الحياة في العصور الحديثة. فإذا تأملنا في هذه الجولة وهي تسير من الشرق إلى الغرب، نجد أن وجود هذا الاتصال في أمريكا في العصر الحديث وفي أوروبا، ليس بدعا من قوانين تواجد هذا الاتصال في مساره مع مسار الشمس، أو مع ظاهر حركة الشمس على هذه الكرة الصغيرة، من حركة التفافها حول نفسها وتعريض أجزائها للشمس ماديا ومعنويا، والتفافها حول أمها الشمس ماديا ومعنويا كذلك، في دورة لحركة أخرى، ورؤيتها لما يحدث عليها من انبعاث للحقائق منها، وارتدادها بالأثر عليها من فيض الإطلاق بنفس الصورة، وعين المقاييس التي ينظر بها لما حولها من الفلك وعوالمه في الفطرة المنفرطة ابتداءً، وإلى الفطرة الكاشفة انتهاءً.

هذه نظرة تاريخية أُقدم بها لمعاني هذا الاتصال في هذا العصر. ويتميز الاتصال الروحي الآن بقابليته لإدراك وتقدير العلم، وتعاونه مع العلم، وسيره معه خطوة خطوة. وقبل أن أتحدث أو أواصل

الحديث، أو قبل أن ندخل في تساؤل أو إجابة، أحب أن أصحح بعض الألفاظ الاصطلاحية التي قارنت الحديث عن الروح.

ليس هناك ما يسمى تحضير الأرواح.. هذا لفظ خاطئ، وهذا اللفظ الخاطئ يستتبع فهما خاطئا، ويستتبع نقاشا وجدلا خاطئا. فالتعبير السليم هو اتصال الأرواح، والأسلم هو اتصال الروح، فالأرواح لا تعرف التعدد. فإذا تحدثنا عن الظواهر العلمية لهذا الاتصال فيجب أن نقول: ظواهر اتصال أو حضور الأرواح، أو حضور الروح. فظواهر اتصال الأرواح قول أوفى بالغرض. فليس هناك تحضير للأرواح، ولكن الأرواح حاضرة فعلا. إنها معنا الآن.. إنها تشاركنا هذا الجمع، وهذا الحديث، وهذا الاجتماع.. إنها أنتم.. إنها منكم، وإنكم منها، وهي معيتكم.

نحن أرواح ذات أشباح، وهم أرواح تخلت عن الأشباح. وإمكانياتهم بعد التخلي عن الأشباح أصبحت بعيدة كل البعد عن إدراكنا إذا قسناها وأشباحنا. فهم أشباح بإمكانيات الأشباح التي نملكها الآن، أو تملكنا الآن، والتي نشير إليها بمعاني الأنانية.

إذا تحدث أحدنا عن نفسه، أو عن ذاته، أو عن معناه وقال أنا، فأول ما يتوجه إليه الوعي عند السامع، بل وعند المتحدث، إنما هو متجه إلى الشبحية الذاتية للكائن المتحدث. ولكن إذا أراد أن يعرف الحقيقة، فلفظ "أنا" في الإنسان المتحدث، أو "أنت" في الإنسان السامع، هذه الأنانية تشمل معاني كثيرة.. تشمل الذات وهي من المادة، وتشمل ما وراء الذات وليس من المادة، وتشمل ما تسميه النفس وهي ليست أمرا ماديا، ولكنها معنى الصفات الغريزية التي تظهر وتتواجد في جلباب المادة، كما تشمل الوعي الفكري، والإدراك، والذاكرة الواعية للحقائق، والرغبة الجامحة في الفهم عن الوجود، وعن الذات، وعن المقدس، وعن الحقيقة، وعن الحياة، أو عن ما نسميه الله، أو عن ما نسميه المعبود أو الرب أو الخالق. فالأنانية تشمل كل هذه الحقائق.. وإذا نطقنا لفظ الله، أو لفظ الحق، أو الروح الأعظم كما يحلو للأرواح أن تعبر، أو إذا قلنا الذات الأقدس كما يطيب لنا ونحن في عالمنا الذاتي، فهذه الألفاظ لا بد أن نصطلح أولا على مدلولها من الفهم حتى يمكن أن يكون التبادل الفكري في الحديث أمرا مجديا، وله ثمرة.

فلفظ الله يتكيف عند كل منا بحسب إدراكه الديني، وبحسب مستواه في الإدراك، أو التقدير لمعاني الحق الخالق، أو الرب الراعي، أو صفة المحاسبة والمراقبة عند المأمور، أو الآمر المنتظر أمره، أو المحاسبة منه والذي يُخشى حسابه، أو المعاقب الذي يرهب جانبه. كل زاوية من هذه الزوايا يشملها اللفظ ويحيط بها، فالله لفظ جامع يشمل الكثير من المعاني ومن القضايا. ولذلك سمي الاسم الجامع أي الجامع لسائر الأسماء.

فالأرواح التي تقوم بالاتصال في العصر الحديث قدمت هي من جانبها نفسها، وعرَّفت عن معناها، وكشفت حكمة اتصالها، وأبانت عن مصلحتها في هذا الاتصال. وطبيعي أن مثل هذا الحديث الآن لا يتسع للإفاضة فيما جاء على ألسنة هذه الأرواح.

وهناك من الكتب الكثير فقد أصبحت الروحية مدرسة، وثقافة، ومكتبة، وصحافة. فالراغب في المزيد يمكنه أن يرجع إلى مكتبته الروحية، سواء في اللغات الأجنبية أو العربية -واللغة الإنجليزية غنية في هذه الناحية وكذلك سائر اللغات الأوروبية- ولكن المكتبة العربية مع الأسف فقيرة في هذه الناحية، ولو أنه يوجد بين أيدينا وفي مكتباتنا جزء يسير ترجم عن المدرسة الغربية.. ولا ننسى أن لنا تراثا مهجورا حافلا بقضايا الاتصال القديم.

إن الإنسان الذي يريد أن يعرف في هذه الناحية، أو يستزيد من المعرفة فيها، يجب عليه ابتداءً أن يتحرر إلى حد ما من منقول الوعي، ومن تقاليد المتزمتين من رجال الأديان جميعا، سواء من المسلمين أو المسيحيين أو اليهود، أو من أي دين، وأن ينظر إلى هذه الناحية نظرة جدية. وليس من اللائق أن ينظر إليها كأمر تافه بل على أنه أمر جوهري وأساسي، وله قيمة كبرى في حياة الإنسان نفسه، من حيث العقيدة وسلامتها، ومن حيث الإفادة من الوعي عن هذه القضية، لأنها وسيلة من وسائل السعادة الحقيقية للفرد في ذاته، والطمأنينة العميقة في نفسه عن دينه.

فهذا الاتصال وإن أخذ في مظهره صورا ثلاثا.. ظواهر روحية يدركها الحس مقتضية التفكير والتأمل، وقضايا علمية قابلة للبحث والتحليل والمناقشة والإدراك، وأمر ديني يتعلق بالعقائد ونفض الغبار عن جوهرها المختفي وراء المتوارث من الأقوال والأفعال مع تحريفه عن مواضعه من الاستعمال.

والواقع أن هذه الاتجاهات الثلاث حلقات متصلة في وحدة، فلا يمكنني أن أفيد من هذا الاتصال في الجانب الاعتقادي قبل أن ألمس حسيا أنه أمر قابل للإدراك والحس. فرسالة الظواهر مهمتها لفت أنظار الناس إلى أن هناك قضية، وإلى أن هناك عِلما، وإلى أن هناك تدخلا من جانب السماء أو الغيب عند أهل الأرض لإصلاح عقائدهم، وتهيئة ظروفهم ليفيدوا من عقائدهم الدينية، ويصلحوا من قلوبهم في الله. فالظاهرة الروحية تحملني على التفكير، والتفكير يقتضيني على أن أدرك الجانب العلمي في هذه الرسالة، والجانب العلمي يحملني بل يقهرني -ما دمت أخضع لمدرك العقل ولتوجيه العقل- إلى أن أفيد من هذا الاتصال في الجانب العقائدي في الحياة، أو في الجانب الاعتقادي في الله. وإذا أفدت من هذه الناحية فهذا هو هدف الاتصال. وإذا أمكنني أن أفيد فهذه هي السعادة لما يتكشف من حقائق مسعدة للحياة، لأن كل قضية من قضايا الإنسان بحثا وراء السعادة فيها عقبات ومشكلات وعجز بسبب الغفلة عن الحقيقة في هذه الحياة. هل يسعد الإنسان في المال؟ إني أنظر إلى

غني فلا أجد عنده سعادة إذا كنت أعرف حقيقة أمره.. أم هل يسعد في الصحة؟ إني أرى صحيحا معافى سليما مفتقرا إلى السعادة.. هل يسعد في الجاه؟ إني أرى أهل جاه وسلطان، إذا فحصت قليلا من شأنهم عرفت أنهم من أتعس الناس.. هل يسعد في الولد؟ إني أرى رب بيت يشقى بأولاده. هل يسعد في الزوجية؟ إذا كنت شابا أُفكر في صلة الزوجية، تتركز عندي السعادة في تحقيقها، ثم لا تتوفر بعد هذا التحقيق.

إن السعادة في حقيقة الأمر لا يوفرها للإنسان إلا إدراك حقيقي لنفسه، وإدراك حقيقي لمنشوده من معبوده من الله، وإدراك حقيقي لمآله بعد هذه الشبحية البشرية أو الأرضية، وإدراك حقيقي لمعناه قبل أن يتواجد في هذه الكينونة، وإدراك حقيقي لأزلية الحياة ولانهائيتها أو أبديتها.

إن هذه القضايا، ومعها التساؤل الدائم لِمَ فعل الله ذلك؟ لِمَ أفقرني؟ لِمَ أمرضني؟ لِمَ أشقاني؟ لِمَ وضعني؟ لِمَ رفعني؟ ولِمَ أشقى فُلاناً؟ ولِمَ أسعد فُلاناً بالمَالِ والولد؟ ولِمَ ولِمَ؟ كلنا يتساءل هذا التساؤل في نفسه عن نفسه وعن غيره، ولا يجد لهذا حلا يلائمه، أو فهما يستريح له عقله. كل هذه القضايا لمستها الأديان في بلاغها، والحكمة فيما حملت إلى الناس من الحكماء المدركين لهذه الحقائق، ومن الهداة المهتدين إليها في تاريخ البشرية. ولكنا غفلنا عن هذه القضايا لأننا لم نلمس لها في حياتنا الفردية واقعا مدركا معللا، أو نلمس لها تعليلا فيما نتساءل عنه فيمن حولنا من الآخرين.

إن الروحية تتناول هذه القضايا جميعا، وتهيئ للإنسان في وعاء ذاته غذاءً اعتقاديا محسوسا مدركا، يدركه ويعرفه عن ربه تعريفا موصولا، يستيقنه بالدأب على الرغبة فيه، وتقيم فيه حقائق لنفسه فردا فردا، وتعالج له أمره في نفسه، ما ارتبط بها محبا وسعى بودها راغبا كاسبا.

هذا الاتصال هو حنان الآباء السالفين نحو أبنائِهم الموجودين على الأرض، يرغبون أن ينقلوا إليهم علمهم وتجاربهم، وما عرفوا من الحق في حياتهم بعد التواجد في هذه الأرض على الصورة الشبحية التي نتواجد فيها نحن الآن.

فهم يتصلون بنا ليرفعوا مستوانا الإدراكي من جانب، وليهذبوا صفاتنا من جانب آخر، ويعينونا عونا عمليا حقيقيا على إدراك ما أشرت إليه من هذه القضايا في النفس، وما حول الإنسان، ويعنونون رسالتهم بأنها تعمل لأهداف محددة. إنها لا تأتي إلينا ببلاغ جديد، ولا بمناسك جديدة، ولا بنظام للمعاملات جديد، ولكنها تأتي لنا بما غفلنا عنه من الحق الصراح.. الحق الخالص الذي جاء به سائر الأنبياء، والذي يتلاقى عليه ويتلاقى فيه النبيون جميعا، وهو التعريف عن الله، وعن الفهم فيه، والفهم عنه، والفهم به، والفهم منه...

وهذا أمر جوهري، وأمر واسع عريض، قام وراء جميع الرسالات الدينية في الشرق الأوسط، وفي حكمة الشرق والغرب. كما أنهم ينظرون إلينا في حنان -كما قلت- وفي إشفاق، وهم يروننا ونحن نركب رؤوسنا، ونعمل على إثارة الحروب الباردة والحارة بيننا رغم التقدم الذي وصلنا إليه في إدراكاتنا عن المادة وعن الحياة وأسرارهما، وقد وصلت إلى أيدينا قوى الأسلحة الحديثة، وهذا أمر خطير وخطر علينا لأنه منتهى بزوال الكثير منا ونحن أبناؤهم. كما أنهم لا يريدون أن تتساقط ثمرات هذه الشجرة البشرية فجة غير ناضجة، ويريدون أن تعيش هذه البشرية في وئام وفي سلام، وأن لا تتعجل حياة مفرداتها الروحية، على أساس من الحروب وأساس من الخصام، حتى لا يذهب الناس إلى حياتهم الروحية وهم لم ينضجوا بعد كالثمرة التي تسقط من شجرتها قبل أوانها.

فهذا جوهر من جواهر اتصالهم، أو جوهر اتصالاتهم. ولو تأملنا لوجدنا أن البشرية في القرن الأخير من عمرها من الزمان قد حققت بالكشوف العلمية، وارتقى إدراكها العملي إلى مستويات متميزة عالية، في نقلة قد لا ندركها نحن الآن في هذا العصر لأن معظمنا ولد في هذا القرن من الزمان.. عصر البخار والكهرباء والقطار والسيارة والباخرة والطائرة والتلفزيون والراديو والرادار، وما إلى ذلك.. وإذا عددنا ما نتمتع به الآن من كشوف في الطبيعة انتهت إلى استغلال الكثير من القوى الموجودة في الكون حتى قوى الذرة، نجد أن هذا كله لم يتحقق إلا في نيف وقرن من الزمان. وكلما تقدمنا في تاريخ هذا القرن من أوله تضاعفت قدرتنا على كشف هذه الحقائق، وهو ما يبدوا أنه تقدم لن يتوقف. ولا زلنا نسير بخطى واسعة لكشف الكثير من هذه الحقائق، وهي كلها حقائق كونية تكشف عن قدسية الكون وحريته وإرادته.

لو قارنا هذا الذي نشير إليه من هذه الكشوف إلى هذه الظاهرة من كشف الاتصال، أو هذا الاتصال الحديث الذي بدأ من منتصف القرن الماضي، نجد أن هذا الارتقاء العلمي ارتبط بهذا الاتصال الروحي بالبشرية، وأنه كلما ارتقى واتسع الاتصال كلما ارتقى الكشف العلمي، والإدراك العلمي لأسرار الوجود ولأسرار الطبيعة. ولا زلنا حتى الآن في هذه الناحية رغم هذا التقدم على شاطئ البحر، ولم نغُص فيه بعيدا، فما ينتظرنا من هذه الكشوف الإدراكية والعلمية لأسرار الوجود أضعاف أضعاف ما وصلنا إليه، وسنصل إلى قضايا أكبر وأكبر حتى يتبين لنا أن الحق قريب منا، وأقرب إلينا من حبل الوريد، وهو معنا أينما كنا حقيقة، ولسنا فيه إلا وجوها له، ولسنا فيه إلا صفات له، ولسنا فيه إلا أسماء له. وهذا هو إدراك معنى التوحيد أو الوحدانية. إن المرسل إليه والرسول والراسل إنما هم قضايا في الحقيقة الكبرى للإنسان، تجمعهم الحقيقة الكبرى للوجود. ما الرسول إلا المرسل إليه، وما المرسل إليه إلا الرسول، وما المرسل إلا المرسل إليهم، والرسول إليهم.

فالله معنا، والله قائم على كل نفس بما كسبت، والله يجيبنا إن ناديناه، ويقاربنا إن أحببناه، ويخلصنا إن لبيناه، ويكشف الغطاء عنا ما قاربناه، ويعرفنا عنه إن تعرفنا إليه فينا، وطلبنا معرفته بنا بكشف الغطاء عنا. فالاتصال الروحي يا إخواني ما هو إلا عقيدة سليمة في الله تؤيدها جميع الأديان، ووسيلة تنقي جميع الأديان من الخبث، ويظهر بها ما في الأديان من جوهر سليم حبيب إلى النفس المؤمنة والعقل المعتقد. إنها طريق مستقيم.. إنها تفك أسر الروح من سجن المادة لتنطلق في ملكوت الله العظيم اللامتناهي.. إنها يد الله الممتدة لإطلاق هذه العقول وهذه النفوس وهذه الأرواح من سجون أشباحها، ولكشف الغطاء عنها لتدرك ما غمض من قضاياها في حاضرها ومستقبلها، فتفتح لها بذلك أسباب السعادة وطريق كسبها.

أخشى أن أكون قد أطلت عليكم، ولعل في هذا القدر الكفاية اليوم.. أرجو أن يكون واضحا لكم. ومن كان منكم يحس برغبة في مزيد من إيضاح، فليتوجه بسؤاله، ونسأل الله لنا وله التوفيق.

قالت إحدى الحاضرات وهي طالبة جامعية إنها لم تستطع فهم القول بأن الحروب أمر متصل بالروحية، وأن الناس لو عرفوا ذلك لامتنعت نفوسهم عنها ولم يقدموا عليها.. فأجابها السيد المحاضر: إنه تساؤل كريم في موضع هام وحساس، ولكن في الواقع هذا أمر يطول شرحه، وهو وحده يصلح ليكون موضوعا لسلسلة من المحاضرات وقد لمسناه في حديثنا لمسا خفيفا، فإن أردت مزيدا من إيضاح وأراه ضروريا ومفيدا، فإني معطيه في كلمات.. لقد كانت الحروب في الماضي وما زالت من فعل الحكام للشعوب. أما الشعوب فإنها تمقت الحروب بغريزتها الفطرية في حب البقاء، ولأنها هي المتحملة لعبئها في النهاية في نظام الحروب القديمة، والمتحملة لعبئها من البداية في نظام الحروب الحديثة. فكلما تقدم الجنس في المدنية كلما زاد رأي الشعب في ميزان القوى التوجيهية للدولة. فإذا أدركت الشعوب في الوعي العام -المتأثر عادة بمعلمي الشعب من أهل الصلاحية فيه- معاني الحياة وأسرارها، كانت سلطة الحكام المندفعين وراء النزوات على التوجيه الانتحاري للشعوب باسم الدفاع والحياة والكرامة، أضعف فأضعف مع تقدم الوعي وسير الزمن، وأدركت البشرية معاني الأخوة، وجمال المحبة، وعزة العفو الشاملة للجنس كله في الواقع والحس والإدراك والعلم. وهذا وحده بلسم ودواء قاطع في مقاومة وباء ومرض الحرب، وشافي في حال ظهور أعراضه على أحد أفراد المجتمع البشري من رجال الدولة، وما يسهر الكل عليه لإدراك الأخوة الحقيقية عند البشرية، بكشف رحلة الروح من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق، بعامل المزج الروحي مع القيام المادي للجنس من أسرار التكوين عن طريق الموت والمولد، في اتجاه قيام الوحدة المقدسة في الجنس، وهو ما قامت مبشرة به جميع رسالات الدين، فيصبح الاستعمار أمرا وبيلا ومسلكا معوجا عند الشعوب، كما تصبح الغلبة العسكرية

والسياسية لشعب على شعب صفة كبرياء وغطرسة مذمومة في المجتمع البشري، ويصبح العون السياسي والاقتصادي عملا أخويا لا يقتضي المقابل، ولا يوصف متلقيه بالمهانة أو الهوان. وهذا الحديث نظري عملي لا نقصد به أمة أو جيلا، فالأمة في حياة الجنس الأزلية قطرة من محيط، والجيل في الأزلية للجنس لمحة أو بارقة في دهر -وأمة أو بشرية كاملة قد لا تساوي شيئا في الحق، وفرد قد يعدل أمة أو بشرية بالحق- إن الإنسان إن تمسك بمعاني العظمة فيه فهو عظيم ويستطيع أن يكون أعظم، وإن حرص على جانب الحقائق من جلبابه من التراب فهو حقير لأنه اختار جانب الحقارة من جلباب تستره، متخليا عن جوهره من الحقيقة.

نحن نريد إبراز الأمر التافه بتفاهته، والأمر العظيم بعظمته أمام عيون الوعي، وأن نجعله في متناول يد الحس من العقل والنفس. ولأزيد الأمر إيضاحا عندك وأرجو أن لا أزيده تعقيدا، تأملي ما أشرت إليه عن عقيدة التناسخ في الشرق وفلسفتها، وخذي مثلا من دالاس وأيزنهاور وماكميلان وبينوه وأحزابهم إذا ما عرفوا أنهم سيبعثون يوما بين أهل نيجيريا والجزائر والصين مثلا، أو كشف لهم أنهم قد جاءوا لأوطانهم الحالية من هذه الأوطان القديمة لهم.. فهل يمكن أن تكون معاملتهم لأهل هذه المواطن -وهم آباء لهم في الماضي أو سيكونون آباء لهم في المستقبل- على الصورة التي يعاملونهم بها الآن؟ المنطق والعقل يقطع بأن لا.

لو ذهب أحد هؤلاء إلى دائرة روحية في بلده أو في أحد هذه المستعمرات المغلوبة على أمرها، وتكشفت له هذه الحقيقة أمام ناظريه وفي قلبه، فما مدى ذلك من الأثر على تصرفاته وهو يرى قوانين الله العادلة في البعث والجزاء تعمل عملها، وتأخذ مجراها الطبيعي العادي في حياته الحاضرة من حيواته القديمة، وعليه هو كشف فعلها فيه للكشف عن حيواته القابلة في ظلها بالوعي عنها؟

إن دالاس ومن ذكرت -ونحن معهم كمتدينين- نقول ونسلم بقضايا البعث والعقاب والثواب، ولكن ليس لدينا وعي أو فهم يقيني عن هذه الأمور، مما جعل القول والتسليم بها لا أثر له عندنا في أعمالنا اليومية، بينما أهل الشرق تأثروا بهذه العقائد تأثرا مس الحياة اليومية للفرد والحياة العامة للأمة، مساسا أصلح أمر الفرد والجماعة من ناحية، وأساء بعوامل أخرى من ناحية أخرى. ونحن نريد أن نفيد من تجارب الشعوب ومن أحداث الزمن بعد التحرر من المنقول الاعتقادي، والمفهوم الوهمي، إلا مما لمس العقل والقلب.

إن الحكام غير الصالحين لا يسوقون الشعوب إلى التناحر، أو بسط سلطان البعض على البعض فحسب، ولكنهم يعملون على استعمار قلوب أفراد شعوبهم واستهلاكها في خدمة دنياهم، وحرمانهم من عناصر الحياة الداخلية.. ولهم عذرهم إذ يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأنهم يُصلحون في الأرض..

فيحتضنون رجال الدين لبث عقائد دينية مخزية عن ظاهر عبوديتهم وناصرة لموهوم وبراق نزواتهم، فيبيعون الجنة والنار في خدمة هذه السياسة، وما دروا أن الجنة والنار صفتان للنعيم والشقاء تلازمان الإنسان أينما حل وكيفما كان. فإذا ارتقى الوعي العام للبشرية عن طريق الاتصال الروحي، وانتشار الدوائر العائلية والاجتماعية العامة، فعرف الناس كيف يموتون، ولِمَا يولدون، ومتى يبعثون، وإلى أي مكان يذهبون، أو إلى أي تطور يصيرون، وهم يسمعون لذلك عن آبائهم وأجدادهم من الجسد أو من الروح فيعلمون كيف تسير الحياة.. لو أن هذا عم وانتشر، كنت لا تجدين رجلا سياسيا متعنتا في عمله، وفي حكمه للناس، ولو أنه كان لكان الناس له بالمرصاد يحولون بينه وبين ما ينحرف إليه بسليم وعيهم، ولتطهرت المساجد والكنائس والبيع من استعمالها لخدمة الأغراض المنحرفة باسم المثل العليا والمبادئ السامية، ولتلقى الإنسان في غرفة الاتصال الموعظة الحسية بكشف قيم الأعمال وأثرها على الآباء والأجداد، ولم تصبح المثالية عبارات متناسقة تصدر عن المنابر والهياكل خالية من الروح والحياة.

وعقب الدكتور عثمان خليل العميد الجامعي رئيس مجلس المحاضرة، موجها حديثه للآنسة: لو أننا جميعا أصبحنا على صلة كريمة بالأرواح، وأصبحت مصدر إرشاد لنا، لتغير حالنا كثيرا، ولأصبحنا نتعامل في النور، ولاختفت من بيننا مظاهر العدوان والشر، ولأنه لا يجني على أهله إلا السوء ... فالروحية هي هدي جديد يقضي على الفوارق بين البلاد وبعضها، وعلى التعصبات الدينية بين الأفراد، وعلى الفوارق بين الطبقات، ويهيئ الأسباب لمجتمع روحي متكامل الخلق، مستقيم الخلق، تقوم جماعاته ومفرداته في وحدته بوظائف الأعضاء السليمة في الجسم السليم.

سأل طالب جامعي: هل للروحية قوة يمكن بها أن تنصر جانب السلام في الأرض على جانب الحرب؟ فأجابه المحاضر: لقد أجبت على هذا ببيان ما للقوى الروحية من توجيه لقوى الوعي، باعتبار البشرية دائما لها البشرى، وسأزيدك من حيث هذا الرباط، وتفصيل أثر كل شق منهما في الآخر.

يجتمع في البشرية الأرضية أناس هم أبناء لأصل واحد ولكنهم حزبان رئيسيان، كل حزب بما لديهم فرحون، وما افترقوا إلا بعد الذي جاءهم من العلم من نبع ووحي ذواتهم.. يقومون في صعيد، وتجمعهم دار، وتسير بهم مركب. أما عالم الروح فأهله لا يعرفون للمكان سلطانا أو حدودا، ولا يعرفون للزمان عنوانا أو وجودا، فإحاطتهم بالمكان المدرك للبشرية أمر طبيعي، وسبقهم وتعقبهم للزمان المدرك عندها بمولد الحقائق وقيام الأحداث أمر عادي. إن ما صدر عنه أصل البشرية وهذا الأصل نفسه ما زال قائما، وإن ما يصدر عن حزبيها هو عين ما يرتد إليها كفعل للغيب في القانون الخالق، وإن ما يصدر عن حزبيها إنما يرفع إلى مصدره من الأصل الواحد، أو إلى مصدر هذا المصدر في حال رقيه وحمله

إليه، وأن ما يصدر من الحزبين، إما أن يتجه كل في اتجاهه على نقيض من الآخر، فلا يجتمعان إلا على هذه الأرض صدورا أو ارتدادا، ولا يعرفان الصراع والتزاحم إلا عليها. أما حياة كل منهما الروحية فلا تعرف الصراع والتزاحم، وتقوم على النظام والتنسيق والعمل الدائب لا انفصال لهما. إن الصراع القائم على الأرض من اختلاف النظر للأشياء والحكم عليها يزول بزوال الأشياء عن النظر والتقدير، ويمكن أن يتلاقى الحزبان في النظر والحكم على الأشياء، وإن اختلفا في الاتجاه في حال الحياة الروحية لهما التي لا تعرف سلطان المكان ولا حدود الزمان عند كل منهما عن طريق الصلاحية الذاتية. فإذا تلقت الأرض رجع السماء معها مصلحا في ذاته كان هذا الرجع على وفاق في النظر من حيث ما يجب عمله، ومن حيث الحكم على الأشياء والنظر إليها. وكلما صدَّرت الأرض بظاهرة الموت صالحين من الحزبين، كلما عجلت بوارد منهما صالحا للتعاون على نشر الأمن والسلام. وكلما نشرت عقيدة السلام في الأرض ووجدت أنصارا من البشرية، استجلبت من قوى السلام الروحية العاملة على نشره المزيد، بمعدل يدخل في أضعاف مضاعفة لما يصدر عنهما.

وإنكم باستماعكم لي الآن، وبما صدر عنا من ابتهالات في أول هذا الحديث، قد ساهمنا بقوانا جميعا في تأييد روحي لنشر قضية السلام، وهيأنا للقوى الروحية العاملة لأجهزة ولأسلحة البشرية التي عندنا لتعمل بها. ومن السخف والخطأ أن نظن أن عالمنا الشبحي على الأرض يحكم في سير أحداثها بعيدا عن قوى غيبية غير منظورة.. ولأضرب مثلا من الواقع.. لو تأزمت الأمور بين دولتين كبيرتين أو صغيرتين بما يعرض الأمن والسلام للخطر، وعُرف هذا لعالمنا أو لم يُعرف - وهذا أمر في دائرة علم الأرواح التقليدي أو العادي - ففي دائرة روحية ممتازة في أحد من البلدين أو غيرهما يطلب الروح المرشد مزيدا من قوى روادها بصلوات وبإطالة، أو مزيد من الجلسات لهذا السبب، ويتوجه بهذه القوى إلى رئيس الحكومة، وأجهزة الحكومة في كل من الدولتين، ويعطيه إلهاما ما قويا يحل لما اختلف عليه، ويقذف في روعه رغبة جامحة للمسالمة، فإذا بالأزمة تتبخر وتتلاشى. وقد يصارح الروح المرشد أبناءه بتفاصيل ما جاء به إن رأى محلا لذلك في تدريبهم، وقد يكتمه عنهم إن رأى هذا أصلح لأمر تدريبهم. فإن صارحهم كانوا على علم بسير الحوادث وبمساهمتهم فيها، وإن أخفى عنهم أدركوا بأذواقهم تعليلا لما طلب إليهم في أوقات مختلفة من صلوات أو تركيز لقواهم لتكون تحت تصرف السيد المرشد. وهذا العمل والمداومة عليه إنما هو جهاد يبتر الرذيلة في شتى صورها، وعون لقوى الفضيلة في جميع ألوانها يقصد به وجه الله، وليس فيه إلا المعاملة مع الله، ولا يستطيع الإنسان أن يجعل منه قوى مغاضبة لله، أو متعارضة مع الخير للإنسانية. وقد قام الإسلام بهديه وتعاليمه على أساس من هذا الذي تكشف عنه الروحية في هذا العصر، وهو ما كان مدركا لخواص أمته من الفقراء إلى الله.

ولعل في حديث الرسول (عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[1] بعد رجوعه من غزوة وقد سئل وما يكون ما هو أكبر فقال (مجاهدة النفس)[2]. وإن في ابتهالات المصلين من أي أمة ما يوفر للأرواح العاملة وسائل مقاومة القوى الشريرة في نفوس الطغاة والمنحرفين. إن الحروب -وهي اصطدام قوى مادية- ما هي إلا أثر لاصطدام قوى فكرية صادرة عن البشرية، وعما وراءها من عوالم روحية ملهمة.

أضواء على الطريق

- (عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من الموتى)[3] تكن مؤمنًا.
- (من دلّك على الدنيا فقد غشك ومن دلّك على العمل فقد أتعبك ومن دلّك على الله فقد نصحك)[4].
- (اُعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[5]
- {... إني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان.}[6]

مصادر التوثيق والتحقيق

1 حديث شريف رواه البيهقي بسند ضعيف، ورواه الديلمي بلفظ "قدمتم من خير مقدم، من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه"، وفي رواية البيهقي: (قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب.)، كما ورد الحديث الشريف في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.

2 حديث شريف: (المجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ). رواه الترمذي

3 حديث شريف رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى." جاء بهذا اللفظ عن ابن عدي". وأخرجه البخاري بلفظ: " أخَذ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنكِبي - أو قال بمَنكِبَيَّ - فقال: (كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ) قال: فكان ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذا أَصبَحْتَ فلا تنتظِرِ المساءَ وإذا أمسَيْتَ فلا تنتظِرِ الصَّباحَ وخُذْ مِن صحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حياتِكَ لِموتِكَ".

4 مقولة للشيخ ابن مشيش.

5 من حديث شريف مجمع على صحته جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان. أخرجه البخاري في صحيحه.

6 سورة البقرة- 186

(٢)

واقعية الرسالة الروحية
ولتكن منكم أمة خير

محاضرة بدار الجمعية

٢٧ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٧ نوفمبر ١٩٦٠ م

اللهم.. إنك أنت وكما تعلم، لا شريك لك..

اللهم.. إنك أنت.. أنت، على ما أنت.. لا موجود معك.. معروف لنفسك بنفسك.. معبود منك بك.. لا وجود لغيرك في موجودك. نؤمن بك بفضلك ونقر بك برحمتك. ونوحدك بمنتك ونقومك بوحدانيتك.

اللهم إنا نستعينك ونستمدك ونستهديك ونسترشدك، بشمول رحمانيتك، وبعموم رحمتك، ونستحييك بقائم وقيوم أحدية حياتك وحيويتك.

اللهم فاهدنا سواء السبيل، وكن لنا نعم الدليل، ولا تؤاخذنا بما نسينا أو أخطأنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، وإلى ساحة رحمتك بفضلك وجودك.

اللهم اجمعنا بك فيك على عبدك الذي أحييت، والذي أبرزت، والذي عرَّفت، والذي عليه جمعت، والذي به فعلت، وله أحببت، وعليه أثنيت، والسماوات والأرض إليه أسندت.

نبدأ بهذه الجلسات على بركة الله موسمنا الثقافي لهذه الجماعة التي وإن قل عديدها فقد كثر مديدها. وبمديدها من الله يتكاثر عديدها في الله. وكل ما كان لله دام واتصل، فهو باق، وكل ما كان لغير الله انقطع وانفصل، فهو زائل.

نعنون حديث اليوم بـ "واقعية الاتصال الروحي أو واقعية الرسالة الروحية". وإذا قلنا رسالة روحية فإنما نستعمل اللفظ الذي ألفته البشرية في الحديث عن وعي جديد، أو أمر جديد، أو تطور في الوعي يظهر في أبنائها.

أما إن أنصفنا الأمر، وصدقنا القول، فليس هناك ما يسمى برسالة روحية. كما أنه إن دققنا وحققنا فليس هناك ما يسمي باتصال روحي، ولكن الذي يقوم والذي يتواجد في البشرية في الحقيقة، سواء بظهور الحكيم وحكمته، أو النبي وشرعته، أو الإمام وجماعته، أو المعلم ومدرسته، أو صاحب الملك الحقي ومملكته، أو الإلهام ووجهته، أو الروح ووصلته.. إنما هو كشف انفعال الوجود بحقيقته، ورفع الغطاء عنه له بقدسيته بالتعريف بما هو قائم من روابط بين ظاهر الجنس وغيبه.

نحن معاشر البشر-شرقيين كنا أو غربيين أو لا شرقيين ولا غربيين- في نزعتنا البشرية، وطلبنا لمعانينا الإنسانية، إنما نحيا في أعماق وعلى سطح أو بعيدا عن سطح هذه الدحية الصغيرة السابحة في ملك وملكوت الله، وعلى مثال من ملايين الملايين من مثلها، ممثلين لهذه الحياة في الحياة بذواتنا، سواء في أعماقها، أو محلقين فيما حولها، أو منشغلين بظاهر الحياة من قيامها.

والذي يعنينا في الحقيقة أن ندركه دائما، هو كنه هذه الحياة التي نحياها بذواتنا، أو موضع هذه الحياة، من هذا الوجود الحي المحيط بنا، وأن نعرف شيئا عن جذور شجرتها، وعن فروعها، وعن ثمرتها.. وهذا أمر جوهري بالنسبة لنا.

إن هذه المعرفة التي يجب أن نسعى إليها -إن شغلتنا المعرفة فطلبناها أو بحثنا عنها وسرنا إليها فوجدناها ثم تتبعناها- هي ما سميناه في قديم الجنس بالحكمة تصدر عن الحكماء، وهو بعينه ما أسميناه في العصور الوسطى للجنس بالهدي يصدر عن الأنبياء. وأقول العصور الوسطى قاصدا العصور التي بدأت بظهور معاني النبوة والرسالة في الجنس بآدمها يتوفى، ثم يبعث بخاتم الأنبياء محمد عليه السلام والصلوات وفي أمته. هذه العصور وهي آلاف من السنين يجمعها عصر وسط بين الحكمة من نبع الإنسان لا ينسبها لغيره، والحكمة ينقلها الإنسان منسوبة إلى السماء، أو إلى ما سما عن حاضر نوعه بتقدير نوعه خلقا بين العدم والبقاء، فيبذرها مُعانا من مصدرها، ويتجمع الناس بإرادتهم على حوضها مطاعا مجابا بمحبتها، وتقوم روابط الناس فيها على أساس من الحب والتعاون لفعل الخير، وبذره وكسبه، وتبادله بينهم.

هذه هي العصور الوسطى. أما بعد محمد فقد فُتح للناس ما كان في قديم الناس مفتوحا لهم من الحكمة، تنبع من قلوبهم، ومن صدورهم، ومن باطنهم، بما يدركون عن أنفسهم في أنفسهم أناجيلهم صدورهم لكل منهم بعمله كتابه وقرآنه، عاملين بحقهم وحقيقتهم، مؤمنين بوحدانية الوجود، وبوحدانيتهم في الحي القيوم بوصلتهم في إدراك وحدانيتهم بروابط المحبة، وطريق التواصي بالحق في شهودهم لأنفسهم، على مثال من قديم، وموعود من مستديم.

بذلك كان محمد خاتم عصر النبوة أو خاتم العصر الوسط، وبداية النهاية الخلقية، وبدائم البداية الحقية للجنس، إلى ربه منتهاها بتجدد الإنسانية إلى فطرتها في أحسن تقويم. أمته وأتباعه والمؤمنون بالله معه، مثلهم كمثل الأنبياء في العصور الوسطى -ما صدقوا- أناجيلهم صدورهم، وابن مريم مثالهم.

هذا كلام نقدم به لما نريد أن نتحدث عنه من واقعية رسالة الروح وواقعية الاتصال الروحي، أو واقعية الحياة بظهور الحياة للإنسان بقديمه في الإنسان بحاضره عن الإنسان في مستقبله ومستديمه، بما أصبح ظاهرا للبشرية كنتيجة طبيعية لقيام هذا الاتصال السافر بين الكينونة للغيب من عوالمه من سماوات الجنس مع هذا الجنس على أرض نشأته، أو قيامه من الحياة الروحية الذاتية لهذه الدحية، أي من روح الأرض، ويحن أهلها إلى السماء الدنيا للأرض من عالم البشرية، يتحدثون بوعيهم عن معاني الحياة، ويتبادلون معارفهم مع ما أفيض على البشرية من الإطلاق القيوم على قائمها وقيامها.

فالبشرية اليوم تستقبل اتصالين من عالمي الروح.. من عوالم الحياة الداخلية للأرض، ومن عوالم الحياة السماوية للأرض. وما الحياة البشرية في السماء الدنيا من الأرض في ذاتها إلا حياة روحية أيضا، وهي أولى عوالم الروح. فنحن الآن في ذواتنا أرواح قبل أن نكون أشباحا. والحياة الروحية سواء إلى جذورها من الأرض ارتباطا ونشأة، أو الحياة الروحية تدانينا من سماوات هذه الأرض ممن تحرر من رباط الأرض ارتدادا وإعادة، فإنها أيضا تقوم بذوات من أشباح لطيفة في تكوين من الطاقة الحرارية نظمته وصورته الحياة الأرضية، أو في تكوين من الطاقة النورية نظمته وخلقته الحياة العلوية. ويقارن هذا - سواء ما جاء من علويات الجنس أو من جذور الجنس - عوالم من مفردات الأرض ما زالت في طبيعتها من الظلام.. بمعني أنه ما زال يغلب عليها هذا الجانب في تكوينها الشبحي الجسدي من أهل الأرض، وسكان الكواكب، ليساندوا رسالة الروح ودعوته بوصفهم مجالات للأرواح المرشدة والمهيمنة المتصلة.

ونحن على سطح هذه الأرض -من سمائها الدنيا- أغنياء بالصور، وحركة التصوير، وبالجسد المظلم الذي هو بدء لعالم كبير. وشرف هذا التواجد انبطن فيه بدءان لحقيقتين: بدء لتكوين حراري بالعبودية، وبدء لتكوين نوراني بالربوبية، يمدان هذا الجهاز المادي المظلم لعالم يُنتظر بالحركة والتدبير، وهما شخصيتان لهما كل ما لهذه الشخصية الدموية في التكوين والأعضاء والصورة، يحتويهما الكائن المظلم أو به تقومان.

فنحن بعالمنا ببشريتنا بتكويننا عالم روحي، ولكنه مجمع لثلاثة عوالم روحية في الواقع وفي الحقيقة. إذا نما فينا الجانب النوراني كنا أميل إلى التصاعد وإلى الارتباط بالعوالم المرتقية من الجنس، والتي أصبحت في جلابيب من النور في مرتقاها التكويني، وهي ما سميت في العهد القديم للأديان بالملائكة. وإذا ملنا إلى الانفعال الطاقي، والقدرة في أنفسنا، والإمكانيات في إتيان فعل يصدر عنا مستقيمين في هذا

المسلك نمت فينا وتغلبت علينا هذه الطاقة الحرارية، والتكوين الناري، وسرنا في هذا المسرى، وهو نوع أيضا من المرتقى يمثل التكوين المتفاضل الذي نعيش فيه، وهي عوالم السماوات.

وإذا غلَّبنا علينا أنانيتنا من الجانب المظلم فينا وحرصنا عليها، فهذا الجانب يريد أن يتمتع بالحياة على ما يقومها، فتقوم فينا حياة واقعية من حاضرنا من اللذة وحكمتها، ومن شهوات النكاح وثمرتها، واكتناز المال، والظهور بالسلطان، وفرض الإرادة على الغير في هذه الحياة على ظاهرها، على أنها كمال الحياة عند مدركها على هذه الصورة، وكلما نضجت جلودنا بدلنا جلودا غيرها على ما بدأنا.

لا أريد أن أدخل على حديثي الليلة استشهادا من كتاب، أو من أثر عن رسول، أو من حكمة منقولة قبلت بيننا بالعرف، ولكني أريد أن أسترسل في حديث مبسط منطقي متماسك لعل هذا يكون أقوم في إبراز ما أريد أن أقدم لكم من الفهم. ولأنكم سمعتم كثيرا أحاديث كانت مسنودة بالأثر والمعتقد من الكتاب في هذا المجال، فإن ما نقدمه من المعرفة لا يصعب نحته من عبارات التبليغ والأثر، ولكن ليست هذه هي الطريق المستقيمة إليه. فلا يصح الاستشهاد على الواقع بالقول. ولكن يجب إدراك الواقع من الواقع في الإحاطة به عن طريق التسامي عنه، والترفع عليه، أما القول فهو هدي للفت النظر إلى كشف الواقع.

قلنا إن الإنسان وهو على هذه الأرض -وكلنا طبعا مدركين أننا مرتبطين بهذه الأرض- له ارتباط باتجاهين يتجهان إلينا، ونتجه نحن إليهما، ينتهي أمرهما إلى ثالث هو حياة الأنا، وهو اتجاه ليس فيه خروج من طبيعتنا، وهو انتشار الكائن البشري في محيطه من أرض ذاته من المجتمع البشري، برؤية الكمال في نوعية هذه الحياة، والانتشار والبقاء فيها بالتكاثر عن طريق التناسل. وهذا الاتجاه الفردي يقابله اتجاه من المحيط البشري إلى الفرد الفارض لإرادته على قائم تواجده. فالاتجاه متبادل بين الفرد والجماعة من حيث مفردات سبقه، ومفردات لحاقه، في معناه المتواجد.

إذا هناك ثلاث حركات تصدر عن الفرد، ومثلها يستقبلها الفرد.

أتحدث عن الفرد الآن لأن الفرد هو عين الجمع في الحقيقة والواقع.. بمعنى أنه إذا أدركنا ما يصدر عن الفرد وإليه أمكننا أن ندرك بالقياس ما يصدر عن الجماعة البشرية وإليها في وحدتها، وهو ما يتوفر من حيث صدوره من الجماعة، ومن حيث استقبالها له في حال تجمع مفردات من البشرية (حول نواة منها) إلى جميعها على المحبة والتفاني في معنويات الحياة، وعدم الخضوع لإذلال مادياتها. هذا التجمع والتفاني من مفردات الجنس على معنويات الحياة، وشرف الجنس، هو ما نسميه الدين والاستقامة عليه، والسلوك فيه، والطريق في الدين، والمعرفة والسير فيها.

هذا الأمر على ما جاء في الإسلام ينتج أو ينتهي إلى شأنين أساسين، الأول مدرسة، والثاني مملكة. أما المدرسة فهي المعرفة وانتشارها، وأما المملكة فهي العدالة وقيامها. والنتيجة الطبيعية للمعرفة والعدالة هي قيام جمع صالح، أو أمة صالحة لها ملك صالح، أو نظام صالح، قدوة لجماعات البشرية تصلح لأن تكون عنوانا صالحا يحتذى لممالك الجنس، وبذلك تنتقل الرسالة والدعوة من الفرد للجماعة، ومن هنا قال من قال (إن الإسلام دين ودولة)[1] فهو مدرسة ومملكة.. والمدرسة فيه مستقلة عن المملكة فيه، تمام الاستقلال. والمملكة فيه أيضا مستقلة عن المدرسة، تمام الاستقلال. وإن اتحدت المدرسة والمملكة، في اتحاد القيادة بقائد واحد، اتخذت وحدتهما طريقها في يسر الإصلاح، وعنونة الصلاحية.

فإذا استقلت المملكة والمدرسة، إحداهما عن الأخرى، في بيئة الإسلام، وجب أن يتعاونا، بلا سيطرة من إحداهما على الأخرى، كل فيما له، بما اختار لنفسه، لأن الإسلام دين يقدس معاني الحرية، للفرد وللجماعة، كما يحترم ويكرم العقل.. فالممالك في بيئة الإسلام قد تتعدد -والإسلام لا يمنع ذلك- والجماعة المسلمة في أمة الإسلام قد تتعدد -والإسلام لا يمنع ذلك- والمدارس أيضا في الإسلام وإن لم تتعدد في التوحيد وحقيته فإنها في طريقها ووسائلها إليه قد تتعدد.. فقد تتعدد المدرسة أو تتوحد ولكن يقوم الإسلام على شعار ثابت من الحرية للجميع، والحرية للفرد، والعبودية لله.

ونقدم هذا لأنه يمس موضوعنا مساسا جوهريا، وإن كنت وضعت الغاية تحت المجهر قبل إبراز الوسيلة إليها. فلنرجع إلى عنوان حديثنا (واقعية الروحية).

إذا أدرك الناس واقعية الحياة، وواقعية الدين، وواقعية الله، وواقعية الفضيلة، كان للنصيحة والموعظة بينهم ثمرة مدركة.. {وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا}[2]. يتحدث الواعظ أو ما نسميه الفقيه -وما هو بفقيه ولا بواعظ- فيجعل حديثه أو تواصيه مع الناس.. ولا أقول تواصيه لأنه قلَّ أن يتحدث بلغة التواصي، (القناعة كنز لا يفنى)[3] مثلا كعنوان لموعظة بين العامة. كيف تكون القناعة كنز لا يفنى، والرجل الذي أقول له ذلك قد لا يملك شروى نقير من أسباب الحياة؟ وإن ملك فإنه لا يملك ما يكاد يكون سدا لعوز، وأطلب من هذا الرجل أن يؤمن بأن القناعة كنز لا يفنى!! وليت المتحدث يقصد مواساة هذا الفقير فيما حل به من ظلم الآخرين، ولكنه يقصد إلى خدمة وستر الظالمين.

الحقيقة أن القناعة كنز لا يفنى.. هذا حق وهذا صدق.. ولكن عند من؟ ولمن تكون هذه الموعظة؟ عند من يريد أن يدرك أسرار الحياة وأسرار الوجود وقد ملك الدنيا وهو فيها إلى مزيد.. عند رجل قد يملك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ولكنه لا يملك السعادة، فإن وجدها مفاضة من قلب صادق ممن قام في (القناعة كنز لا يفنى) ترك دنياه لغيره، ممن يحب وممن لا يحب تخلصا منها إلى

رغبة في فضيلة يرى أنها أغلى ثمنا وأعلى مكانا من أن يجلس في صدر مجالس الناس بماله، وأن يكون له اليد العليا على الناس بدنياه، لأنه أصبح يريد أن يقيم في نفسه من الله حقيقة تسعده، فيعتزل الناس إلى خلوة، أو إلى معلم يضع نفسه بين يديه يعلمه من حكمة الله.. وما يعلمه مقالا ينقل.. ولكن يعلمه حالا يقوم وقياما عنه تصدر الحكمة.. يعلمه أن الإنسان إن صدق مع الله تنقطع حاجته إلى الناس، وتنقطع حاجته إلى ما يحتاج إليه الناس، وتنقطع حاجته إلى الطعام.. إنه يُطعَم من الله مع أنفاسه وفي كل رزق.. وتنقطع حاجته إلى الماء إذ يرتوي من الله، ومن ماء الحياة في أثير الوجود، يملأه ريا ويطلقه فيه حيا.

هذا مجال الحقائق وليس هذا مجال أُنَاس يوجهون إلى العمل الصالح يعبدون الله بكسب قوت يومهم، فالفقيه يحرف الكلم عن مواضعه، أو يخاطب مثل هذا الإنسان بأن القناعة كنز لا يفني، لأن هذا الإنسان لا يمكنه أن يدرك معاني القناعة في معاني حقية الرباط مع الله حتى يتحقق بالقناعة في رباطه مع الناس. ليست هذه طريق للإرشاد أو للتعريف عن الحقيقة لأنها وضع للشيء في غير موضعه، وتحريف للكلم عن مواضعه. فكيف إذا قصد المتحدث ضياع حق المخاطب في المطالبة بالعدالة أو الحرية بمثل هذا الخطاب؟

يقول لي الواعظ الأجير أو الدعي "الله معك" مرددا عبارات الكتاب "هو معكم فراقبوه واخشوه". إني أُسلِّم له أن الله معي.. لكني لا أحسه معي.. ليس هناك واقعية لله معي. يقولون لي هو معك. وإن أردت سؤالهم ليفهموني كيف هي معيته، يقولون هو معك وكفى. إن الحاكم معي بقوانينه.. فهل الله معي على هذه الصورة من معية حاكم مخلوق مع محكوم مخلوق أو عبد أقام نفسه على عبد مغلوب على أمره؟ الكتاب يقول لي {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة}[4]. كيف أذكره وأنا لا أحسه معي حتى أقول له: يا إلهي.. صادرة من قلبي أو من عقلي؟

معي على أي صورة يا سيدي؟ ستقول لي سوف تدرك ذلك في الجنة إن كنت من أهلها، وتكون من أهلها بمناسك الدين. أين هي الجنة؟ أفي السماء أم في الأرض يرثها الصالحون؟ الكتاب يقول لي عرضها السماوات والأرض.. أعدت فعلا للمتقين.. قطوفها دانية.. فالأرض جُزؤها وفيها ومنها، وكذلك النار.. أليست موجودة لنا بما نحن فيه من شمس وزمهرير مبرزة للغاوين؟ فنحن فيها إذن، فأين البعث؟ وهل هذا بعثنا؟ وهل قام حسابنا؟ أم تقولون لنا إن الله في قابل سيحاسبنا؟ الله ماضي وحاضر وقابل، هل عنده من يحاسب بهم وهو الذي يقول {كفى بنفسك عليك حسيبا}[5]؟ والرسول يقول (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا من أنفسكم)[6]، وهو الذي يقول إنه قائم على كل نفس.

كل هذه القضايا الموجودة في الدين، إذا لم يكن لها واقع مدرك يقبله العقل، ويتقبل له الحس، ويقيمه الإيمان واليقين، تصبح قضايا لا قيمة لها، ولا أثر لها على الناس، وتصبح تعاليم الدين كسيحة جوفاء.

لو رجعنا لعصور التأسيس للأديان، سواء كان في عصر موسى أو عيسى أو محمد، لوجدنا الجماعات التي قامت في هذه العصور قد قامت بصورة من النشاط ومن الحركة ومن الحيوية، نحن غير قادرين على إرجاعها رغم ما أصبحنا نملكه من علوم الاجتماع والطبيعة، ووُصفوا لنا بالذين يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة.. والجنة عرفها لهم. لقد كان لقضايا الدين واقع في حياة الناس. استمِع لمن قال: (فكأني أرى الجنة والنار رأي العين، فقيل له عرفت فالزم من معلمه)[7].

فما هذا الدين الذي يُبنى كله على التسويف، ولا واقع له في أي ناحية من نواحيه، أو زاوية من زواياه! الساعة سوف تأتي.. الجنة سوف تذهب إليها، والنار سوف تدخلها، والحساب سوف يقوم في يوم للحساب، والله سوف تلقاه في يوم القيامة، ورسول الرحمة سوف يشفع لك في يوم لشفاعة!! واليوم يكفي الناس أن يسمعوا لهذا الضلال فتموت قلوبهم، وتتعطل عقولهم، وتظل في سجونها من وعيها نفوسهم.

الدين في صورته الحقيقية لا يعرف معنى التسويف إطلاقا. وما جاء بشيء ذكره إلا كان واقعيا وليس به أي تسويف. إنه يصف الحياة على ما هي بشقيها من الذات والروح.

إن الاتصال الروحي في هذا العصر يُعرّف عن الدين على حقيقته، وفي دائم قيامه بدون تسويف. كل ما قيل في قضايا الدين نشهده اليوم واقعيا، ونجد كلمة "سوف" مرفوعة من تعاليمه. الجنة في وصفك وقرين وجودك ما طلبت التحرر من سجن المادة لجسدك، والنار ما تقيدت نفسك في سجنها بغرائزك. والله هو معك.. أقرب إليك من حبل الوريد عقلا وحسا. والذي يريد رؤية ذلك فهذا أمر لا جدل فيه، ولا نصيب للمجادل منه، فليدخل مدرسة الروح ليرى ذلك.

لماذا ينتظر الناس الجنة وعرضها -على ما حمل لهم-السماوات والأرض! فالناس يعيشون فيها لأن عرضها السماوات والأرض.

والنار ليست بعيدة عن وجودنا كذلك. وليس هناك حساب بعيدا عن مشاكلك اليومية وما أنت فيه.. إن الله سريع الحساب يحاسبك مع أنفاسك، ولكن كشف هذا الحساب لك في يدك أنت إذا حاسبت نفسك بنفسك. وإذا أحببت أن تعرف ذلك فهذا جزاؤك وعذابك. وإن كشفت لك نعمته

فهذا عطاؤك. الخير في نفسك، والشر في نفسك.. إنها كتابك دائما.. إنها دنياك دائما.. إنها مطيتك دائما.

إذن معاني الدين كلها واقعية، وواقعيتها تأتي من كشف الإنسان لمعانيه بإرادته. فلِمَ نضيف كل شيء إلى مجهول، ونفسك مجهولك، وفي دائرة إمكانك العلم بها؟ فمعنى هذا التجهيل الدائم فتح باب الغي لنفسك، والمخادعة لها، ومخادعة الناس بها. والواقع أنك أنت الذي تكيف قضايا نفسك. هذا الذي أقوله له سنده من القرآن والسنة، وألفاظ القرآن صريحة فيه، وليست في حاجة إلى كتب التفسير واللغة، عند من صدَّق الله، وقبِل ألفاظ كتابه على ما هي بظاهرها.

الروحية تقيم هذه القضايا حية بعيدة عن الألفاظ المنقولة إلى مصطلحات جديدة. وساطة.. إلهام.. كتابة تلقائية.. جلاء بصري أو سمعي.. طرح روحي.. تجسد.. وما إلى ذلك.. إنما تكشف عمليا أسرار الإنسان حتى يصبح جهازه صالحا لإفاضة الحكمة، وقلبه مشرقا بنور الله على نورانية العقل، فيحج العقل إلى كعبة القلب بيتا للرب.. كل هذا أمر واقعي، وليس أمرا خياليا.

لم يكن شيء مما تأتي به الروحية في هذا العصر في غير متناول التصوف الإسلامي، أو التصوف في بيئات الرسل والحكماء من معلمي الشرق على قدر فيه. وقد أثبت التصوف الإسلامي واقعية الإيمان، كثمرة للإسلام للرسول الحي بوجه القيام.

فكشف الحجاب، والفتح المبين، والاطلاع على ألواح الغيب في الحاضر والماضي والمستقبل، ومقام الأبدال، وأهل التصريف، وأقطاب الوجود، والحضرة الأرضية مظهرا للعلوية.. كل ذلك وغيره كان من علومهم.

ولكن أدعياء الإسلام والإيمان الذين تصدروا لحمل لواء الفقه لأهله لم يعتبروا عترة الكتاب مصدرا لهم، فانحرفوا بالكلم عن مواضعه، وانحرفوا عن الطريق المستقيم لتقويم العقائد في الرسول ومواصلته لرسالته، وتقويم العقائد عن النفس البشرية في ظلامها، وفي نورانيتها، وفي إمكانياتها وقابلياتها للمنح الإلهية.. ووصفوا علوم المتصوفة بأنها مواجيد من خيالات وأوهام من وحي أنفسهم، ولم يروا فيها معاني الاتصال بالجانب الغيبي من الإنسانية الكبرى في حضرة قدسها بعالمها الأكبر. وما قامت هذه الصلة بين شقي الإنسان إلا مواصلة للرسالة النبوية المتصلة بنفس الحقيقة المواصلة لفعلها.

فالفقهاء متابعين أهل الطاغوت عقروا رسالة الإسلام في نشأتها، فواصلت سيرها كسيحة مقعدة، ولم تنهض لتقف على قدميها بعد.

فالروحية وهي تكشف واقعية معاني الإنسان فيه لنفسه.. هذه الواقعية هي أكبر واعظ، وأكبر معلم.. وهي الواعظ الممكن للإنسان أن يقيم معاني الفضيلة في نفسه لينهض من كبوة آبائه بمجتمعه.

لقد أصبحت تعاليم الدين ألفاظا مألوفة للسمع، وميسر الاستماع لها وقراءتها، وأصبح القرآن ألفاظا ميسرة للحيازة بأقل الأثمان، وميسرة للسماع بدون مقابل من المذياع في ترنيم مستساغ. ومع ذلك فالدين بفضائله الحية أبعد ما يكون عن مجتمعه. وكذلك أحاديث الرسول تحاز وتردد، ولا أثر لها عند سامعيها، وهذا من مئات السنين. فهل فارق الناس مألوفهم من حيازة المطبوعات أو الاستماع للمنقولات؟ وهل عرفوا أن مجرد السماع للحكمة لا يولد الفضيلة عند السامع بما هو فيه من التجربة؟ هل فكر الناس في أمر أنفسهم، واستعادوا لنواظرهم عصور أنبيائهم ومعلميهم وأدركوا أن الحكمة الحية من القلوب الحية هي التي تحيا بها القلوب، ويمحى بها ظلام النفوس؟

أما الآن.. فإن واقعية الرسالة الروحية وتعريفها للإنسان عما فيه بمصدرها الحي ينتج فعلا أثره. وقد أصبحنا الآن نعرف الوسطاء والرائدين برجل روحي، وهو بعينه من كنا ندعوه برجل صوفي، أو صافي أو متصوف.

إن الله معنا وأقرب الينا من حبل الوريد.. بالروحية وصلاتها يصبح هذا التعليم واقعيا وقابلا للحس والإدراك، فتشهد واقعية معية الله للجميع.

أراد مرشد صوفي أن يعلم أولاده واقعية المعية لله فأعطى كل واحد منهم سكينا ودجاجة، وقال لهم: إني أريد أن يذهب كل منكم إلى حيث لا يراه أحد، ويذبح هذه الدجاجة.. والذي يذبح الدجاجة دون أن يراه أحد سأعطيه مكافأة ثمينة.. فذهب كل منهم إلى مكان منعزل، وذبح الدجاجة لأنه غير رائي لأحد معه، وجاءوا إلى شيخهم وقد ذبحوا الدجاج، ما عدا واحدا دخل عليه بالدجاجة حية، وسكينه في يده.. وقال للشيخ: لقد طلبت إليّ مستحيلا يا سيدي. إني لم أجد مكانا ليس به أحد يراني لأني كلما قصدت مكانا خلوت فيه بنفسي وجدت الله فيه مشاهدي، فكيف أنفذ أمرك يا سيدي؟ فقال له: أنت الذي فهمت مرادي. وبدأ يعلم تلاميذه واقعية الله معهم في جميع أفعالهم وأحوالهم.

الروحية تعطي هذه المعرفة في قيام دائم محسوس لأبنائها.. فأنت إذا كنت رجلا روحيا وكان هناك خطر لا تحس به في طريقك ستجد الروحية تنبهك إلى ذلك بنوع وساطتك، وتحفظك من الخطر بوسائلها، فستشهد واقعية معية الله ودوامها في واقعية الإحساس بها..

فإذا لم تكن الحكمة أو العقيدة أو الدين أو التجمع في طريقه منتجا لأثره في واقعية محسوسة، فخير لك أن تترك.. الروحية الآن تعطي واقعية في صلاتها واتصالاتها، تنتج جميع ما عرف الجنس البشري من معاني الفضيلة والحكمة في تاريخ الجنس.

ها أنا أتكلم عن الروحية ولا أتكلم عن الفضيلة، لأن الفضيلة ستكون فيك إذا احترمت فكرة الاتصال، وهذا الاتصاف بالفضيلة وقيامه نتيجة حتمية له.. وهذا من معنى واقعية الرسالة الروحية أيضا لأنها تنتج صلاحية الفرد والجماعة ممدوحي الصفات عمليا.

الروحية تقدم البيان للمصطلحات الدينية في العقائد القديمة مدركة مستساغة غير محرفة عن مواضعها من طبيعة البشر، وألوان الإنسان ومعارجه للحقيقة في نفسه.. فذات الإنسان البشري من الطين والتراب، والمادة المظلمة هي وثن للعبادة، وشيطان للأعلام عن الكون في صورته المصغرة. وتعشق الذات والقيام في خدمتها رابة مؤلهة هو عبادة الشيطان وطاعته. وكذلك النفس كنار موقدة لا تخمد هي نار الله يتخلق منها إبليس، وتتخلق منها نفس آدم.. فنفس آدم وإبليس من طبيعة واحدة.

ونفس آدم مختفية وراء جلبابها من التراب وهي قلبه الحي الممد له بالحرارة، والحياة، والقدرة على التكاثر بالتزاوج والتناسل بجلباب الأديم الأرضي، وبذلك تنتشر نفسه وتكبر كلما تعددت مواعينها وأجهزتها من التراب.

أما إبليس فهو تكوين ثابت لا يعرف التناسل والتزايد به ولكنه يعرف التجمع والتكتل والاعتزاز به. أما آدم فإنه يملك الأمرين.. التكاثر من الفرد والالتئام حول الفرد. ويتوالد إبليس ويتكاثر عن طريق أبناء آدم بمشاركتهم فيما يفعلون بالامتزاج والسريان والاستجلاب لحظيرته، وبذلك ينتشر بانتشار البشرية ويتزايد بتزايدها. وهو في الواقع بشرية وإنسانية، وفرع عنها وأصل لها في آن واحد.. فهو موجود قبل آدم، وهو متخلق من مخالفة آدم نفسا له ترد إليه من عمله. والديانات القديمة إذ تقدمه في صورة الكائن العاق لآدم، الرافض للسجود له، والامتثال لأمره، فإنما تقدم الأصل البشري لأبناء الأرض في استعلائهم على الأصل لأبوتهم مادة وروحا. إن البشرية ترفض السجود لآدمها، ولا تقبله ربا، ولا إلها لها، لا ولا خليفة عن الغيب في المعاملة والواقع.

وليس آدم إلا أب ووالد كل ابن ما وجد الابن واتصف الوالد بصفته للولد. وكل أب متصف بالبنوة وليس كل ابن متصف بالأبوة. فالوصف الشامل للبشرية هو البنوة، والوصف المميز والطارئ عليها هو الأبوة، والفعل الصادر من الأبوة المميز لها أيضا هو إيابها إلى الأبناء، أو إيابها إلى الآباء، وهو الهجرة.. فإن آبت إلى الأبناء كان في فعلها الرسالة والرسول {بيت وضع للناس}[8]، وإن آبت إلى الآباء

كان في ذلك القدسية ووصف وفعل الربوبية والألوهية للإنسان. فالأبوة العائدة للأبناء قدسية الرسول والرسالة. والأقدس الأبوة العائدة للآباء.. ففيها ومنها قدْس الرب، وألوهية القدس، وشرف الإنسان في القدس والأقدس، {بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه}[9]، والبيوت موضوعة أو مرفوعة إنما هي رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، عمرت قلوبهم بيوتا له بنوره تدخلها النفوس المطمئنة، وتعكف بها قائمة ساجدة راكعة.

والإنسان بجهازه البشري من الحياة البدئية للتواجد في معارج الحيوات الروحية.. هذا الجهاز القائم بامتداد النفوس الكلية للجنس تصدر عنه لطائف من الطاقة حسب مصادرها من تكوينه الجامع، فمنها اللطائف المظلمة الدكناء من احتراق الذات احتراقا جزئيا يستهلك خلاياها على صورة ونظام دوري جزئي، شامل للجوارح والأعضاء الداخلية والخارجية، وهذا المعنى الشامل القطعي لضرورة ورودها النار وقودها الناس والحجارة. ولم تخرج الحجارة أيضا في قوانين هذا الاحتراق عن الناس. وهذا الذي ينطلق على هذه الصورة هو المشار إليه بالدخان الذي هو السماوات والأرض، تؤمر بالمجيء للمصدر الخالق، للأصل المنطلقة منه والذي منه تواجد هذا الأصل وعلى نفس الصورة.

فمن ذلك يفهم أن هذا المنطلق هو بدايات تتجمع إلى سحب لسدم تكون أصلا لجديد من عوالم للسموات والأرض تقوم بذكر الله. فإذا انطلقت هذه الطاقة من اللطائف الأثيرية من احتراق الجسد متوهجة متألقة كانت لطائف حمراء. فإذا كانت أكثر تألقا وأشد حرارة كانت اللطائف زرقاء، وهي تتعدد بعدد طيف الشمس لأن الطاقة الحرارية للشمس هي مصدر النار الموقدة، المكسبة لهذه الأجهزة الأرضية الطاقة الحرارية والقدرة على الحركة. فإذا تجمعت اللطائف بألوانها قبل انطلاقها من الجسد خرجت بيضاء متألقة.

ومن هذه اللطائف المنطلقة من هذه الأشباح تتكون لتتواجد ذوات معانيهم للحياة التالية، وتتجمع لتكون جهازا يستقبل الأنانية عند انطلاقها من جلدتها الراهنة بعد نضجها، وانتهاء صلاحيتها لمواصلة العمل، واجتيازها لبوابة الموت لبدء الحياة في أول عوالمها بعد عالم النشأة والبدء في هذه الأرض.

وقد ينتقل الكائن البشري ولا يجتاز بوابة الموت، وقد يجتاز الكائن البشري بوابة الموت قبل أن ينتقل. إن الانتقال أمر منفصل عن الموت تمام الانفصال. الموت مقدمة الحياة وهو التخلي عن القيام بالأنانية إلى القيام بالغيرية. أما الانتقال فتبقى فيه الأنانية وبذلك تبقى الشخصية على حالها دون تغيير فلا يتم الموت، ولا تبدأ الحياة، وتتعلق الشخصية بالبقاء في الأرض والعمل على الظهور بما كانت عليه، وتعطى ما تطلب فيتم انتقال آخر دون موت فبدء للحياة. وهكذا لا يموت ولا يحيا.

إذا أدركنا هذا الإدراك بتحقيق أي مرحلة من مراحله تيسر لنا الفهم للكثير من القضايا الدينية، وتحصيل نصيب من العلوم الروحية يكشف لنا عن أسرار الحياة التي نقومها، وغاياتها، وحكمتها، وطريق السعادة فيها، وكيفية البعد عما في هذه الطريق من عقبات تحول دون الوصول إلى الغاية.

نعرف الجنة ومدخلها، والنار ومأمنها.. والله نحن فيه وملكوته هو فينا، وأمره هو معنا يهدينا ويجمعنا. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.. ونكتفي بهذا القدر الآن، ولنا للحديث في هذا الموضوع عودة إن شاء الله لنبين لكم كيف أن الروحية بما تقدم اليوم من علوم لكشف أسرار الكون والإنسان فيه تقدم مرة أخرى أصولا للفقه الديني، والسلوك العقائدي لتجديد الجنس البشري مرة أخرى في أثواب الفضيلة.

أضواء على الطريق

- ما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل مما فرضته عليه
- ولا زال عبدي يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه
- إذا أحببته كنت:
- يده التي يبطش بها
- ورجله التي يمشي عليها
- وعينه التي يبصر بها
- وأذنه التي يسمع بها
- وإذا أحببته كنته
- وإن سألني لأعطينه ـ. (حديث قدسي)[10]
- الله معنى في الإنسان. والإنسان معنى في الله. بظهور معنى الإنسان يغيب معنى الله. وبظهور معنى الله يغيب معنى الإنسان. بظهور الإنسان يوصف الظاهر من الله بالعبد. وبظهور الله يوصف الظاهر من الإنسان بالرب. فكلمة الله كلفظ إنما هي لفظ يطلق على الإنسان في حال ظهوره بقدسيته، كما أن لفظ آدم يطلق على الله في حال ظهوره في جلباب من جلابيب خلقه.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 عبارة استخدمها ويستخدمها معظم علماء الفقه الإسلامي. ويستخدمها السيد رافع بمنظور خاص واضح في شرحه لها في السياق.

2 سورة الكهف - 68

3 مقولة للإمام علي كرم الله وجهه.

4 سورة الأعراف -205

5 سورة الإسراء -14.

6 مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)

7 حديث شريف: عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "كيف أصبحت يا حارثة؟ "قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: "انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: "يا حارثة عرفت فالزم" " رواه الطبراني في المعجم الكبير. كما جاء في روايات أخرى باختلاف يسير.

8 سورة آل عمران - 96

9 سورة النور -36

10 تأملا في معاني الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي ولِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَساءَتَهُ." أخرجه البخاري:

(٣)

قامت الصلاة
أزلية دائمة
وسطى عارمة

إليك رسول الله روحا وذاتا ومعنى

إليك سيدي وجهتنا

وإليك سيدي ضراعتنا

لقد علمتنا ـ سيدي ـ دَوام حق الله متكلما وفاعلًا.. مقيمًا وراحلًا.. متكلمًا دواماً بعلم.. وفاعلًا دواماً بحِلم..

علمتنا بنفسك نتكاثر منها أفضت الحكمة تحمل ثمار التجربة لك وفيما تشهد، وعنك وعما تعلم بجديد عن قديم لا يدرك عدده ولا ينتهي مظهره في حياة لا تتعطل، وتجربة لا تنقضي، واستزادة معرفة لا تتوقف. وبين فطرة به تقوم، وله تقيم.. معلمك في العلماء، وهديك في الأتقياء، وسفورك في الأولياء.

علمتنا بهيكل بلاغك وبكل هيكل. علمتنا بطفولتك، وعلمتنا بفتوتك، وعلمتنا برجولتك، وعلمتنا بكهولتك، حيوات تجمعت في ذات لك، وتفرقت في تكاثر منك. علمتنا بحياتك كما علمتنا أضعافا باحتجابك، وضاعفت معارفنا من حجابك متعددا بما أقمت من جلبابك متجددا.

علمتنا رخاء الحياة كما نراها معك، وعلمتنا في بؤس الحياة كما نشهدها عنك. علمتنا وأنت تحت الناس وسلطانهم كما نزعم، وعلمتنا وأنت فوق الناس تحت سلطانك كلما ترحم.

علمتنا كيف نتصرف مكلفا، وكيف نتصرف مختارا، وكيف تتجه عالما بمسالك الطريق، وكيف تتجه متحسسا في حجابك عن الطريق.. وأنت نعم الطارق وأقوم الطريق.. وأنت الحاجب والمحجوب.

علمتنا كيف نفرق بين الوعي والغريزة مميزين، وكيف نؤلف بينهما ناصحين مجاهدين، وكيف نراهما فيهما موحدين، وكيف نقومهما سالكين، وكيف نجيبهما متصلين، وكيف نعبدهما موصولين. علمتنا متعلما لنكون دواما متعلمين. وعلمتنا معلما لنكون بك معلمين. وقبلت منا متعلما ليبقي منا متعلمين.

وترفعت علينا معلما لنحيا بك بالعلم مترفعين. انعزلت عنا بعظمتك لتبرز لنا نعمة الله. واندمجت بنا بخليقتك لتبشر لنا مِنَّة الله. عبَّدت نفسك لربك معك لنتابعك إليه معنا معبدين. وكشفت الحق منه بك لنا موحدا لنكون معكما موحدين، ولكما عاشقين. وعرفت الله غاية تطلب هي من ورائكما غيبا محيطا لنكون له بكما طالبين. عرفت ربك القديم قبل الأزل، وأنت من أزل له الجديد بلا بدء، فأنتما لنا السبق بلا بداية، ونحن لكما اللحاق بلا نهاية، والله من ورائكما ومن ورائنا منكما الغيب المحيط. بكما غيبا لنا نؤمن به لكما نؤمن بكما، وبه غيبا ومشاهدين وبأحدكما نراكما بنا، وخلوا منكما نرى الفناء، وندخل في الفانين. وبوهب معنانا وتسخير مبنانا نرى البقاء وندخل في الباقين، مشهود لنا ربنا وهادينا، غيب منزه موجود إلهنا وبانينا. أنتما معنا الأب والأم ما بكم حيينا، ونحن لكما الأبناء والعين ما إليكم أووينا.

سيدي رسول الله وعلم الحق منه وعلم الحق فينا..

لقد حمَّلت قولك وفعلك وخبرك للحكماء وللهادين، كما حمَّلته قبلا نبيا للنبيين، ثم جددت بين الناس وجهك وأثرك في العالمين، وعلمت من تعلم عنك مقتفيا، كما أسفرت لمن طلبك دنفا، ولم يصدف عن حقك من حقك دلفا. فأفاد الناس منك سيدي رحمة الله للعالمين، وأفادوا بك كل طالب لرحمته، وأفاضوا منك سلاما لكل مسلم من نعمته، وواصلت الحياة ركبها من حضرة للخلق إلى حضرة للحق، قليل الشكور، والكل بك في الغفور.

وها نحن اليوم نفتقد الشكور، ونرتجي الغفور، ونحن أحوج ما نكون لشفاعة الشاكرين، وصحبة المستغفرين. لقد تطلعت نفوسنا إلى قوائم عرش ربك نرتقيه، واستعلى سلطانها على ضعفه بوهم سلطانه على الكون نمليه.

وأنت رحمة الله للعالمين، حَتّام تبقي في قيود رحمتك من الحكمة الشاملة والرحمة الأزلية الكاملة، مكتفيا بسبحك الطويل في نهار وجودك، كاشحا الوجه عن نافلة موجودك وبعث محمودك؟

ألم تخاطبه يا سيدي بيننا يوما: إن تهلك هذه العصبة اليوم، لا تعبد في الأرض[1]، فأجاب لك السؤل وحقق لقومك النصر؟ جادل سيدي عنا فقد فتح علينا ما منه حذرنا، وبه أوعدنا فتح أبواب كل شيء، وما خرج الشيء عن سلطانه، وما خرج فتح أبواب كل شيء عن إحسانه، فليكن هذا لنا لا علينا بغلبة رحمته بها لنا وعد، وليرد عنا غضبته بشفاعتكم وأنتم رحمته، بكم لها بيننا أوجد.. وما كان ليعذبنا وأنت فينا، وما كان ليعذبنا وأنت تستغفر لنا مستغفرين.

سيدي إلامَ يجلس هؤلاء الحمقى في مشارق الأرض ومغاربها على الكراسي باسم الإرادة؟ وإلامَ تبقى العصى في أيديهم وهم الصبية باسم القيادة؟ وحَتّامَ يقرأ الناس أهواءهم باسم التنزيل؟ ويضطرب

جمعهم باسم الترتيل؟ ويفقدون الحياة باسم الحي القيوم؟ ويزرعون الفتك والخصام باسم المحبة والسلام؟

سيدي دوام حق الله ورسوله

إن الناس ينتظرون سماع صوتك بينهم.

(ها أنذا رسول الله بينكم)، وإن لم يكن بعيدا عن حبيب، ولكن مضطربا مبلبلا ينتظره وهم كثير، وحائرا ضالا يفتقره، وهم أكثر.

طأها سيدي كما رخص لك لتبقى عليها للحياة. لا تذرهم طغاة مهلكين لقلوبهم والبيوت، وأنت المشرع {ولكم في القصاص حياة}[2]. ناصر عباد الحق منك وأنت جماعهم، على عباد الشيطان منا وأنت انقطاعهم.

سيدي جماع الكلمات وروح الآيات.. جدد في الناس صيحتك، وارفع الستر السوداء عن قبلتك، وأعلِ كلمة الله منك، انشر بها في الناس روح أمره بينهم، وأشرق بها بحقك، واجعل من يوم للناس يومك بعثت، وساعتهم لربك منتهاها، فما عرفوك وما طلبوه، وما تابعوك وما اتقوه إلا من رحمتم، وعن ظلام النفوس حجبتم، ومن ظلمها استخلصتم، على نصيب بقضاء من غفلة، وموهوب من يقظة. وقليل الشكور والناس بك في الغفور.

سيدي روح قدس الله.. اغفر جرأتنا، وتجاوز عن زلتنا، فقد دفعنا للجرأة دالة، فما قلنا إلا ما نعلم أنك تحب وتعلم، بل نراك له أحب وبه أعلم، وأمرك فيه أقوم وأحكم. ولكن لعلَ مستمعا للحديث يستيقظ، أو منتفعا به يوقظ. أما زلتنا فإنا نأتيها مستشفعين بما يحتويها، من رجاء ارتفع بك فينا إلى موجود برحب جودك من جوده بأنا منك وإليك، وأنك منا وإلينا بوحدانية موجودك من موجوده، قولا وفعلا وكينونة واسما ورسما، لعل طالبا مجتهدا لك يتابع، أو بصيرا مرتفعا بك يطالع.

إليك منا من الله الصلاة، وإلينا منك من الله الصلاة صلاة لله.. وصلاة من الله ما كان الله، وما كانت منه وإليه صلة وصلاة، وما كشف بفضله في الوجود للجود عن معناه.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 إشارة إلى حديث شريف يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ربه: "اللَّهمَّ أينَ ما وَعَدْتَني؟ اللَّهمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني، اللَّهمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ هذهِ العِصابةَ مِن أهلِ الإسلامِ، فلا تُعْبَدُ في الأرضِ أبدًا." أخرجه مسلم

2 سورة البقرة - 179

(٤)

مقدمة

عن الإسلام والمسلمين

إذا ذكر لفظ الإسلام ذَكر الناس رسالة التبليغ والهدى التي صدرت عن الهيكل الرسولي المصطلح على عنونته بمحمد - معه السلام وبه الصلوات. والحقيقة أن محمدا قد جدد تعاليم الإسلام وهديه ولم يكن رسول نشأته، وإن كان بجديد ذاته بعث رسول نشأته في الهيكل الرسولي لآدم بدئه.

إن كل رسالة هي وعي مؤسسها واستقامته، ودرجة تطوره في سبيل الترقي الذاتي والعروج اللانهائي ممثلا فيما صدر عنه من قول، وروي عنه من فعل، وترك عنه من أثر.

ودوام الرسالة في دوام رسولها متكاثرا، وسلامتها في سلامة بيئتها في الوعي لما هديت إليه ومثالية المعنى لذلك، ونقيضه آخر ما قام في بيئة الشعب المختار من سلالة آدم، وممن حمل مع نوح، ومن ذرية إبراهيم. ختمها الكلمة في هيكله الرسولي عيسى بن مريم على مثال من سبقه. باصطفاء لآدم وبنيه لم يذكر التبليغ هذا الآدم وملاحقيه من كلماته ولا مواطنهم إلا بالإشارة.

جاء رسول الفطرة وبعثها آدم عباد، ومصطفى غيب، وروح قدس، ومثالية للناس كافة، ليكونوا شعوبا تختار، وإنسانية تتحقق مع كلمات منه نتتابع، به يجتمع الجنس على حقيقة، وفيه يتفرق على مراتب...

ولكن بيئة محمد اختلفت على الإيمان بتكاثره بينهم وامتداده فيهم من صدر الرسالة، ففقدوا بذلك دوامها حية عاملة سليمة، وأعمتهم الدنيا بإقبالها عليهم عن الآخرة بإدبارها عنهم، في أعقاب احتجاب الهيكل الأول للرسول عن نواظرهم مواصلا ظهوره في أهل بصائرهم.. ففقدوا بذلك سلامة البيئة المصلحة، وارتدوا إلى بيئة جاهليتهم وإن زعموا بقاءهم على جدتهم حتى اختفت معالم الدين الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، باختفاء رب البيت عن النظر والخاطر، بغيبة الرسول وآله عن مجتمعهم. وبقيت جدران البيت -علما على ربه وآله- أثرا بعد عين يدور حوله الناس لا بعتيق مطوفين، ويتواجد به الناس لا إليه حاجين ولا به معتمرين، على مثال من آباء في الغابرين فعلوا فعلهم، ورأوا رأيهم قبل أن يأتي ربه، وأن يطوف به عبده.. فلا السفينة يركبون، ولا المدينة يدخلون.

إن الإسلام المجدد لدين الفطرة الأزلي متجدد مع تجديد الخالق لخلقه.. يفسد بفسادهم، ويصلح بصلاحهم. العقل أصله، واليسر منهجه، والتطور سبيله، والحب سياجه، والعمل الصالح موائده، والإيثار مغنمه، والأثرة مغرمه. فرده جمعه، وجمعه فرده. جماعته غير مضيعة بظالم، وحاكمه في أمن من عدله بأمته. شعائره السلام، ومناسكه الوئام، وصلاته الالتئام، ومعصيته الفرقة والاختصام. جنته في وحدته، وناره في فرقته، ساعته في الاجتماع على علمه، وقيامته في الكشف عن معلومه، وبعثه بكشف الغطاء عن ملكوت معناه لعين مبناه.

لقد غاب الإسلام دين الرسالة والكتاب بغيبة القائمين به، المقيمين له من صدر الرسالة والبلاغ - إلا من رحم- وبقي الإسلام دين الفطرة مع بقاء العقل ودوام الفضل بأزلي الأصل.

يتعثر الكثيرون من الإخوان في فهم ما نقدم لهم من معرفة، كما يتعذر عليهم تتبع ألفاظ الأداء، ولهم عذرهم، إذ أصبح الإسلام غريبا على أفهامهم بما تناقلوا وتوارثوا من عقائد، وما تلقوا من معارف بعيدة كل البعد عنه. وأصبحت الألفاظ المؤدية غريبة على أسماعهم بما حرفوا عن مواضعه من كلام الله ورسوله في متابعة المحرفين في ثياب الأئمة المجتهدين، ووهم وزعم المريدين الطارقين المجاهدين لأنفسهم من المؤمنين.

إذا كانت المعرفة التي يقدمها المعلم هي ما يعرف المتعلم، فأين هو التعليم؟ وإذا لم تكن المعرفة عن المعلم على نقيض من أوهام المتعلم فأين الإيمان؟ وإذا كان ما يقدمه المعلم داخل في طاقة المتعلم فأين الاقتداء؟ وأين التميز والتفاضل والتتابع؟ وكيف يقوم المجتهد ويتعين المتابع؟

إن قيادة المعلم لمجتمعه تقتضيه السير فيما يعمل به على خطو الصغير والضعيف فيه، ولكن ليس ما يعمل به هو التعريف عما يعرف عنه.. فإن إفاضته بعلمه ورحمته تقتضيه البذل والتعريف على طاقة أرفع مستويات مجتمعه ليزرع فيه، ويظهر منه تكاثره، ويكشف لمفردات المجتمع عن عمد بنائه. وإذا كان هذا أدب المعلم فأدب المتعلم ألا يطلب أن يكون السير في حدود خطوه، والمعرفة في حدود علمه، والعلم في حدود عقله، فليس هو عنوان للجماعة أو المثل الأعلى لها، وليس هو قدوتها، وليس هو أملها. كما أنه ليس له أن يطلب قصر المعلم عليه بمطالبته أن يكون في سيره وتعريفه في حدود ما يطيق، وما يتقبل له وعيه.. فليس المعلم في حضرة المتعلم في أحاديثه العامة والخاصة، ولكن المتعلم سعيد أو شقي بمجلسه في حضرة المعلم. ومن أدب المتعلم أن لا يرهق نفسه بما لا تطيق في خطوه وسيره، وينتظر الجماعة فيعرف زملاءه من مستواه، فمعهم يتناجى ويتناصح بالحق، وليعرف المتقدمين عليه فعنهم ينتصح ولهم لا ينصح. وليتأمل الملتصقين بالمعلم ليرى ويطالع مظاهر قضايا الحق في الخلق. وليس من أدب المتعلم أن يضع المعلم في دائرة وعيه، أو دائرة تمكينه، أو دائرة اختباره له، بل عليه أن يتخذه من

الجماعة مجال تأمله يراها له ربا ومعلما في وحدتها ماثلة في معلمه، وليس لفرد منها أن يكون معلما مع المعلم مهما سما وعيه، وبدت كرامته. فالمعلم في جماعته لا يتعدد بوصفه وإن تعدد بوجوده في عددها وامتدادها ومددها. وليقف جاهدا عند طاقته غابطا دائبا لا قانطا ولا حاسدا، ومقرا عاملا لا متكبرا أو منكرا.. سائلا الله الطاقة لما رأى لا مغاضبا فيما قضى.. ملتئما مع الجمع لا مفترقا ولا فارقا مفرقا.

وليس معلما من أراد بتعليمه مرادا من دنيا، أو مقابلا من ثناء، أو مرضيا من ولاء، أو مقبولا من جزاء. وليس معلما من قام علمه على التعريف عن نفسه فاضلا لا يفضل، سابقا لا يسبق، أو دار علمه على العلمية على الحقيقة في اسمه ورسمه دون من يدعوهم إليها، ودون باطنه وباطنهم بها قائم، أو قام فعله ومسلكه كاشفا عن احتجابها عنه في الناس، وفيمن يدعو من الناس، أو قامت دعوته إلى الحقيقة بعيدة عن دعوتهم إليها في أنفسهم.

فالمأجورون للدين ليسوا بمعلمين، ولكنهم إن فقهوا للفقه مدرسين وإن صدقوا رواة ناقلين، لا يكون لهم بقولهم شرف القدوة للمقتدين، ولا يكون لهم بوصف احترافهم شرف المرآة للمؤمنين، وإن جاز أن يكون لبعضهم بعملهم ذلك إن كان أهلا ومحلا له بمجاهدته وتقواه فردا من جماعة المسلمين.

وكذلك المستغلون لاسم الطريق، أو النفعيون الملتصقون لوضعها بزعمهم، ليسوا بمعلمين ولا عمالا لأرواح معلمين، فليسوا محلا للمثل الأعلى لله، وليسوا مرآة للمؤاخاة تجتلي.

إنما المعلم من علمه الله في مدرسة تقواه.. وأخرجه للناس حبيبا إلى الناس بمحبة الله للناس ظاهر رحمة منه، وظاهر كتاب له، وظاهر علم به.. باطنه قدرة الله بادية للقلوب، ماحية للذنوب، مفرجة للكروب، هاتكة للسر المحجوب عن القوالب في كنوز القلوب، تنكره القوالب وتعرفه القلوب.

فالإسلام الكتابي تعريف بالرسول معلما، وعن ربه متعلما، وبالحق قائما علما على مطلقه من الوجود، ومعلما وعلما عما وراء الشهود علما متكاثرا، ومعلوما عالما. والمسلمون من لبوا النداء متابعين -وقليل ما هم- أو سمعوا عنه مجاهدين وقليلا ما تراهم.

أما الإسلام بعثا للفطرة فهو تعريف بقدسية الوجود، علما على الأقدس من وجود موجد لا يتناهى تجليه بالجديد، ولا يدرك في قديمه بتعديد.. قريب من الموجودات قربا لا يتناهى حتى تطور في تطور الكائنات، وارتقى في رقي الموجودات، واحتجب بجديد الوجود عن قديمه.

من هذا النظر وعن هذا الفيض تصدر هذه الأحاديث التي يتجدد بها الدين تجديدا، ويظهر به جمال العقائد، وتستقيم به معالم الطريق للطارق، وتفتح به الأبواب لصاحب عقيدة أو طالبها.

إن الله ورسوله دواما معنا، وإن كلمته لمعنانا فيهما. إن الله ورسوله وعبده علمٌ وعالِم ومَعلوم لا وجود لهم في خيال عن رواية لراوٍ لما يروي عنه.

إن الله ورسوله وجود وحقيقة محلها المؤمن والكافر والعاصي والطائع. إن الله ورسوله سر الحياة وشرفها وظاهر الإنسان وحقيقته. إن الله ورسوله في كل دين، وفي كل عقيدة، وفي كل علم، وعند كل أمة، وفي كل زمان، وفي كل مكان، لا يستقل الإنسان بوجوده عن وجودهما، ولا يستقيم له أمر بعيدا عن أمرهما، علم أو لم يعلم، استقام بأمره لأمرهما أم لم يستقم. إنه منهما وإليهما ولهما. فإن أدرك ذلك فجنته، وإن جهله فمحنته، وإن قاومه فهلكته، وإن صالحه فعزته، وإن أحبه فحقيقته، وإن وحده فكلمته.

وها هو عالم الروح يقوم بيننا بما تجاهلناه من أمرنا، ويجدد لنا ما جفوناه من هدي رسوله في عديد صوره إلينا، لتستقيم إلى الحق وجهتنا، وتتجدد فينا إليه غايتنا، نفاذا لما جاء في كل بلاغ، ومصداقا لما بشر به كل هدي، وبيانا لما صدر به كل تكليف، وكشفا لما صدر عنه كل علم. وهو بالغ مراده من أمره في يسر. القدرة يده، والحكمة طريقه، والحلم جلبابه، والوجود ركابه، والأناة سنته، والرحمة شرعته.

(٥)

أدب الطلب لله
دائم مع كل نفس في الحياة
وراء عبده ومصطفاه

حديث الجمعة

٢٣ ذو الحجة ١٣٧٩ هـ - ١٧ يونيو ١٩٦٠ م

اللهم إنا إليك نجأر، وبك نستعين. اللهم إنك أنت أنت كما أنت لا شيء معك، ولا وجود لسواك، اللهم فاهدنا فيمن هديت، وارحمنا فيمن رحمت، واكشف عنا الغطاء حتى نراك ونرى معنانا قائما في معناك. لا إله غيرك ولا عبد ولا معبود سواك. اللهم خلص قلوبنا إليك، وأصلح قوالبنا لعبوديتك، واجعل جنتنا في معرفتك ونارنا في الغفلة عنك. اللهم إنه لا مهتدي إلا من هديت، ولا مقصى إلا من أقصيت، ولا قريب إلا من قربت، ولا عارف إلا من عرفت، ولا عالم إلا من علمت، ولا حي إلا من أبقيت، ولا كريم إلا من إلى نفسك أضفت.

عباد الله.. أواني الله.. عوالم الله.. خلائق الله.. كراسي الله.. عروش الله.. وجوه الله.. أشياء الله.. أرجعوا إلى الله ما جاء من الله في معانيكم، وأرجعوا إلى الأرض ما جاء من الأرض من مبانيكم، وأرجعوا إلى النور ما جاء من النور من معارفكم وعقولكم، وأرجعوا إلى النار ما جاء من النار من نفوسكم ونزواتكم. أرجعوا إلى الحق ما جاء من الحق في حقائقكم. لا تنسبوا أنفسكم إلى ما نسبتكم إليه الآباء والأمهات على معارف الآباء والأمهات، إلا من رحم بفرض الرحمة. ولا تقفوا مع مبعوث قديمكم في قيامكم من تواجدكم دون تطويره إلى ما هو أسمى من ماضيكم وحاضركم. من فاته معنى الحق في قديمه فلم يكن بقديمه في الحاضر مرسلا كلمة الله ونورا منه، فليطمع في أن يكون في قابله مجددا متعاليا مرتقيا خالعا لثياب قدمه، وثياب حدوثه، وثياب جدته، حتى يصبغه الله بصبغته، ويطبعه بطابعه كلمة له في قابله.

اعتقدوا أن الله فعل ذلك في قديمه، وأن الله فاعله في قيوميته، وأن الله فاعله في بقائه وديموميته، وأن من تحقق له ذلك في القديم فهو المنادى المخاطب بالأب والآباء والآب. ومن تحقق له ذلك في قيومية الله فهو البيت المدانى الموضوع، وهو بيت الطواف والذكر المرفوع، وأن من آمن بذلك في قديم الإنسان، وبحث عنه في حاضر الإنسان، عليه أن لا ييأس منه في قابل الإنسان. فإن آدم من آدم نشأ، وآدم من آدم ينشأ، وأن كلمة الله التي ما كان قبلها وجود هي كلمة الله في حاضر الله، وهي كلمة الله في قابل الله.

إن تعدد الأكوان تعدد لكلمات الله، وإن كلمات الله في روح جامعة لكلمات الله، وإن روح الله الجامعة لكلمات الله ما هي إلا روح من أرواح من روح الله.

إن الله لا يدرك له بدء، وإن الله لا يوصف بانتهاء، وإن الله لا يتسمى بالأسماء، ولا يتقيد في الأشياء، ولا تخرج الأشياء منه، ولا تنفصل عنه، ولا تقوم بغيره.

كونوا في الله شيئاً تكونوا في الله حياة، وتكونوا في الله روحا، وتكونوا في الله كلمات، وتكونوا في الله أرواحا جامعة لكلمات الله، وتكونوا في الله إرادة من الله.

إن قلم الله الكاتب، وإن لوح الله المكتوب، وإن يد الله الممسكة بقلم كتابه، ليس شيئاً غيركم، وليس معنى غير معانيكم، وإنكم إذا ما رجعتم إلى الحق على ما يليق أن يوصف الحق، كنتم للحق حقائق، وكنتم في الخلق خلائق.

هذا ما جاءت به أديان السماء كما جاء به دين الفطرة، ودين الجزاء، ودين العطاء. إن الفطرة دين الأديان. وإن السماء والأرض في فاطر السماوات والأرض ثمرة من ثمرات الفطرة. وقانون الفطرة من هذا الفاطر اللانهائي في وجوده مفروض على الوعي معروف للحس.

إن الله معروف لكم بمعرفتكم لأنفسكم، مجهول عليكم بجهل أنفسكم عليكم، لا تجهلوا أنفسكم من الله، ولا تجاهلوا ذواتكم من الوجود من وجوده، ولا أرواحكم من الأرواح من روحه، ولا عقولكم من الأنوار من نوره، ولا سركم من الأسرار من سره، ولا ظهوركم من الظهور في الأشياء من ظهوره، ولا خفاءكم عنكم من الخفاء في عظمة غيبه.

إن الله هو الله على ما هو الله، وإن الوجود هو الوجود على ما هو الوجود، وإن الأشياء هي الأشياء على ما هي الأشياء في صمدانية لا بداية لها، وقيومية لا إدراك لها، وبقاء لا انتهاء له.

هذا هو الدين، وهذه هي العقيدة، على ما تقتضيه الفطرة لمن يفنى في فطرته من أحسن تقويم، ولم يدخل إلى زلته إلى أسفل سافلين.

إن الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وإنكم على عدم علمكم الشيء، قد سخر لكم الأشياء، وسخر لكم الآباء والأمهات، وسخر لكم النظم والمجتمعات، وسخر لكم الشعوب والحكومات، أطفالا لا تملكون شيئاً، وقد ملككم كل شيء، إذ لا تملكون شيئاً، وهذا لكم أحسن تقويم، فإن بقيتم في هذا إلى الله راكنين، ولله طالبين، وبالله موصولين، والله بكم قائم، ولكم عامل، ولأمركم مدبر، فما انزلقت بكم القدم، وما هديتم وبالبلاء وبالاختبار، وبالطريق استثنيتم، وجزيتم وخلصتم فأفلحتم ونجحتم.. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

لا تبحثوا عن الحقيقة في مجهول، ولا تقيدوها في معلوم، وابحثوا بمعلومكم في مجهولكم، وابحثوا بمعروفكم عن منزهكم، وابحثوا عن الحقيقة في أنفسكم {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[1].

فإذا اتجهتم في أنفسكم صادقين وللحق في أنفسكم طالبين، تساقطت عن شجرة ذواتكم أوراق الخريف، ونبتت أوراق الربيع، فكنتم شجرة الله المورقة المتجددة المثمرة، المنتجة، المتصاعدة في السماء، المتواضعة في بطون الأرض، كلمة طيبة لله في الناس، أصلها من الناس، ومردها إلى الناس، ووجودها في الناس.. كلمة لله تتصاعد غصونها في السماء فتشهد ما في السماء فاطر السماء، وتغوص جذورها في الأرض فتشهد ما في بطون الأرض، وما أودع فاطر الأرض، وفاطر السماء.

لا تجاهلوا المعروف فيكم. وأيضا لا تقيدوه في ظاهر ذواتكم ومبانيكم، فمعناكم من معناه نبت، ولمعناه تواجد، وفي معناه ينمو، وعن معناه يُعبِّر، وبمبناه يسعد، ولمعناه يفقد فيعرف الشقاء، وبمعناه يدرك فيدرك الرجاء والنعماء.

عباد الله.. هل أنتم لغيره عبيد؟ إن كنتم لأنفسكم عبيدا فما أنتم له بعباد، وإن كنتم لبعضكم عبيدا فما أنتم له بعباد. إن عبوديتكم له هدف وغاية فلا تتخيلوها قائمة فتفقدوها موجودة. إن العبودية أمر خطير وخير وفير. لا ينتهي في الله خطرها، ولا يحصر في الله وفير نعمائها. إن نعمة الله على عباده لا تتوقف ولا تحد، وإن العبودية عند من أنعم عليهم الله لا ينتهي لها تحقيق في معراج فتتوقف عند مستوى من مستويات الإدراك.

إن عيسى عليه السلام عرف الربوبية في دائرة العبودية.

وإن محمدا عليه السلام عرف العبودية في دائرة الربوبية.

وإن الفطرة لترى العبودية والربوبية في دائرة الحقيقة اللانهائية.

ما كان العبد في عبوديته لربه إلا عبدا لرفيق أعلى في ربه.

ما كان العبد في دائرة العبودية لربه إلا عبدا لعبد من حقيقة ربه.

وما كان الرب ربا أعلى من رب من خلقه إلا هو مربوب من ربوبية أرقى من ربوبيته.

فمن عرف نفسه بالربوبية عرف نفسه مربوبا من الأعلى من الربوبية. فما رأى عيسى وهو في معاني الكلمة والرب نفسه ربا إلا ملحوقا مربوبا من ربه علاما للغيوب.

وما عرف محمد نفسه عبدا إلا ملحوقا برفيق أعلى من عبودية لربه.

فالعبد مسبوق بعبودية، والرب مسبوق بربوبية، والعبد ملحوق بعبودية، والرب ملحوق بربوبية، وما الرب إلا العبد في الحقيقة الكلية.

دين الفطرة:

هل عرف الناس خطر كلمة رسول الله (إن الإسلام دين الفطرة)[2]؟

إن الإسلام دين الفطرة في قيامه إذا قام، ودين الفطرة في قديمه إذا بعث، ودين الفطرة في مستقبله إذا كمل، (دين الفطرة).. كلمة جامعة، وحقيقة دامغة، وقضية بالغة، وأمر نافذ، وحق ظاهر، وتنزيه متكبر.

إن الفطرة لا زمان لها، إن الفطرة لا مكان لها، إن الفطرة لا قوم لها، إن الفطرة لا جنسية لها، الفطرة دين الملائكة، الفطرة دين حقائق الله، الفطرة دين أوادم الله، الفطرة دين كلمات الله، الفطرة دين الروح من روح الله، الفطرة دين البشرية من خلق الله، الفطرة دين الإنسانية في إنسانية الله من إنسانية الله، الفطرة دين ما خلق الله، الفطرة دين الحيوان، الفطرة دين الجماد، الفطرة دين العقول، الفطرة دين النفوس، الفطرة دين الأرواح، الفطرة دين الذوات، الفطرة دين القدم، الفطرة دين البقاء والعدم، الفطرة دين الناس والبهم، الفطرة دين الطير والغنم، الفطرة هي فطرة كل شيء، الفطرة هي كتاب الله، الفطرة هي صبغة الله، الفطرة هي رحمة الله، الفطرة هي أمر الله، هي قانون الله، الفطرة هي كتاب الله.

هل عرف الناس الفطرة؟ هل عرف الناس دين الفطرة؟ هل عرف الناس كلمات الفطرة؟ هل عرف الناس سماء الفطرة؟ هل عرف الناس أشياء الفطرة؟ هل عرف الناس أوادم الفطرة؟ هل عرف الناس إنسانية الفطرة؟

الفطرة تشرق مع الشروق، الفطرة تغرب مع الغروب، الفطرة تبلغ مع الظهور، الفطرة تغيب مع الضمور، الفطرة هي أنتم، الفطرة هي القديم الذي خلقكم وأنشأكم، الفطرة هي آمالكم، الفطرة هي

مستقبلكم، الفطرة هي جنتكم، الفطرة هي ناركم، الفطرة هي حسابكم، الفطرة هي جزاؤكم، الفطرة هي بلاؤكم.

هل عرف الناس ماذا عنى أنبياء بني إسرائيل، وماذا عنى الأثر من محمد، يوم قيل لهم إن آدم جاء من الهند؟ هل هناك ذات جاءت من الهند لرجل جاء من الهند؟ إن الأثر ما عنى بذلك، وإن أنبياء بني إسرائيل ما عنوا بذلك إلا أن دين الفطرة جاءهم مع شروق الشمس من الشرق، وما كانوا يعرفون إلا أن الهند هي أقصى الشرق، فإنهم يعنون تعاليم الفطرة.. تعاليم آدم.. تعاليم البشرية.. تعاليم آباء الجنس من طبقات الجنس من قديم الجنس، تناقلت وتوارثت وتواصلت فوصلت إلى أواسط الأرض من منطقة الوحي، وجاءت عن طريق الوحي من الأرض كرجع ماء المطر من الأرض نزولا من السماء.. ساقته الريح إلى بلد طيب.

إن رسالات السماء ما هي إلا ارتداد غمام الأرض، وقد تصاعد وجد في طلب الصعود مجافيا ما كان فيه من كثافة الوجود، فارتد إلى الأرض رذاذا من ماء تخلص من ملحه، ومن قبحه، ومن وطنه، في جديد من موطن.

إن الماء إذا اختلط به الملح واختلطت به قاذورات الأرض تطهر بالغليان، وصعد إلى بخار متكاثفا نقيا طاهرا مستساغا. وإن أهل الأرض في قديم لا تعرف بدايته، وإن كنا نعرف أن كل كثيف مبدؤه لطيف، تواجدت الأرض وأهلها، تواجدت الأرض وما عليها، وطورت الأرض وما عليها فصعدت بنقيها، واحتفظت بخبيثها، فتصاعدت أرواح الأنبياء في سماوات الأرض، طبقة بعد طبقة، وسماوات بعد سماوات، ومرتقى بعد مرتقى، حتى تواجد فيها غريزة الحنين إلى الأبناء، وغريزة الرحمة والدعاء، وغريزة العودة والرجاء، فبدأت رسالات السماء. وما رسل السماء إلا من نبات الأرض في قديم تواجدهم.. ذهبوا إلى عليين، فلم تطب لهم عليون أرضا فيها بالله في أنفسهم يسعدون، عندما أفاقوا فتذكروا أنهم تركوا على الأرض أبناء من الغافلين، وما تركوا لهم إلا كل غث، وأخذوا معهم كل ثمين، فرأوا جزاء عليهم وعدلا من الله يقوم بهم أن يعودوا إلى المتخلفين، وليسوا إلا إياهم، وليسوا إلا معناهم، وليسوا إلا أبناءهم، وبذلك تواجدت رسالة السماء بعودة الآباء إلى الأبناء إلى هذه الأرض التي كانت أرضهم، والتي كانت يوما كرسيهم وعرشهم، والتي كانت وجودهم وبناءهم، والتي كانت هواهم وفؤادهم، فتخلصوا منها وهم بعد التخلص يعودون إليها في صور من صور أهلها من أبنائها، وهذا معنى (كلمة الله وروح منه)[3].

إن سليمان كان كلمة الله، وإن داود كان كلمة الله، وإن موسى وهارون كانا كلمات لله، وإن محمدا ما كان إلا كلمة الله، وإن عليا ما كان إلا كلمة الله، وإن كل إمام ما صدق مع الله ما كان إلا كلمة

لله، وإن راما شراكا ما كان إلا كلمة الله، وإن غاندي ما كان إلا كلمة الله، وإن بوذا ما كان إلا كلمة الله، وإن كونفوشيوس ما كان إلا كلمة لله، وإن نوحا ما كان إلا كلمة الله، وإن آدم ما كان إلا كلمة لله، وإن كل إنسان يصدق مع الله لا يكون إلا كلمة لله، وإن كل إنسان في وجوده في الله ما هو إلا نواة صالحة لأن تكون كلمة الله. من صلح فإنما يصلح لنفسه، ومن يخبث فما يخبث إلا بامتطائها إلى خبث الخبيث، وما علا إلا بامتطائها إلى العلو والرقي مدانيا الحق في مداناته لمعنى الحق في نفسه.

إن الإنسان الواقف من وقف مع قديم مهما صلح، ومن وقف مع حاضر مهما استقام. إن الله اللانهائي لا يقبل الوقوف ويرى في الوقوف الموت، وفي الحركة الحياة.

إن الذي يهتز ويترنم في الله، يهتز ويترنم في الله على دوام في الله. من أنهى الصلاة عنده فقد توقف، ومن توقف فقد مات، ومن مات فقد عدم، ومن عدم فقد هلك، ومن هلك فلا وجود له.

أما من ترنم بالله وفي الله فاهتز طربا في الله، وتواجدا في الله، وحبا وعشقا في الله، وقياما وعملا في الله، ومن اهتز وطرب في الله، فقد حيا، وقد تحرك، ومن تحرك فقد حيا، ومن حيا فقد سار، ومن سار فقد وصل، ومن وصل فقد بقي وتقدس وجوده، ومن تقدس وجوده وتبارك وجوده فقد تأبدت ذاته، ومن تأبدت ذاته فقد تأزلت صفاته، ومن تأزلت صفاته فقد وجد، ومن وجد لا يموت، ومن لا يموت لا يعدم، ومن لا يعدم لا يهلك، ومن لا يهلك لا يفنى.

عباد الله.. اذكروا الله في أنفسكم. إن القلب لينبض، وإن العقل ليشرق، وإن النفس لتحس، وإن الحياة فيكم فلا تفقدوها. وإنكم إن لم تجددوها فقد أوقفتموها، وإنكم إن أوقفتموها فقد جمدتموها، وما ذاتكم جددتموها، فقد أعدمتموها، وإن أعدمتموها فقد هلكتم. لا بد أن ينتهي يومكم إلى جديد في مسائكم، ولا بد أن ينتهي ليلكم إلى جديد في نهاركم. من لم يجدد في ليله فما سكن، وما انتفع في سكون الله. ومن لم يجدد ليله في نهاره ما حيا، وما انتفع بنشور النهار وشروق فجر الله، وحرارة شمس الله.

لا بد أن يتزايد الإنسان في يومه وفي ليله سكونا مع الله، وعملا باسم الله، وانتشارا بأمر الله، وترنما بحقيقة الحياة، والإنسان إلى الحياة أو إلى العدم. إن هذا النوع من القيام الذي تقومونه على تفاهته وشدة تفاهته بين عوالم الوجود في وجود الله، إلا أنه أخطر قيام خلقه الله لأنه أسفل قيام أوجده الله، ولأنه أظلم قيام خلقه الله، ولكن فيه سر بدء الأنانية بالحياة.

الإنسان كتلة من التحجب عن الله، في هذا القيام ظلام دامس متكاثف ليس فيه إلا نار، إلا بصيص، إلا رذاذ، إلا تافه، إلا خامد من نار في رماد. فإن أنتم نفضتم هذا الرماد عن هذه الجذوة

المكبوتة المردومة في رماد وتراب هذا التواجد، فكشفتم عنها الغطاء، وفتحتم لها باب النمو، وفتحتم لها باب الحياة، فتحتم لها باب التنفس، فتحتم لها باب الشهيق والزفير، باب التجمع والانفراد، باب الفرد والنفير، باب التوقف والمسير. إن فعلتم ذلك فقد أحييتم أنفسكم بما أوجد الله فيكم من أسرار الحياة، وفارقتم الخمول والعدم بما غلفكم به الله من أسرار العدم وأسرار الظلام.

هذه هي أمانة الله تحملونها، فهلا رجعتم إلى الله؟

هلا تهيأتم لطلب الله؟ هلا تهيأتم للتفكير في الله؟

هلا تهيأتم للذكر في الله؟ هلا تهيأتم للتأمل في الله؟

هلا تهيأتم للبحث عن الله؟

إنكم تتهيأون للبحث عن المال، عن الذهب، عن السلطان، عن الجاه، ولا تتهيأون للبحث عن الحقيقة. إن البحث عن الحقيقة لا يكون إلا في أعماقكم. إن الحياة لا تكون إلا نبعا من قلوبكم. إن الله لا يتواجد إلا بدءا من تواجده في تواجدكم لأنفسكم. إن الله لا بداية له إلا ما بدأتم، وإن الله لا نهاية له إلا ما إليه أنتم انتهيتم، إن انتهيتم إليه طلبا فقد بدأ، وإن أنهيتم نفوسكم مستقلة عنه فقد انتهى الشيطان وقد انتهى الظلام.

هذا هو الدين على ما يجب أن يعرف الدين، وهذا هو الحق على ما يليق أن يعرف به الحق، فهل استقام الناس؟ هل عرف الناس أنبياءهم؟ هل عرف الناس حقائقهم؟ هل عرف الناس أوادمهم؟ هل عرف الناس ملائكيتهم؟ هل عرف الناس إبليسيتهم؟ هل عرف الناس شيطانيتهم؟ هل عرف الناس رحمانيتهم؟ هل عرف الناس كتاب الله في كتابهم يقرأونه؟ هل قرأوا أنفسهم؟ هل قرأوا أناجيل صدورهم؟ هل قرأوا كتب إيمانهم؟ هل قرأوا كتب صدورهم؟

إن الناس يحرفون كلام الله عن مواضعه، ويحرفون الفطرة عن مواضعها، ويحرفون أنفسهم إلى غير ما خلقها الله له، وينحرفون بطريقهم إلى غير ما أبدعهم الله إليه، حتى إذا ما جاء حق من الحق على لسان من بينهم، وأنه الحق مثل ما أنهم ينطقون، جافوا الحق الذي يشهدون، وجافوا الحق الذي يذكرهم بالحق في أنفسهم وما يدركون، يطيب لهم الحق على ما يصفون، ويعرفونه على ما يتصفون، ولا يقبلونه على ما يبلغون، وعلى ما يدركون، وعلى ما يكشفون، فسبحان الله وتعالى عما يصفون.. له الأمر، وله الخلق، وله التدبير فيما يدبرون، وله الأمر كله فيما يأتمرون، وله المكر الخير فيما يمكرون، والمكر جميعا له، وهو خير الماكرين، فما مكر الله بهم إلا لخيرهم، وما مكروا بالله إلا لضرهم.. فسبحان الله، تبارك الله، عز وجل الله، ما أكرمه، ما أحلمه، ما أقربه، ما أعرفه، ما أبلجه، ما أعلاه، ما أعذبه.

عباد الله.. اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، واسألوا تجابوا، واطرقوا بابه يفتح لكم وتفتحون، واسلكوا طريقه مستقيما فستهتدون، وله الأمر كله ما تشاؤون وما لا تشاؤون.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وعافنا من إقامة عدلك فينا، وعاملنا بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم عاملنا بما أنت له أهل، ولا تعاملنا بما نحن له أهل، اللهم احفظنا فيما تحب وترضى، ويسر لنا ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت، اللهم عافنا واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، وخذ بيدنا واهدنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، هداة ومهتدين، أئمة وسالكين ومقتدين، مسلمين وغافلين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

قال ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي.. إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

وقد صار قلبي قابلا كل صورة.. فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف.. وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت.. ركائبه فالحب ديني وإيماني

وقال قائل:

بيني وبينك إني تنازعني فارفع بفضلك إني من البين[4].

وقال تعالى:

{أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}[5]

{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}[6]

{وهو معكم أين ما كنتم}[7]

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة الذاريات -21

2 إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.

3 استلهاما من {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} سورة النساء - 171

4 من أبيات شعر للحلاج

5 سورة الرعد -33

6 سورة ق - 16

7 سورة الحديد - 4

(٦)

وحدة الرسالة
ودوام الرسول

حديث الجمعة

٢٢ رمضان ١٣٧٧ هـ - ١١ أبريل ١٩٥٨ م

السلام علينا وعليكم وعلى عباد الله الصالحين ورحمته وبركاته.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله.

وأشهد أن رسالة الله معه، وأن رسالة الله مع من سبقه من الأنبياء، وأن رسالة الله مع من لحقه من الأتقياء والعلماء، وأن رسالة الله مع من تَعلم ومع من تعلَّم من عمالها وعمدها من الروح والناس، رسالة واحدة تقوم على أساس واحد، وتهدف إلى هدف واحد.

إن رسالة الله القائم على كل نفس بما كسبت، إلى هذه النفس قائمًا عليها، قائمًا بها، وهو باطنها وظاهرها، ما ظهر بها القائم عليها إلا بقيامها، وما استقام قيامها إلا بالقائم عليها. إن رسالة الله القائم على كل نفس تجعل رسولها منها وإليها، فالمرسل والمرسل إليه والرسول في عبده أمر قائم في وجود كل نفس.

فرسالة روح الله القائم عليك، صادرة منك وإليك فيه.

إن الله هو الحياة، وأنت هي منه، فهو حياتك وأنت قيامه فيه.

ورسالة الله هي حكمة الله، هي المعرفة عن الله، هي الوعي عن الله، وأنت كائن عاقل. فما فيك من العقل إنما هو من رسول الله، وما فيك من الحياة إنما هو من الله، وما فيك من معناك بتعبيد أنانيتك إنما هو من عبد الله، وما أنت من ذاتك إنما هو عالم من عوالم الله.

إن هذه الذات التي سماها الآباء والأمهات منك لا اسم لها إلا ما سميت به من غيرك، أو ما سميت به منك إن شئت، فإن شئت اسما يشير إلى معناها، ويصبح علما لمسماها فقدس أديمها لآدمها فأنت آدم

أو ابن آدم، وإن حمدت في الله حالها أو مآلها، فأنت محمد أو ابن لمحمد، وإن أفسحت رجاءها فأنت عيسى أو أخ لعيسى.

إن هذه الذوات التي تحمل معاني الحياة، وتعنون مباني في الحي القيوم والتي تحمل معاني الإدراك والوعي من الحكيم المدبر، والتي تحمل معاني الوجود في وجوده المدرك لك، غير المنكور عليه منك، إنما هي العلمية على كل معانيك، فما هي حقيقتك؟ وما هو معناك؟

لمَ لا تقبل أن كتاب الله هو ما أنت منسوبًا إليه بالعبودية والوجه، وأن دين الله هو ما إليه رجعت، وأن كلام الله هو ما وعيت، وأن رسول الله هو ما أنت على ما أدركت، وأن روح الله هو ما أنت على ما تطهرت وتزكيت، وأن عبد الله هو ما أنت على ما استجبت، وأطعت وتابعت؟

فلا تباعدوا بين الحقائق وبينكم، بالمباعدة بينكم وبين الحقائق، فهذه الذوات التي قد تملكوها والتي ملككم الله اليوم إياها، والتي ائتمنكم عليها وهي بيوت لله، وهياكل لصفاته، ووجه لذاته، وعلم على معانيه، ومعاني من وجوده ومبانيه لهي عوالم غنية بالحقيقة، ما تعرضتم بها لشمس الحياة في حياتكم الموقوتة، فإنكم وإن كنتم في حياة موقوتة إلا أنها أقوم بدء لأخطر حقيقة إذ أنتم بها أجنة الحقائق الإنسانية.

إنكم وقد أدركتم وأيقنتم أن هذه الحياة مظاهرها موقوتة، وأن معاني التوقيت لها يجعلها بالنسبة للحياة اللانهائية لمحة أو ما دونها في سلم الحياة أقصر من ذلك ودونه بكثير، إنها تكاد تكون رمزا للحياة في وجود من العدم الزمني والكوني.

وإذا كان رسول الله يقول (كل الناس هلكى إلا العالمون..)[1] فهو إنما يشير بهذا إلى ذواتهم الموقوتة، في تواجدها على هذه الصورة.

فهي إنما تحيا على قدر ما تتعرض له من إشراقات الحياة، من قيومية الحياة عليها.. وإن منشودها من الحق، على ما اتصف به عندها وصفا لنفسه، إنما هو وصفها في مآلها من تطورها، وهو ما تعكسه مرآة صورتها من حاضرها بصفة مؤقتة.

وإنك في هذا الدور، وفي هذا الطور من الحياة، تعلم ظاهرا من الحياة ولا تعلم باطنا من الحياة، ولكنك مؤهل بظاهر الحياة، إذا ما عكست البصر إلى معناك، أن تعلم باطنا من الحياة منك في عين معناك، وبذلك تعلم ظاهرا من الحياة وباطنا من الحياة، وبذلك تعلم عن شهادة الحياة وعن غيب الحياة، وتتصف وتتخلق بما اتصف به عندك منشودك ومعبودك من الله عالم الغيب والشهادة، فلا غيب إلا من شهادة الشهادة، ولا شهادة إلا من غيب الغيب.

وإنك إذ تجافى الدنيا والدنايا، وتتعرض للمرتقى، وتمتطي ذواتك من المطايا، فتكبر وتكبر، وتتعالى وتتعالى، فإذا أنت بما اتصفت به عندك الكبير المتعال تخلقا بخلقه، تتخلق عبدا له يقوم في صفاته والعلمية على ذاته بالعلم به والعلم عنه.

إنك في تواجدك على هذه الأرض بهذه الذات تتعرض للحياة الذاتية الحرة المطلقة من الله منشودك، ومحبوبك، ومعبودك، فتشرق على هذه الذات أنوار الحقائق من شموسها، فيمتلئ بها إناؤك ويحتفظ بها، ليصورها ويطورها إلى صورته ومعناه، ثم تنطلق مكنوناتك من إناء ذاتك فتتواجد بك لك حيا في السماء الدنيا من عالم الأرض كما تتواجد به منشورا في عالم الغيب، ثم ترتد لتتواجد بأشباح في عالم الفناء لتتواجد بحقائقه في عالم البقاء، وبذلك ينتشر العبد ليتواجد بصورة في عالم الكثافة، كما ينتشر ليتواجد بلطافته في عالم اللطافة وهو ما زال متواجدا بوزره في عالم التثاقل، بأنواره في عالم العروج والترقي، متواجد في الأرض متواجد في السماء، متصفة أواني تواجده بإحاطة للمعنى الذي يتيسر لهذه الكائنات منه، من مطايا ذواته، أو كراسي معانيه، أو عروش عوالمه، فيتسع وعيه لأهل السماوات في حيواتهم ومآله بينهم، ولأهل الأرض في حيواتهم وشجرته منهم باتساع وعيه واجتماعه فيه. وهذا ما تم لأسوتكم من عبد الله ورسوله.

وبذلك يتسع كرسيك، كما تتسع إحاطتك للأرض، وبذلك تتصف في ملكوتك من ملكوته بما يتصف به عندك معبودك من الله ربا لك، ومنشودك من الله عبدا له وعلما عليه، وحاملا لأمانة التعريف عنه، بمعرفتك عنك، كتابا له وكلمة منه.. وأن هذا ما عناه رسول الحق وهو يعلم الخلق (تخلقوا بأخلاق الله)[2]، وهذا ما عناه الحق على لسان الحق السافر من رسالته، في عبارته (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[3] (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[4].

إن الذي هو أقرب إليك من حبل الوريد، وإن الذي هو معك أينما كنت، وإن الذي هو قائم عليك بما كسبت، وإن الذي هو من ورائك محيط، وإنه الموجود المنشود والمغيب عندك عن الشهود بغفلتك عنك، وجهلك عنه، وعن معناك منه...

وإن ما يأتي به رسل الله، وتتكشف عنه كتب الله معهم، وعبارته صادرة منهم في فنائهم فيه، وحقائقهم به، فتتسمى كلماتهم في فنائهم فيه بكتب الله، وتتصف كلماتهم بقيامهم به سنة الله، وأن كلام الله، وأن سنة الله، ما غابت عن أهل السماوات وما غابت عن أهل الأرض لمحة من الزمان، ولو أنها عنهم غابت، وفيهم ما تواجدت، ما كان لهم وجود وما كانت لهم حياة.

ولكن الناس هم الناس، على ما فطرهم رب الناس، إله الناس. إن الناس يلتوون على أنفسهم التواءهم على ربهم، يحددونه ويكيفونه، وعن أنفسهم يبعدونه ثم يقولون إنهم يوحدونه.

فسبحان الله! كيف توحد وأنت تترفع على الله بوجودك، وترسمه بإدراكك وتصوره بخيالك، وتزعم تنزيهه، فتنزه معناك عنه، وتزعم تكبيره، فتسلب مبناك منه، وتزعم توحيده في عظمة قدرته، فتشرك قدرتك مع قدرته، وتتخلى عن قدرته في معاني قدرتك، فتتواكل ولا تعمل، وتدور حول نفسك ولا تمل!!

لن يعرف الله قط في دنياه ولا في أخراه من أبعد قسطه منه عن دائرة مبناه، وحقيقة معناه.

إنك لن تحيط علما به إلا بما تحيط من العلم به عن نفسك، بوعيك وحسك وإدراكك، ووجودك، وتقديرك، وطهرك.

ما شأنك بالمعروف المطلق الذي لا يتصف، ولا يتسمى، ولا يحد؟ وإن إطلاقه في معناه يستحيل معه شهوده إلا فيما يحيط بك منه، وجها له. إنه وراء الكل محيط بسعته، وفي الكل محيط بقربه، إنه المعروف المفروض، فشاهد مجالاته في الكل، متحققة فيك، فتحسه في معانيك، ويظهر لك في مبانيك، طورا بعد طور، بوحدانيته مع رفيق أعلى من إنسانيتك رسولا له ورفيقا أعلى ربا لك.

إن الله يكبر وهو الكبير، وإن الله يصغر وهو القريب. إنه يصغر في حيز الحي الصغير، ويكبر في حيز الحي الكبير. إنه في الوالد والولد. إنه فيما يولد وفيما ولد، وإنه المنزه عن أن يلد، وإنه لمنزه عن أن يولد، لأن ما يولد وما ولد، إنما هو الحي فيه من حياته، قائم فيه من قيامه، قائم به من قيوميته، عزه وحدانية لا تتقيد بوجه، ولا تتجدد في تصوير بحد، ولا تحاط في تكوير، ولا تنخفض في أمر، ولا تتقيد في ذكر.. إنه الأكبر، والأكبر، والأكبر، وإنه الأقرب، والأقرب والأقرب.

إنه في قلبك ما اهتز قلبك حبا له أو خشية منه، وما استقام قيامك طاعة له، واستجابة لأمره، وانتهاء عن نهيه.

وإنه حولك، وفوقك، وفيك، بوجهك في ظاهر الحياة، وفي باطن الحياة. إنه في تكوينك، إنه في أسرتك، إنه في أمتك، إنه في إنسانيتك، إنه في الطبيعة تتسلط عليك، وتتحكم فيك، وتقيد وتوجه حركاتك وسكناتك.

إنه فيك ما تخلصت من ضيق طبيعتك، ومن قيود الطبيعة تسيطر عليك فتخرج من طبيعة إلى طبيعة، ومنها إلى أخرى، في انطلاق بسلطانه، يفاض عليك في سلطان اجتهادك، فتتسلط على قيود حسك، وعوائق تكاملك.

إن الله هو المعرفة، إن الله هو العلم، إن الله هو العاطفة، إن الله هو الوعي، إن الله هو الحياة، إن الله هو الوجود. احرص على كسب الحياة التي تحيا تحرص على الله، واحتفظ بالحياة لا تفارقها، تبقَ مع الله ببقائها، واعلم أن الجسد لباس لك، وليس جزءا منك أو حلقة من حلقات معانيك، في وجودك المقيد، وفي تطورك. ألم تكن علقة؟ ألم تكن مضغة؟ ألم تكن خلية؟ ألم تكن جنينا؟ ألم تكن طفلا؟ ألم تكن صبيا؟ ألم تكن يافعا؟ ألم تكن شابا؟ ألم تكن بالغا؟ ألم تكن رجلا؟ ألم تكن زوجا؟ ألم تكن أبا؟ ألم تكن جَدا؟ إنها مظاهر معان في كمال وحدانيتك.

إن هذا الذي تراه جدا ينوء تحت عبء السنين، ويرعى الكثير من أبنائه وبني أبنائه، وبني أبنائه من البنين والبنات، ما كان يوما إلا علقة، فانظر كيف خلقه، ثم طوره، ثم كبره، ثم أخرج منه أسرة، فأمة، فإنسانية.

إن هذه الذات تحياها في هذه الحياة إنما هي علقة المستقبل لك على مثال مما كانت من علقة آلت إلى هذا القيام الكامل، لصورة ممن قذفها أو ممن تلقاها.

فكيف تظن بالله الظنون! وكيف لا تعرف أنك إذ تستقرئ متأملا حياتك وكفى، إنما تقرأ القرآن، إنما ترتل القرآن، إنما تكن كتابه القرآن، إنما تنزل القرآن، إنما توجد كتبا على مثال ممن تؤمن بهم من الرسل!

إنها إرادة الحق، وإنها فرصة الخلق، إنها فرصة الحياة، إنها فرصة السعادة، أن تدرك هذه الحقائق، وتصلح أن تقوم بك، لا بل هي قائمة فعلا بك ولكنك لا تدركها، والحق أنك لا تريد أن تدركها.

إنك تؤخر الانشغال بعوامل الحياة، سعيا وراء وهم من الرزق، أو خيال من العمل، أو زائف من السعادة.

إننا في شهر رمضان نصوم عن الطعام ساعات معينة، ثم نعود إليه.. وفارض الصيام يقول (الصوم لي وأنا أجزي به)[5]، وهو إنما يعني بذلك أننا في حال إمساك عن الطعام، إنما نهيئ أنفسنا لروح الله، تدانينا وتقاربنا، وتنشئ منا مجالات لنا في عالم الروح، تراها مجالات لها، ونرى أنها بذلك إنما تتخللنا وتفوت من سم الخياط إلى حياة طليقة، باقية تحمل معانينا، وصور معانينا، ولذلك يقول فارض الصيام (الصوم لي وأنا أجزي به.)

إن الذي فرض علينا الصيام، والذي فرض علينا المناسك، إنما هو القائم علينا، إنما هو إنسان الله بمعانينا، إنما هو إنسان الله الذي أراد أن يعرفه بدوره من الله. إن الله الذي هو غيب مطلق في معانيه كلها، وفي حقائقه كلها، لا يدركه إدراك، ولا يدركه حتى الرسل، ولا يحده حد.

إن الله في إطلاقه تعالى عن كل وصف، وتعالى عن كل إدراك. ولقد صدق الرسول إذ قال: إن لله ساعة إطلاق لا يطيقه فيها نبي ولا ولي. إننا لا نعرف الله إلا إذا آمنا بوحدانيته، وشهدنا في دنيانا هذه أن لا إله إلا الله فكانت وجودنا، وآمنا به أكبر من كل وصف، وأكبر من أن يحاط به، أو أن يدرك لمحيط أو مدرك، فالله أكبر حصننا، والله أكبر معاشنا، والله أكبر ملاذنا.

لقد جاءنا الإسلام مع رسل الله، تجديدًا للإسلام مع خليل الله، تجديدًا للإسلام مع مسيح الله، تجديدًا للإسلام مع عباد الله.. آدما قبل آدم إلى ما شاء الله، فليس الإسلام جديدا في الوجود، أو جديدا على البشرية، أو جديدا على السماء، أو جديدا على ما فوق السماوات. إن ما في السماوات والأرض، وإن ما على الأرض، وما دونها، إنما هو مسلم لله بفطرته، وإن من بين هذه العوالم، من يسلم لله أمره، بالتسليم لرسوله بينهم، وهذا هو الدين، كما أن تجديد الإسلام على دوام، ليس جديدا في أمره بالتسليم.

وإن الإسلام لله تسليما لقدرته، أو الإسلام لله مع رسول من رسله، أو الإسلام لله مع سليم فطرتك، كل هذا إنما هو إسلام، فالإسلام لله مع رسول من رسله في القيام، والإسلام لله مع رسول من رسله في التعاليم والدين، والإسلام لله مع الفطرة، والتأمل والحياة، كل ذلك صور للإسلام. ولكن الذي يعنينا وتقصده البشرية بالإسلام، إنما هو الإسلام لله مع عباده، مع عباد لله، وكلمات لله يقيمها بين الناس، ويجعل منها أحواضا للناس يرتشفون منها ماء الحياة، ويجعل منهم مصابيح للخلق يستضيئون بها في ظلمات الحياة الأرضية، ويجعل منهم دفئا لنا، وجذوة متقدة من الحياة نقتبس منها، ونعنون بها، إذ يقيمهم الله في الناس بيوتًا له يأذن لها أن ترفع، وأن تقام في الناس وبين الناس، إنهم معنى الحياة وعنصرها، إنهم إكسير الحياة وجوهرها، وعرف أنه في التواصي بالحق، والتكاثر به يكون البقاء، وأن في معناهم تقوم الحقيقة، وأن في الاجتماع عليهم تقوم الحياة. هذه هي تعاليم الرسل للذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وقد أجمل القرآن هذه التعاليم جميعًا في قوله الكريم {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لِلّه مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد}[6] صدق الله العظيم.

لقد جمع البلاغة والحكمة كلها في هذه العبارة في هذه الحقيقة.

فنسأل الله أن يهيئ لنا أسباب الاجتماع عليه، باجتماعنا على عباده، متواصين بالحق في اثنينيتنا، قائمين بالحق في وحدانيتنا، في دوام للأعلى من رفيق، وللأدنى من صديق. هدانا الله وإياكم، وجعل ساحة إطلاقه مأوانا ومأواكم عبادًا له إليه، وعبادًا له به.. إنه القريب المجيب.

أضواء على الطريق

(من هدي الكتاب):

١:

- {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}[7]
- {وتمت كلمة ربك}[8] {وكان فضل الله عليك عظيما} [9]
- {رضيت لكم الإسلام دينا}[10] {ليظهره على الدين كله}[11]
- {جعلنا ابن مريم وأمه آيتين}[12] {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}[13]

٢:

- {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[14]
- {وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}[15]
- {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[16]
- {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[17]

٣:

- {وما قدروا الله حق قدره}[18]
- {الرحمن فاسأل به خبيرا}[19]
- {وَأْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها} [20] - {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[21]
- {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[22]
- {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[23]
- {إنا أعطيناك الكوثر[24].. إن شانئك هو الأبتر}[25]
- {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[26]

مصادر التوثيق والتحقيق

1 إشارة إلى حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالنَّاسُ كلهم هلكَى إلَّا العالِمون، والعالِمون كلهم هلكَى إلَّا العاملون، والعاملون كلهم هلكَى إلَّا المخلِصون، والمخلِصون على خطرٍ عظيم"

2 استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلي. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة "، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني

3 عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

4 إشارة إلى الحديث القدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

5 من الحديث الشريف: " كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له إلا الصيامَ فهو لِي وأنا أجزِي بِهِ." أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي والترمذي وأحمد.

6 سورة سبأ - 46

7 سورة الزخرف -81

8 سورة الأنعام - 115

9 سورة النساء -113

10 سورة المائدة -3

11 سورة الصف - 9

12 سورة المؤمنون - 50

13 سورة النساء -41

14 سورة الشورى -52

15 سورة الأنعام -153

16 سورة يوسف -108

17 سورة سبأ-46

18 سورة الفرقان -59

19 سورة طه - 132

20 سورة طه -132

21 سورة الأنعام -5سورة الكهف - 28

22 سورة الأحزاب -6

23 سورة الشعراء -218:219

24 سورة الكوثر-1

25 سورة الكوثر -3

26 سورة الأنبياء -34

(٧)

سفور الروح

لبيك في كل مكان وفي كل زمان وفي كل إنسان

حديث الجمعة

١٠ ذو الحجة ١٣٧٧ هـ - ٢٧ يونيو ١٩٥٨ م

لبيك. لبيك. لبيك.

لبيك اللهم لبيك في كل مكان

لبيك اللهم لبيك في كل زمان

لبيك اللهم لبيك في كل إنسان

لبيك قريبا في نفوسنا

لبيك قائما في قيامنا

لبيك حكيما في تدبير أمورنا

لبيك قائما على كل شيء

لبيك ظاهرا في كل شيء

لبيك قريبا في كل شيء

لبيك كبيرا متعاليا وراء الأشياء

لبيك كبيرا متعاليا فوق الأكوان

لبيك منزها عن الزمان

لبيك منزها عن المكان

لا إله إلا أنت، ولا وجود بحق إلا لك.

في مثل هذا الوقت من كل عام، تتجه الأنظار إلى بؤرة من مكان في الأرض، وتتجه الرحال إلى موقف في هذه البقعة، ملبين داعي الله في منسك للناس ومنهم، كتب عليهم. فهل اتجهت الأنظار به إلى قبلة المعنى من بؤرة الإنسان؟ أم تتجه به الأنظار إلى ذات المكان، وذات الأشياء، وذات البنيان، القرن بعد القرن، والزمان بعد الزمان؟

لقد جعل هذا المنسك، وهذا المنهج، عنوانا على معنى في الإنسان، في عالمه الصغير من ذاته، وفي عالمه الكبير من جنسه.. ولكن هل انتفع الناس بما شرع لهم؟ وهل استفاد الناس في عوالم قيامهم، بما شرع لهم من عالم وجودهم؟

إن القلب من الإنسان هو كعبة هذا البنيان. وإن الذات من الإنسان هي كعبة النفس في القيام. وإن النفس في القيام هي كعبة الروح من حياة الوجدان. إن الإنسان في معاني تطوره، من بؤرة قلبه، وبؤرة ذاته، وبؤرة نفسه، في دائرة روحه، طليقا في الأكوان، علما على كونه من الرحمن، ووجها لمعنى مطلقه، من سجن أناه إلى رحب معناه، هو تجلي الغيب للشهادة به، بعد تجليه له فيه.

إن الله الذي هو قريب من هذا الإنسان.. أقرب إليه من حبل الوريد، ومنه قاب قوسين أو أدنى، جعل منه كلمة له، وجعل منه بدء حقيقة فيه، وجعل منه قلم قدرة له في كونه، وجعل له أمره في يده، إذ أعطى كل شيء خلقه، وهو سر الأشياء، فقد جعل منه وفيه ومعه الشيء والمشيئة، وتفضل فكان له هاديا، وبناصيته آخذا بمجال الحق فيه.

فماذا فعل الإنسان بذاته؟ وماذا فعل الإنسان بقلبه؟ وماذا فعل الإنسان بنفسه؟ وماذا هيأ الإنسان لروحه؟ هل استقبل في الله قبلة هو موليها؟ وهو له مرتضيها؟ لو عرفها لارتضاها ونفسه إليها ولاها، ولرضي عن الله في نفسه له معناها.

إن كل إنسان في نفسه عالم بذاته، ووحدة للكون قائمة في كونه في بداية له لا نهاية لها. فإذا صحت منه له البداية والعناية سلمت له إليه الغاية والنهاية، واستقامت عنده بذلك الوجهة إلى ما لانهاية.

فنحن في عالمنا هذا بدايات للانهايات، ولكنها بدايات تتكرر من سبق البداية فتعطى الفرصة بعد الفرصة، وتقام علينا الحجة بعد الحجة، وتتهيأ لنا أسباب الحياة وفرصها المرة بعد المرة.

فهل نحن لفرص الحياة مغتنمون؟ وهل نحن على حوض الحياة متسابقون؟ وهل نحن إلى تطوير نفوسنا متجهون؟ وهل نحن لتحقيق غاية أرواحنا محققون؟ هل نحن لنداء العقل مجيبون؟

إن لله في أيام دهرنا لنفحات، وإن رحمة الله المطلقة لها في إيجادنا غاية وغايات، وهي أحرص علينا منا، وهي أولى بنا فينا من قيامنا وتدبيرنا...

وإن رسالة الله لفي أنفسنا، وإن رسالة الله لقائمة في وعينا، وإن رسالة الله لقائمة فيمن هدانا، وفي اهتدائنا، وفي محكم تدبيرنا إن أحكمنا، وفي صادق فعلنا إن صدقنا، وفي مستقيم قولنا إن استقمنا.

إن رسالة الله فينا، وإن رسول الله فينا، وإن رسول الله معنا، وإن رسول الله لإيانا، وإن رسول الله لمعنانا، وإن رسول الله فينا لأولى بنا منا، فهو معنا بأزواجه من معانيه من نفسه متكاثرة، وامتداده وتجدده، وتقاربه، ودوامه، من شمول رحمة الله معه، لأمهات نفوس لنفوسنا، وأمهات ذوات لذواتنا، وأمهات قيام لقيامنا، وإن رسول الله لأمة، وإن من كان منه لأمة.

وإن رسول الله لأمة، وإن الأمة لجماع لا تخلو منهم الأزمان، كما لا تخلو منهم البقاع. نزل الله الذكر في رجال وإنه له لحافظ في متذكر منهم مدى القرون والأجيال. نزل القول في كتاب من إنسان وإنه له لحافظ في متعقل من عنوان. نزل الكلمة بعثا لوجهه في خلقه وإنه لها لحافظ في دوام فعله، ودوام خلقه، ودوام رحمته.

وجاءنا بروحه في رجال، نحن فيهم له روح، ونحن فيهم له هياكل وظلال، والناس في قيوميته بهم عاملين، ولمثاليتهم راجين، وإن روح الله فينا لسارية، وإنها بنا لقائمة، ونحن بها أحياء، وبغيرها أشياء. فهل نحن إلى شيئيتنا من الأشياء؟ أم نحن إلى روحانيتنا من الروح؟ نحن روحان، ونحن شيئان، روح لقيام وروح لمآل، وشيء لحياة وشيء لزوال. فإن حرصنا على شيئيتنا حية بقيوميتنا من الله لمرادها بالغة، ولعلاقتها بالشيئية مهيئة، وعنها قاطعة.

أما إذا تركنا معنانا لشيئيتنا فنحن العدم، بينما إذا تركناها لقيوميتنا فنحن الحياة والأبد والأزل. إنّ تواجدنا في هذه الحياة الشيئية موقوت بحياتنا الشيئية. إن حياتنا الشيئية لساعة في حياتنا الأزلية.

فنحن في ساعة من قيامنا الأزلي. إن شئنا أمضيناها في طلبه بطلب الحياة في حياتنا، وإن شئنا أمضيناها مضيعة في الغفلة عن معاني الحق في أنفسنا. أما روح القيام فتطلب حياة القيام متثاقلة إلى الأرض في حالها ومآلها، بينما تطلب روح المآل الحرية والانطلاق من سجن الأرض والسماوات إلى الملكوت المطلق لله. إنا نلبي نداء التشريع للعظة والاعتبار في اجتماع الذوات والأفكار بمنسك في أن نذهب إلى مكان، والله لا مكان له. وإنا نلبي نداء التشريع بأن نذهب إلى هذا المكان في زمان، والله لا زمان له، إنما هو في مكانه منا وفي زمانه من حياتنا. هذه هي الحقيقة التي نغفل عنها، فلنستيقظ لها لأن الله معنا على دوام، ولنتنبه إلى أن الله معنا في قيام، وما شرع المنسك إلا لتنبيهنا لذلك.

إن لمحة تستيقظ فيها النفس من غفلتها، وتقوم فيها النفس من كبوتها، لهي دهور تبدأ بها يومها الأزلي، ويقظتها الأبدية لهي حج صحيح إلى الله، وتلبية صادقة لنداء الله. إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا

لها، وإن لله بينكم لآيات فتنبهوا لها. إن لله في معارج حيواتكم، ومسالك وجهتكم، ومناسك قيامكم، وتطور ذاتكم، وتغير أحوالكم، واختلاف معانيكم، لآيات لا تنقطع في الأرض أو في السماء فتأملوها. تأملوا آيات الله في قيامكم وأرضكم لتبعثوا متأملين في آيات الله في حياة لكم من بعد ذلك، في السماوات طبقا بعد طبق، ومعراجا بعد معراج، وحياة بعد حياة، وبدايات بعد بدايات بلا نهاية أو نهايات. إن الحياة مليئة بملء مراده لكمال، وإن حياتكم في الله لمديدة بمراد المآل. فالحياة في الله قديمة جديدة، قديمها جديد في الأقدم، وبجديدها قديم في الأحدث، ولكن حياتكم في الأشياء موقوتة محدودة، وإن أقداركم في الأشياء مقدورة معدودة. فإن نظرتم للشيئية فحياتكم تافهة فانية، وإن نظرتم للروحية فحياتكم خطيرة باقية. إن حياتكم الحقيقية في عالم الأرواح، فإن نظرتم إلى أرواحكم باقية، جليلة عظيمة بمتابعتها لرسوله الحي الباقي كان فضل الله على عبده منكم عظيما، وفضله عليكم عميما في إبقائه لكم في ساحة رحمته متابعين لفرده في أنفسكم متجددا، وبينكم متعددا، في معراج لا ينتهي...

فاذكروا عظمة الله تواتيكم، ورحمة الله تدانيكم، واعلموا أنكم تجددون وتبعثون، خير أمة أخرجت للناس، تنهون عن المنكر، وتأمرون بالمعروف، وتشهدون وجه الله...

تؤمنون به وتتواضعون فيه، وتعرفون عنه، وتعرفون به، مؤمنون بالله تعرفون الله بوحدانيته، وبفنائكم عنكم هو أنتم ولكم الآباء، وبقيومه واصطفائه منه هو أنتم ومعكم الأبناء.. أيها الأمة الوسط تعرفونه قديما بلا بداية، وتعرفونه باقيا بلا نهاية. أنتم أيتها الأمة الوسط ناشئة الليل، أنتم مجال الحق الأقدم في المثال، ومجال الحق الأشد في الوطأة، والحال، الذي أدرك في الله قسطا أوفر ما يدرك، وأقوم ما يقال، فأنتم بدء لما يعرف، وأنتم خليقة لما قبل خليقة، وأنتم حقيقة لما بعد حقيقة. إن الله فاعل بهذه الأمة ما لم يفعله بغيرها ممن سبق، بها يقيم علاقة للصلة مع قديم الجنس محققا، ومع تقادمه مرسلا، ومع جديد الجنس مباركا، وجديده ميسرا. إنها الأمة الوسط. إنها أمة الصلاة الوسطى لا انفصام لها. إنها أمة الرسالة والرسول. إنها أمة البدء والبعث والأزل. إنها أمة القيامة والحشر والمثول.

إن الله جاعل بهذه الأمة بؤرة اتصال، وزاوية وصال، فيها يتلاقى القديم مبعوثا في ثوب الجديد، ويتلاقى القائم مع القيوم في الوليد، تعرف الموجود وتميز المفقود، يحقق فيها قديم الجنس لنفسه ما يرجوه بجديد، ويتواجد فيها قابل الجنس منه في شهيد. أنتم أمة العباد، أنتم أمة الرشاد، أنتم أمة الرضوان والوداد، أنتم أمة العمل والتوكل، أنتم أمة المجاهدة والبعد عن التواكل، ما أرسل لكم رسول من الحق فيكم إلا قام بقيامكم بعثا للحق فيكم، ووجها للحق مشرقا بنوره بينكم، وبعثا في القلوب، طلب إليكم بلطيفه منه على لسان كثيفه منكم أن تشهدوا وجه الحق الظاهر لكم بوجه الحق القائم بكم بالمودة له، والصلة به، والتسليم له، ومحاولة الصلاة عليه، والصلاة به، والصلاة فيه...

وأمره بالصلاة عليكم، وعرفكم أنه بقدمه من لطيفه عليه وصل، وعرفكم أنه بلطيفه عليكم يصلي ما لبيتم النداء، وحققتم لموجودكم الرجاء، وحسن الجزاء، وحرصتم على نعمة الله به فيكم، وفضله به عليكم، وطلب إليكم بحقه من كثيفه بكم أن تسلموا لكثيفه بينكم تسليما، ولو فعلتم لكنتم حقائق شاكرة، من الحق مشكورة، وكلمات له ذاكرة، ومنه مذكورة، فقامت الدنيا تحت أقدامكم دنيا بعد دنيا، وقيامة بعد قيامة. ولو أنتكم الآخرة فكنتم به حقائق الدنيا والآخرة، وفي تجدد الدنيا هي لكم خلقة الزمان، ففيكم خلقة الذات والمكان، وبكم تتوالى القرون جيلا بعد جيل، ورعيلا بعد رعيل، ومنكم تتوالى الأمم طبقة بعد طبقة، سبقتكم في الله أمة، ربح منهم من ربح وخسر منهم من خسر، فارقوا الأرض أرواحا، واختلفوا عنها أشباحا، واستقبلتهم السماء بما عملوا، وردتهم على توالي وتعاقب في حقب من الزمان متلاحقة، على ستر من أمر الله، حتى استكملت الحلقات ودارت دورتها فيها الآيات، إلى حضرة إنسانية متوفاة، للأزلي وجهه ومعناه.

وها نحن في هذا الزمان نستقبل منها أرواحا مرشدة، وجميعها من أصول هذه البشرية ترجعهم إلينا السماء على تباعد في أسبق من الأزمان، وعلى تباعد من المدنيات في القيام، بينهم من لا نعلم من أمم خلت لها ما كسبت، وبينهم أمة من أمم قديم رسول الله، الأمة المبشرة في كلمة الله المذكرة أمة المثال لأمم رسول الله المعبرة، هي أمة السيد البريء، علم الرجاء وحسن الجزاء عيسى بن مريم، وأمة من قديم رسول الله في ثوب جديده، أمة في كلمة من حقه وروحه، ذكرت وعبرت في الإمام عليّ ومتابعيه، ومن بعث فيهم وفيه، تقوم لنا بهما صلة، ولنا فيهما وبهما رجاء، تصحبهم أمم من الأرواح، لهم إلى الأرض رغبة في مرجع، يرون فيه تلبية لنداء الأبناء، ويظاهرون به دعوة رسول الله للقاء، لنعلم من أمر الدين ما جهلنا، ونعلم من أمر رسول الله ما خفى علينا، وليعلموا معنا في دناهم ما يزدادون به في الله وعيا، ونزداد معهم منهم به إدراكا وسعيا، ونعرف منهم بهم ما يعرفون، ونشرف بهم فيما به يشرفون، ولكتب الله فينا فناء فيهم يقرأون.

إن رسول الله ما قصر وما ونى. فما أخفى شيئا بمجال من مجالاته، ولا في رسالة من رسالاته. قال للناس في رسالاته وفي بعثه في الرسالة الأخلاقية للعبودية في ذاته ومجالاته: أنتم إلى مغادرة لهذه الأرض على يقين، وأنتم إلى فناء في جلباب الأشياء كما تعلمون، فأنتم إلى عالم الروح منتهون، وليست الأشياء كما تنظرون، فأنتم إلى عالم الروح تنسبون، منه جئتم واليه تعودون، وإني وقد خلفت الله عليكم في أرضكم رسولا منه في قديم، والله هو السميع الباقي، والسيد العليم يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويحقق رجاء الراجي إذا ارتجاه، فهو لا مكان له، وهو من كل شيء قريب، وعلى كل شيء حفيظ.

فاليوم أفارقكم من دنيا أنا بها غريب، وقد خلفت الله عليكم وهو بيتي وعترتي، عليكم القائم القريب. وإذا كنت قد خلفت الله عليكم، وهو خالفي ومخلفي عليكم، فقد أصبح العلم عنه، والمعرفة به، والوجهة إليه، والقيام في صلته أمرا للكافة، إن شاءوا اختاروه، وإن شاءوا كفروه، فإن حقق لهم فيه ما شاءوا من رجاء عرَّفهم بما عرفوا، وهكذا كان الأنبياء، فلا نبوة من بعدي على مثال من قديم، وخير منها ما سيوافيكم به الله، بما يبرز بينكم من قائم رحيم، وعارف عليم، وإنه عليه لقادر كريم.

إن الله وقد هيأ للناس سبيل الصلة به بعد الرسول، استنفذت رسالات العبادات والتكاليف أغراضها بعد الذي جاء به النبيون، وتوجه ما جاء به محمد بصلاته وسلامه من منهج ومناسك، وقد جعل الله لكل أمة منسكا ومنهاجا، جمعها وأقرها وأحكمها وبينها فيما جاءت به الرسالة الجامعة، كتابا، وإقرارا، ورخصة، وحكمة، وسنة. وها هي الرسالة الإسلامية الروحية تكشف لكم عن الصلة بالله مرة أخرى.. تكشف عن قيام الحق في وجودكم مرة أخرى تجديدا لدينه وتعاليمه عليه السلام، فإذا كان الأمر كذلك فقد صدق الرسول وأصبحت النبوة في غير حاجة إلى التواجد، وأصبح ظاهرا أن علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل حقًا لأنهم يتذاكرون في لا إله إلا الله، وهي أفضل ما جاء به النبيون من قبله، وقد أصبح علماء أمته يقومون في معنى لا إله إلا الله، يدعون إليه ويعرفون به على بصيرة، فهم والأنبياء سواء، وقد تفتحت به عليه الصلوات للناس رحمة الله في سائر العوالم، وصدق إذ قال بكثيفه على لسان لطيفه إنه رحمة الله المهداة، وإنه حوض الحياة الموعود، ومدينة العرفان والنجاة المنشود.

فيه تفتحت للأرض كمالات معاني المعرفة بامتدادات قيامه شجرة للحياة طيبة، وقد تكفل الله أن يكون بين الناس الصادق الأمين، ووعد أنه مصطفيه منهم وباعثه فيهم من الصادقين، متقلبا في الساجدين القانتين، فيهم يخرج للناس وللكافة، وإن ذلك شرف مباح للناس أجمعين، إن شاءوا طلبوه وعملوا له، وإن اجتمعوا على طلبه عرفوه، فإن الله متعهده ما تعهدوه، وما استقاموا على مناسكهم فاتقوه، وما أدركوا معاني هذه المناسك على وجه سليم وطريق مستقيم فقصدوه.

هذا ما جاء به رسول الله وقبلة الصلوات والصلاة بما فرض من صلوات بالله لله، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم. هذا قانون دورة الرسالة والرسول. وها قد انفضت سوق بل أسواق، وانقضت دنيا بأهلها، بل دنا لختام من ظلام وبدء من قيام. ها نحن في هذا العصر نستقبل جديدًا في الاتصال، ونستقبل جديدًا قديمًا في الوصال يتجدد به، ويظهر علينا فيه المتكاثر جديدًا من مثال وآل في صحاب وأمة وصال على ما وعد الله في كتاب إحاطته، وعلى ما بشر الرسول في سنته، وعلى ما قام الله في قديمه عن شرعته. فهل نحن على مثال من آباء استيقظوا فلبوا النداء؟ أم على مثال من آباء من مخالف من سلف أصموا الآذان، وتعثروا في أنفسهم مصرين على ما وجدوا عليه من قبلهم؟ ... جحدوا

وبقوا فيما كانوا عليه جمودا بلا روية وبلا إعمال للفكر أو احترام للنفس. هل تسلكون طريقكم للرحمة المدانية، والحقيقة المقاربة المواتية، والأنوار المشرقة، والحقائق المتواجدة، والمعاني المتدانية المتقاربة، والسماء المنشقة، والأرض الممتدة، فتستجيبون لنداء الله؟ أم ترون آباءكم على أمة وعلى آثارهم تقتفون؟

إنا هنا نلبي النداء من يوم الجمعة مكبرين مهللين، نرف مع الروح حيث رفت، ونعف عما عنه عفت.

لبيك اللهم لبيك. الله أكبر. الله أكبر.

إلا تنصروه فالله ناصره وجبريل وميكال والملائكة وصالح المؤمنين والله من بعد ذلك ظهيرا..

فإن الله بكل كلمة ظاهر ولها ظهير، وبها فاعل ولها معين، وإن الله في كل حق هو المنادي، وإن الحق في الناس منه فيهم هو الملبي، فما عرف الله إلا الله.

فاللهم اجعلنا بمحمد وآله من أهل التلبية، وأهل الاستقامة، ولا تجعلنا من أهل المعاندة وأهل الندامة، وباعد اللهم بيننا وبين اللوم والملامة، وارزقنا فيك الرحمة والسلامة، ويسر اللهم أمرنا، وقم منعما في قيامنا، وقوم بك جوارحنا، وأصلح بك أعمالنا.

اللهم به وبآله.. أعلِ فينا وبنا ذكرك.. وانشر فينا ومنا أمرك.. واجعل اللهم منا لك عبادا ترضاهم، واجعل اللهم به وبآله لك بنا في الناس يدا ترعاهم، واجعل اللهم منا لك في الناس أحواضًا منك تورد، ووجوها لك بالحق تشهد، واهدنا اللهم واهدِ بنا، وأرشدنا اللهم وأرشد بنا، ووفقنا اللهم ووفق بنا، واغفر اللهم لنا واغفر بنا، واشفع اللهم لنا واشفع بنا. إنك سميع قريب مجيب للدعاء.

وأنزل بفضلك سكينتك على قلوبنا، وأمنك وسلامك على نفوسنا، ونورك ورحمتك على قلوبنا وعقولنا، وأحطنا اللهم بعنايتك، وتخللنا برحمتك حكامًا ومحكومين، أئمة ومأمومين، أربابا ومربوبين، دعاة ومدعوين، روادا ومرودين، آباء وبنين، ملبين وغافلين، طائعين وعاصين.

أضواء على الطريق

من هدي الكتاب:

- {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. فولِ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره}[1]
- {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[2]

من هدي الرسول:

- (القلب بيت الرب)[3]
- (انعكس بصري في بصيرتي فرأيت من ليس كمثله شيء)[4]
- (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[5]. (حديث قدسي)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة البقرة -144

2 سورة الذاريات -21

3 عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.

4 حديث شريف يذكره الصوفية وبعض العلماء: لَيْلَةَ عُرِجَ بِي اِنْتَسَخَ بَصَرِي فِي بَصِيرَتِي، فَرَأَيْتُ اللهَ! رَأَيْتُهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كَتِفَيَّ، فَشَعُرْتُ بِبُرُودَتِهَا عَلَى ثَدْيِي، فَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ: أَلاَ تَرَى فِيمَا يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ " قُلْتُ: " أَنْتَ رَبِّي أَعْلَمُ، فَعَلَّمَنِي عِلْمَ الأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ وَأُوتِيتُ ثَلاَثَ عُلُومٍ: عِلْمًا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا خُيِّرْتُ فِي تَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا نُهِيتُ عَنْ تَبْلِيغِهِ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُطِيقُهُ أَحَدٌ غَيْرِي". وهو حديث يوصف من جانب علماء الحديث بأنه موضوع.

5 إشارة إلى الحديث القدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

(٨)

الناس هم الناس
يا حسرة على العباد

حديث الجمعة

١٥ رمضان ١٣٧٧ هـ - ٤ أبريل ١٩٥٨ م

السلام علينا وعليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق للناس كافة، ختم به الدين، وأتم به اليقين، وفتح به باب القرب، وباب المعرفة، وباب القدس، وباب النور، وباب الحق، وباب الخلاص.

أسبغ به على البشرية شرف التحقق، ويسر الإدراك للحقيقة، وأتم به لعوالم الجن والإنس والملك ما اشرأبت إليه النفوس، وتطلعت إليه العقول، وخفقت إليه الأفئدة، وانتظرته الأجيال من شهود وجه للمطلق المعروف، يستمد، ويرجى، ويعشق، ويرب.

فكان للإطلاق يدا مدانيا، ووجها مشرقا، وحقا مقاربا، ولسانا ناطقا، وترجمانا صادقا، وأمينا حاملا.

فماذا عرفت البشرية عنه؟ وماذا أخذت البشرية منه؟ لقد جافته لها محبا، وأنكرت عليه صادقا، وقاومته محسنا، وانقطعت عنه ممتدا، وعافته عن مواصلة الأحياء لها حيا، وأمانته عن تكاثره دائما مستمرا...

ثم هي بعد ما توهمت من غيبة ذاته على ما اعتقدت فيه من ذات على مثال ذواتها، أسرفت في تعلقها بمفقودها، جاهلة بموجودها، منكرة على مشهودها، حتى لتذكر نعال القدمين، وحتى لتسجد لبقايا جلباب أو إناء، أو آلة استعملتها يده.. إسراف وإتلاف.. إتلاف عند الاتجاه لليقين، وإسراف عند الظن

والتخمين، فلا وعي ولا اعتدال في مسلك، ولا تقبل لما يصح أن يقوم بالعقل، ولا اعتدال في الحب أو الخصام يتهيأ به سلامة الاتجاه أو المسلك.

إن البشرية هي البشرية، ها أنتم تجلسون بين يدي لا تتجاوزون أصابع اليدين تستمعون إلى هذا الحديث مستمدا مفاضا من عالم الروح، وتغيب عنه البشرية، بينما له عالم السماء مظاهر، وعالم الروح من أهل الأرض مرحبا، مجيبا، مواصلا، مستمدا، ممتزجا، قابلا، باذلا، طائعا، عاملا، مؤاخيا، متفقا، مشاهدا، مؤمنا، موحدا.

إن الناس في ظلام من أنفسهم لا يميزون بين الغث والثمين من حياتهم، ولا بين الغث والثمين من دينهم، ولا بين الغث والثمين من حكمة تقدم إليهم، أو طاقة تدانيهم وتقاربهم في أعماقهم. إنهم لا يحاولون معرفة الحق فيميزون أهله.

إن من يعمل ببضع كلمات.. إن من يتفتح عقله لكلمة من كلمات.. إن من يتفتح قلبه لشيء من كلمات أو همسات تقذف في هذه الساحة بالمحبة والصدق، تكفيه في حياته الدنيا، وفي حياته الآخرة، ولكن الناس في عماء عن الحق، يعميهم حتى عن الحق الأبلج، وعن النور اللطيف الرقيق، وعن ماء الحياة الدفيق، تحسه قلوبهم، وتقشعر منه جلودهم، وهم بعد ذلك في شك من أمرهم.

يا حسرة على العباد، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون، وإنهم في حاضرهم كماضيهم في آبائهم، وقابلهم بأبنائهم، لا يصلحون إلا من أصلح الله، ولا يرحمون إلا من رحم الله، ولا يسترحمون إلا من هدى الله، فسبحان الله القادر على كل شيء، والآخذ بنواصي كل شيء.

إن أمر هذه الدار وأمر ما يدور فيها ليس بمجهول عند الكثيرين، وعند من يسمون أنفسهم بالعقلاء، أو عند من يسمون أنفسهم بالأتقياء، أو عند من يزعمون أنفسهم أبناء للطريق، أو أبناء لطريق، أو عند من يزعمون أنهم على صلة بالروح، أو على إيمان برسالة الروح، وهم في وهم من ذلك كله، وهم في زعم من ذلك كله، بما يكشف عنه مسلكهم العملي في الحياة. العلم يُسعى إليه ولا يَسعى إلى الناس. إن من يحرص على أمر يحرص على إحيائه في نفسه، ومن يحرص على إحيائه في نفسه يحرص على إحيائه في غيره. أين هو الإيمان بشيء من ذلك؟ أين هي المعرفة به؟ أين هو التسليم له؟ أين هو الارتباط به؟

إنه هكذا على ما أشهد، وإنه لهكذا كما أدرك، فهو ظاهر لي كما أرى، وإنه واقع كما أُفصح ولي معكم منه نصيب. أسأل الله لي ولكم ولإخوانكم، أن تستيقظ منا القلوب، وأن تتفتح منا العقول، هذه هي الحياة.

إن الإنسان في كبريائه ليحسن الظن بالناس يختارهم لنفسه، وإنه ليحسن الظن بالثقاة يصطفيهم لمراده، وإنه ليحسن الظن بالعقلاء يرتضيهم لمعونته، حتى إذا حنكته الأيام، وحتى إذا دهمته الأحداث، كشفت له عن لا شيء فيهم، فقد محت كبرياؤه معاني الحق فيه ورباط الحق به، فقام بناؤه على شفا جرف هار.

إن رحمة الله تحف بالناس وهم عنها عمون، وإن رحمة الله لتطرق أبواب الناس وآذانهم عن الطرق صماء، وإن رحمة الله لتشرق إشراق الشمس ولكن العيون عنها عمياء، وإن حكمة الله ورحمته لتملأ الآفاق، وتملأ الحياة، وتملأ النفوس، ولكن عقول الناس في غفلتها لا تدرك ولا تستجيب، ولا تريد أن تستيقظ.

إن حياة الله لتملأ النفوس، ولتهز الشعور، ولتحرك المشاعر، ولكن الناس عن الحي القيوم فيهم في غفلة من موات أنفسهم، من موات أفكارهم، وموات مطامعهم، وموات إرادتهم فيما لا ينفع، وفيما يضر أكثر من أن يدل على نفع.

ها نحن في شهر الصيام.. شهر هيأت مناسكه للناس أسباب الصلة بالله، وأسباب اليقظة، وأسباب البعد عن الغفلة، فماذا نفعل فيه؟ نلتوي به عن طريقه ونلتوي به عن أهدافه فنراه شهرا للطعام لا شهرا للصيام، وشهرا للإسراف لا شهرا للإمساك، وشهرا للمتعة لا شهرا للتقشف، وشهرا للكسل والاسترخاء، لا شهرا للعمل والرجاء. أين هي الصلة والصلاة؟ أين هو الاتصال والخلاص والنجاة؟ أين هي المعاني السامية؟ أين هو التعريف بالدنيا فانية؟ أين هو تجديد العلاقات المطلوبة للمحبة والإحسان، المحببة للصلة والصلاة بين أهل الإيمان؟ لا شيء من ذلك نراه في هذا الزمان.

إن الإنس والجن ليسألون عن الله وهو فيهم، ويطلبون الله وهو معهم، ويحاولون أن يخرجوا عن دائرة السماوات والأرض وهم أعجز عن الخروج عن دائرة أنفسهم، إلا من أدرك السلطان لله في نفسه، وفي ملكه، وفي ملكوته.

إن الله معنا.. إن الله في قلوبنا.. إن ملكوت الله في نفوسنا، ولكنا نطلب الله بعيدا عن ملكوته، وبعيدا عن عرشه، وبعيدا عن ملكه، فكيف يتسنى لنا أن نعرفه؟

إن هدى الله بيننا، وإن وجه الله معنا، وإن يد الله ممتدة إلينا في كل وقت وفي كل حين، في النور وفي الظلام، في اليقظة وفي المنام، لكنا لا نمد ليد الله يدا، ونحاول أن ندخل الله بالجدل والحد في الإحصاء والعد، وأن نحيط بالله بالفعل والإدراك، ونتحكم في الله بالنفس والقدرة، ونقيد الله في الجسد والذات، لا نستمع لكتاب، ولا نتيقظ بإياب، ولا ننتظر لموت، ولا نتأمل في مولد، تلوك

ألسنتنا ألفاظا نسميها كلام الله.. والله من ألفاظنا ومن كلامنا بريء، وكلامه منا براء، ونزعم أننا على دين الله، وعلى يقين بالله، وعلى الشيء الكثير من المعرفة عن الله، وعلى وهم رضاء عن الله، وعلى وهم رضاء من الله، ونحن لم ندخل بعد في معنى الحياة.

إن الحياة ما تحيي أنت في نفسك من الحي القيوم فيك وهو اللطيف، والقيوم عليك وهو الرحيم، والقيوم بك وهو الكريم، فلا حياة لله في مملكة عبده، ومن قيام ذاتك، إلا ما أحييت أنت في هذا الملك الصغير من أمر الله. إنك في مملكة نفسك ملك متوج على عرشك. فكيف لا تعني بإحياء هذه المملكة، ورفع قوائم هذا العرش، وهذه هي الحقيقة، إنك إن فعلت تواجد الله ظاهرا في وجودك لك، وحيا اسم الله في حياتك لمعناك، وظهر غيب الله في ظهورك بمعناه ربا لك، وقام الله في قيامك أهل بيت لمبناك قبلة صلاة، وتنزه الله بروحك من روحه غيبا، وتجلى بذاتك علما على غيب ذاته عبدا.

ما أوجدك من أوجدك إلا ليعلم وجوده بك عندك في علمك عن وجوده في وجودك، بالكشف عن حكمة إيجادك وسر موجودك بتجديد هذا الوجود فيك بذكره وترديد اسمه مع من قام به ذكره، وعرف متخلقا به فيه اسمه، بما عرفت من صفاته سويا على ذاتك مقتديا، وتخليك به عن صفاتك مرتقيا طلبا لمرتجى صفات ذاته وجها لمنشودك، وهذا ما تلوكه ألسنتكم من لفظ لا إله إلا الله، ترددها ألسنتكم، ولا هدى فيها لقلوبكم، لأن القلوب وهي في منام، لا تريد أن تستيقظ من حياة سباتها بقيام، بأنها تريد أن تتابع ما توارثت وما نقلت وما نقل إليها متخلية عن مسئوليتها إلى توجيه خاطئ من غيرها، والله قائم على كل نفس بما كسبت، لا بما سمعت، ولا بما نقلت، ولا بما تابعت، وإن الله لمهلك المتابَع والمتابِع، ما تتابعوا على ضلالة، وما تتابعوا على غير نور من هدي العقل نفسه، وإدراك المسئولية للإنسان بنفسه في نفسه عن نفسه في حدود وسعه وإدراكه وحسه.

لا تركنوا إلى شيوخ تزعمونهم شيوخا لكم، ولا إلى أنبياء تزعمونهم أنبياء لكم، ولا إلى أئمة تزعمونهم أئمة لكم، فإن الله محاسبكم، وما هو محاسبكم إلا في معانيكم أنتم، فأنتم الذين ستحاسبون أنفسكم بأنفسكم، بما فيكم من الحق من الله، فحاسبوا أنفسكم من الآن، وضعوا أنفسكم أمام أنفسكم محاسبين، واسألوا أنفسكم كم وعت من الحق، وكم حملت من أمانات من الحق، وكم علمت عن الحق، وكم رغبت في معرفة شيء عن الحق، وكم طلبت مما هيأ لها أسبابه وسيلة من الخير ومن الحق.

إننا نعيش في جو من ميراث من نقل لا حياة فيه، ولا خير فيه، ولا نور فيه، ولا وعي فيه، ولا حق فيه، إلا من رحم، وها هو الله يجدد فينا رسالته ودينه مع رسوله على سنن من قديمه، ومن قديم مستديمه، ومن باقي هديه، في باقي أمره، في تجدد لنا مدركين، وتطورنا لا سدى متروكين، ولا نياما غافلين، بل أحياء مصبحين.

ها هي السماء تدانينا بركبها وما كانت إلا بيننا بأهلها، وها هي الأرض ترتج بأحداثها، وتتزلزل بحوادثها من فعل أهلها بضيق أفقهم، ومخطئ وجهتهم، ولكن الناس وهم يرونها تتزلزل تحت أقدامهم وفوق رؤوسهم، وتتزلزل بها نفوسهم، إشعارا لما أوحى به لها، وقياما لقيام أمرها، لا يدركون لما حمله النبأ العظيم، ويطلبون زلزالا ماديا، يأخذ الحرث والنسل ولا يبقي شيئا، حتى يستيقظوا إلى بلاغه، وهم موتاها {إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[1]، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[2]، {قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم}[3].

إن الله قد بث في السماوات والأرض دوابها من الناس، ومن الجن، ومن الإنس في الإنسانية الكبرى، ومن عباده، ومن كلماته، وفيهم كل ما خلق من ألوان خلقه، وأنه على جمعهم إذا يشاء قدير، وأنه هكذا يجمعهم، وأنه اليوم بينكم يجمعهم، وأنه أمام العالم، وأمام الناس يجمعهم، وأنه على جمعهم لقدير، وأنه في دوام جامع عند من يرى جمعهم واجتماعهم منهم، وأنه على كشف جمعهم إذا يشاء قدير. وقد شاء أن يكشف وهو القدير، وها هو قد شاء أن يجمعهم في علن، وشاء أن يبرز قدرته كاملة، في جمعهم في سفور.

ماذا ينتظر الناس ليفيقوا؟ ماذا يريدون ليتهيأوا؟ ماذا يستبقون ليخشعوا؟ يطلبون الساعة، وهم في ساعة دائمة، من مولدهم إلى غيبتهم بالموت، وهم في ساعة من آدم إلى أن يبرز الله آدم، وهم في ساعة من كل رسول إلى أن يبرز رسولا، وهم في ساعة من مولد كل رسالة إلى أن تمحى معالم هذه الرسالة فيتهيأ المخلص للرسالة. أي ساعة يطلبون وهو معهم؟ أي ساعة يطلبون وهو القائم على كل نفس بما كسبت؟ أي ساعة ينتظرون ليلاقوه وهو أقرب إليهم من حبل الوريد؟ أي ساعة يطلبون وقد بُعث فيهم نبي الساعة وجعل من ربه منتهاها ربا لهم، ومن بعثه منتهاهم حقا لهم فيهم؟ إن الساعة في أن تتكشف الحقائق. إن الساعة في أن تدرك النور. إن الساعة في أن تدرك الحياة. إن الساعة في أن تتغير من وقت إلى وقت، وبين يوم ويوم، وبين زمان وزمان، وبين فترة وفترة في معناك ومبناك. إن الساعة هي فيصل الزمان في أزلي حياتك من ماض لا تدركه وأبدي حياتك ومستقبل لا تعلمه بحاضر لا تملكه. إن الساعة أن تدرك ماضيك قبل المولد، وأن تتهيأ أو تدرك من مستقبلك بعد الموت. إن الساعة في وعيك، وفي إدراكك، وفي تطورك العقلي والكوني والحسي والمعنوي. ألم تستمع لقول الرسول وقد

قال (لكل منكم ساعة)[4]؟ إنها ساعة حياتك.. إنها موقوت دنياك، وأي قيامة تنتظر بعد قوله (من مات فقد قامت قيامته)[5]

بيانًا لكلام الإحاطة في قوله {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}[6]، مما يجعل لكل إنسان ساعة وقيامة في حياته وفي مماته.

وإن إشارة الرسول (لطفل في يد أمه) وهو يسأل عن موعد القيامة. هل رأيتم هذا الغلام؟ فقد قامت قيامته، جُعلت في كل مولد لوليد بعثا من ساعة وقيامة، وفي كل موت لميت ساعة وقيامة. إن في كل يقظة تعرض لك في حياتك، فتغير من مسلكك، وتغير من أمرك، ساعة وقيامة. إن في كل موافاة منك للحق تدانيها بإيمان، ويقين، وقلب صادق ساعة وقيامة، وفي كل ثورة فكرية ساعة وقيامة، وفي كل حرب مغيرة ساعة وقيامة، وفي كل تطور اجتماعي ساعة وقيامة.

ولكن الناس وصفوا الساعة لأنفسهم، ومن تلحين أنفسهم وتصويرها، ورسموا قيامة لأنفسهم من تصوير أنفسهم، ووحي خيالهم، كما قرروا مولدًا للحياة من خيالهم توارثوه، وتوهموا موتا للوجود رسموه، وفي خيالهم أقاموه، والوجود حي بحياة الله مبدعه قديم بقدمه باق ببقائه، ولكن القيامة والساعة والبعث، إنما هي صفات وأحوال لمفردات الأجناس، وجماعاتها في الوجود الصمدي لله، في شقي الحياة.

إن الحياة وإدراكها، وإن الحقائق وإشراقها، وإن المعرفة وإغداقها، وإن النور وكسبه، وإن الحقيقة وإدراك القيامة فيها، هذه هي الحياة، وهذه هي الموالد والبعث، وهذه هي القيامات، وهذه هي الساعات، وهذا هو البعث ببعثه الناس، بعثا بعد بعث، وقيامة بعد قيامة، ومولدا بعد مولد، وموتا بعد موت، وطورا بعد طور، ما بين لطيف وكثيف من روح وجسد. وهذه هي المعارج إليه حتى يعودوا كالعرجون القديم.

أما ما يتوهمه المتوهمون عن فهم للحياة، يلقنونه الناس لدين أو علم، ويردده الناس بوهم المعرفة، فهو سراب فيه يحيون في عالم وصور من سراب، يقومون بذواتهم من السراب، يطلبون بها طلباتهم وهدفهم، من سراب أنفسهم، وتفاجئهم الحقيقة يوما، وقد كانت إياهم في معيتها لهم، وكانت بهم ولها تناسوا، وكانت معهم وليست غيرهم وأنكروها، وكانوا إياها برحمتها ففارقوها وما لازموها، وخسروها وما كسبوها، أغضبوها وما أرضوها، وارتضوا أوهامهم لأنفسهم، وقد كانت بهم راضية على مضض وعلى أمل وعلى رجاء، فإذا هم العدم كله، وإذا هم الوهم كله، وإذا هم قد كان بين أيديهم أن يحيوا فلم يحيوا، وكان لهم أن يبعثوا أنفسهم فلم يبعثوها، وكان لهم أن يقيموا قيامتهم بقيام الحق فيهم، قيوما

بهم، قائما عليهم، فما أقاموها {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه}[7].

يزعمون أنهم يوحدون الله، ويتمادون فيدعون أنهم يكبرونه ويكبرونه وما وحدوه فكبروه، وما اتقوه وأكبروه، فلن تدرك نفس معنى الله أكبر مالم تدرك الله في وحدانيتها في ذاتها من وحدانيته في ذاته، وأن القلب بيت الرب، وأن القلب بيت لمنشودها من الله، وأن قلبها بيت للرب تراه، وأنه عرش لله يمتطيه ويستويه ويعرشه لنفسه، وأن الرفيق الأعلى من ذلك أكبر، وأن الله منهما أكبر.

وحدانية الله أساس كل شيء، وإدراك الوحدانية أساس الدين، وأساس الاستقامة، وأساس الحياة، وأساس السعادة، وأساس الساعة والقيامة، وأساس الجنة والنار، وأساس الموت والعدم، وأساس الحياة.

فإدراك وحدانية الله، والتذاكر والنجوى عن وحدانية الله هو الدين، وهو الحياة، وهو السياسة، وهو الكياسة، وهو الطريق، وهو السعادة، وهو العلم.

أسأل الله لي ولكم هديا مقربا، ونورا مقاربا، ورحمة متقاربة، وأسأل الله لي ولكم أن يزكي منا النفس، وأن يحيي منا القلب، وأن يبدل منا الذات، وأن يقوم منا الجوارح، وأن يخلص منا العمل إلى حضرته وإلى العلمية على معلومنا لمعناه، ومشهودنا لمجلاه، وإلى معاني قربه مقاربا، وإلى معاني قيوميته قائما، وإلى معاني دنوه ودناه مدانيا.

إن الله معنا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وصل رسوله قديما وأبرزه مستديما، وأفاض علينا منه رحيمًا عليمًا، وقوَّمنا به آمرًا كريمًا حليمًا. وقد أعطى كل شيء خلقه عليمًا. وهداه به حيا قيوما.

هذه شعائرنا وهي شعارنا، والناس في مشيئتهم مؤمنين، وفي قدرتهم مجابين، والله ولينا في الدنيا والدين أولين وآخرين مجتمعين. نسأل الله الكرامة والسلامة، والبعد عن الملامة والندامة.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة الزلزلة -1:8

2 سورة الأنعام -158

3 سورة الواقعة – 49، 50

4 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

5 حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.

6 سورة ق - 19

7 سورة النور -39

(٩)

عوالم
الإنس والجن والروح من الإنسان

حديث الجمعة

١١ رجب ١٣٧٧ هـ - ٣١ يناير ١٩٥٨ م

بسم الله.

والصلاة والسلام على رسول الله.

أحمد الله الذي هدانا لما هدانا إليه من نعمة الإسلام له ولرسوله، والإيمان به وبرسوله، والإدراك لنعمائه وفضل رسوله، وأسأله تعالى وهو الذي لا حد لكرمه ولا مقاييس لرحمته، أن يوفر لي ولإخواني حظنا منه ومن رسوله، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، في التقرب إليه وإلى رسوله، والاستجابة لأمره وأمر رسوله، والانتهاء عما نهى ورسوله عنه.

إخواني من هذا العالم..

إنا لا نعيش في عالمنا هذا منقطعين عن عوالم الله، فإن الله الذي لا عالم له، ولا صورة له، ولا زمن له، جعل من عوالمه وحدة فيه، وجعل هذه العوالم متناسقة متوافقة مرتبة بمستويات الإدراك عنه، لا بمكانية، ولا بنوع، ولا بزمان.

فهذه الأرض أو ما نسميه الأرض من دار، كما وصفها الرسول محسنا، عند الله كثير من الدور على مثال لها، ونحن في هذه الدار لسنا منقطعين عن إخوان لنا في دور من مثالها، كما أننا لسنا منقطعين عن سكان لهذه الدار يشاركوننا فيها غير منظورين منا، وإن كنا منظورين منهم، وقد يكون من بيننا من ليس منظورا لهم، مع تواجده عليها.

إننا كعالم مُتراءٍ يرى بعضنا بعضا بسر جهازنا من هذه الأرض، يجب أن نتواصى كمرئيين بعضنا لبعض بالحق، كما نتواصى بالصبر على ما علمنا.

أما وقد بدأت عوالم ليست مرئية لنا، تتصل بنا، وتهيئ لنا سبيل الاتصال بها في الوقت نفسه، فيجب أن نرحب بهذا ونقدره حق قدره.

هذه العوالم في وحدتها وإجمالها، يمثلها عالمنا على صغره أو أن صورة عالمها الأكبر ماثلة في صورة عالمنا الصغير هذا، فهذه العوالم تتصل بنا، وتواصل صلاتها وتنميتها معنا على اختلاف مستوياتها، لتبادل المعرفة بينها بإرشاد أئمتها. فإذا كان منا من يتنبهون لهذه الحقيقة ولهذا الأمر، وجب أن يدركوا الأمر على حقيقته، فيعلموا أن ما يتصل بنا من أرواح من أهل هذه العوالم بينهم عوالم على مثال منا، وبينهم العالم والمتعلم، فلا نأخذ كل ما يأتينا به الاتصال عفوا لخاطر، أو قضية مسلمة، أو وحيا مبلغا، أو حقيقة مرسلة، فهذا قد يكون، ولكن يجب أن نربط كل ما يصل إلينا بما بين أيدينا من معرفة جاءت بهدي الأنبياء، وفي كتب السماء، فقد تكون المعرفة المقدمة دون ما لدينا، وقد تكون بيانا لما بين يدينا.

نحن لا نريد أن نضع هذه العوالم تحت منظورنا وفي دائرة إحاطتنا، كما يفعل بعض الجهلاء من بيننا، أو أن نجعل منها أمرا دوننا، كما يفعل بعض السفهاء منا، لا بل نريد أن نرى في هذه العوالم أبوة، وأخوة وإنسانية، نتواصى معها بالحق، ونتواصى معها بالصبر، الأمر الذي فقدناه بيننا.

يجب ألا ننظر لهذه العوالم مفرقين بينها، وفارقين لنا عنها بأن نقول هذا من الجن وهذا من الإنس من أهل هذا العالم أو قديمه من عوالم الروح، وأن الجن ليس له حق الاتصال، أو لم يتمكن منه إلا بإرادتنا وباستدعائنا، وأنه دوننا وأننا نصله، أو أن العالم الروحي البشري للأرض، بجميع سكانه ممن يعلوننا ونحن نسفله في تنسيق العوالم.

إننا نريد أن نكون مع أهل هذه العوالم، في صلاتهم بنا، وتعاونهم معنا، وصلاتنا بهم، وسيرنا معهم على قدم المساواة، من حيث التواجد والأخوة في الله، ولكن يجب أن نعلم أنهم يتفاوتون بينهم كما نتفاوت بيننا في المعرفة، وأننا نتفاوت معهم كما يتفاوتون معنا، بقدر ما نرى فيهم من قيام تعريف عن الحق الذي ننشده وينشدونه، فقد يكون بيننا في هذه الدار التي نقطنها من يقوم به من الحقائق ما يطلب إدراكه من بعض هذه العوالم التي تغاير كثيفنا بلطيفها في طبيعة أو مظهر التكوين، وقد تخففت من أجسادها، أو من أغلافها الفيزيقية، ولكنها واصلت حياتها الروحية على أساس من مستويات من قديم كسبها، واصلت مراحل في حياتها الروحية، لم تصل بها إلى المستوى الذي يسمح لها بسلامة أن تكون في معنى المرشد العام لأهل عالمنا، وليس معنى هذا أنها لا تصلح لمعاني الإرشاد لأناس من أهل عالمنا، فمن بين عالمنا من هو في مستوى المعرفة دونها، ويصلح أمره بوصلتها، ولكن قد يتواجد في

عالمنا من يصلح من حيث ذاته وما فيه من الحق وما عنده من المعرفة، لأن يكون في الوقت نفسه مرشدا لفريق من أهل هذه العوالم، وإن كان من العوالم العليا من يكون مرشدا له في الوقت نفسه.

في عالم الروح مرشدون لأهله ممن يصلحون لأن يكونوا مرشدين في عالمنا أيضا على إطلاق هذا المعنى، وهم من يجب علينا أن نأتمر بتعاليمه، ونسجد لحقيقته فنندمج في بيئته.

فإذا وفقنا الله لأن نكون موضعا لنظر من عالم علوي على هذا المستوى الذي نشير إليه، وجب علينا مهتدين أن ننتفع بهذا المستوى في صلاته، وفي هديه، وفي إرشاده، وفي سعيه، وأن نستنير بما معه من نور الله، وبما هو من نور الله، ومن موائد الحق به، تداني هذه الأرض وعوالمها.

والذي أريد أن أخلص إليه أننا في عالمنا هذا إذا تجمعنا على طلب الحق، وتعرضنا للأرواح العليا، أو للروح الأعظم، أو لروح الله المقارب، رسولا للروح الأعظم وترجمانا له، أمكننا ونحن في أرض الصراع، وأرض الكسب، وأرض التزاحم، وأرض البدء.. أمكننا بتجمعنا أن نتقبل لفيوضات الروح المطلق وعوالمه، وصلته وصلاته.

فإذا تعرضنا بأجهزتنا لفيوضات الروح المطلق وعوالمه، ونحن لهذا بقانون أزلي وجدنا بمولدنا في عالم النشأة والظلام والعدم، فبحكم قيامنا محجوبين عن حقائق الحياة، إلا بالتأمل في أنفسنا وفيما حولنا، وبشرف إمكانيات الاستجابة لها عن طريق العقل والإدراك والإلهام، أمكننا أن نستقبل مستويات من الحياة، وأن نتطور، ونحن ما زلنا بعد في بوتقة الصهر والتكوين، حتى لنرتقي بأجسادنا في قابليتها، وقلوبنا في تكوينها، نتجمع في وحدة من المحبة يمكننا بها أن نتحد لنشيد صرحا من هيكل، أو من بيت لله على أرضنا، يكون كعبة لإفاضة الإطلاق والملأ الأعلى، وقبلة يتوجه إليها، ويقصدها من عوالم الروح مع عالمنا من كانوا في مجال الأخوة معنا، ومن ينزعون نزعتنا إلى مستويات الروح الأعظم، أو عوالم الروح الأعظم، وينزعون نزعتنا من نشر أمرها وبسط نورها في أنفسهم وفي الآخرين.

نخدم بذلك أنفسنا في أهدافها من جانب، ونخدم في الوقت نفسه هذه الأرواح من أصولنا التي لم تصل بعد لمستويات الإدراك للمعرفة الكاملة، وإن أسقطت عنها ثياب الظلمة والظلم وجلابيب الظلام والجهل من عالمنا، وبذلك نهيئ الفرصة لها للتعاون معنا على إقامة هذا الصرح الإنساني المبارك، وهو ما فاتها من حقائق التواجد في وحدانية الله، بما كانت تنكر على نفسها من إدراك عن معاني نور الحق فيها، وفي تواجدها في جلابيبها من مثالنا في سابق.

إن سكرة الموت لا تأتي بحق مباغت إلا لسجين حرره الموت وأطلقه من سجن الجسد من هذه الأرض وقد أنكر على ما ظهر له من الحق في تواجده على مثال من تواجدنا، وقد كبلته قيود المادة عن استفادة

الإدراك والطاقة، أما من كان حرا طليقا، وافيا من شهوده كاملا في موجوده في الحياة الجسدية فمزيد من الحرية، ومزيد من المعرفة، ومزيد من الصلة بالحق، ما ينتظره ويلاقيه ويستقبله بعد ظاهرة الموت.

إن هذا الحديث يسمعه معنا الآن إخوان لنا من هذه العوالم، كما يظاهرنا فيه إخوان أكبر من الرفيق الأعلى منا كذلك، فنحن مسموعون لهم، ومشهودون منهم، لا يخفى منا عنهم خافية، وإن كنا محجوبين عن رؤيتهم أو سماعهم بجوارحنا، إلا أننا ندركهم ونحس بوجودهم أو بمظاهرتهم بكلياتنا، ونؤمن بحقهم من الحق المطلق، لا ناحين على أخ صغير منهم بملامة، ولا منقصين لكبير منهم في قدر، أو تقدير، ولكنا طامعون من الله في مزيد من فيض منهم، يفيضه عليهم، ويفيض علينا منهم، وطامعون أن يفيض علينا ما يفيضه منا إليهم بدورنا، فيضا علينا وعليهم.

ولا يليق بنا ونحن في عالم الكبر والكبرياء أن نحتفظ بكبريائنا معهم، فمهما علونا فهم الآباء، ولا يليق بنا أن نكون من الراغبين في الاستعلاء بقسطنا من الحق عليهم، فنحن دواما الأبناء، وإننا ونحن في عالمنا وعلى ما يليق بأهله يجب أن نرى أننا عند أقدامهم، بما هم فيه من ظاهر الحق لنا مهما كان قسطهم منه ومهما كان قسطنا، ما دمنا في جلباب الحجاب من عالمنا، وأن إدراكنا للحقائق إدراكا حسيا كاملا لمتعذر، وإن كنا قد ندركها إدراكا عقليا متفوقا، فإن كشف الحجاب عنا بصلاتهم، يزيدنا يقينا فينا عما نوفق إليه ونعتقده عقلا، وهو ما أصبح سافرا ويقينا بالنسبة لهم، وأمرا مفاضا علينا منهم، فصلتنا بهذه العوالم، مهما كان قسطها من الحقيقة، ومستواها من الرقي هي أمر جليل.

وإنا لنرى في إدراك الحقائق بالوعي وبالعقل وبالرجاء، وبإدراك علويات الله على ظلمانيات نفوسنا، وعلو عالم الحقائق على عالمنا، وإعلائنا لعوالم النور، على أنفسنا من الظلام، ورجائنا في الله، ونحن في عالم الظلام، من أنفسنا، أن نكتسب منه ومن نوره وهو نور السماوات والأرض، ومن فيوضات رحمته بإغداقه لأقباس أنواره، ما يكشف لنا فينا حقائقه، وهو ما لا يمتنع علينا بهمتنا في الإنكار على ذواتنا مع وجودنا في أواني ظلمتنا.

إنني وإخواني لنطمع في الله، ولا أقول بعلمنا أو بعملنا، ولكن أقول برجائنا، نطمع في الله طمعا لا نهاية له، ولا حدود له، ولا انقطاع له من فضله.

إن تواجدنا في هذا المعني يجعل منا نقطة رمزية للصفر الذي يمثل مركز الدائرة اللانهائية، فإن حق الله لنا نحن الضعفاء من أهل هذه الأرض، ما أصبحنا ندرك لننشد من هذه الحقيقة، فقد أكرمنا الله على

ما وعد في دانٍ من دنيا، أو موعود من آخرة. وإن فعل الله بنا ذلك كان أمره في الناس من مجتمعنا أو آخر على غير ما يَشهد الناس في أنفسهم، وعلى غير ما يشهد الناس فينا منهم على ما وعد.

هذه هي تعاليم الأديان في أرضنا في حقيقتنا، حددتها تعاليم الإسلام في أرضنا في جوهرها، فتفتحت لنا أبواب الرجاء في الله لا حدود له، ولا نهاية لها، وهو ما يجدده الاتصال الروحي في هذا العصر، ويعمل الصادقون من الجنس لإبرازه.

وإني إذ أخاطب إخواني من أهل هذه الأرض، فإني أقول لهم - كما بدأت - أننا نستطيع أمرا جللا، وأننا نستطيع أمورا خطيرة، أننا لا نستطيع فتح آفاق الأرض فحسب ولكننا بفتح القلوب نستطيع فتح أبواب السماء وعوالمها. إن الروحية لا تغزو أجساد أهل الأرض فحسب، ولكنها تغزو قلوبهم لتفتح مجالا لأهل السماء إلى عوالم النفوس بأن تجعل من قلوب البشرية بيوتا وهياكل ومحاريب للحق، لعوالم تغزوها وتفتحها قبلة لإقامة الصلاة، تفتحها حقائق الله لنفسها بنا ولنا. فإن أدركنا ذلك وهيأنا قلوبنا وأنفسنا له وعبدنا هذه الذوات، وفتحنا هذه القلوب، وهيأنا هذه النفوس للطاعة، هيأنا من ذواتنا ومن أنانيتنا كراسي الله، هيأنا منا عروشا لله، هيأنا منا وجوها لله، هيأنا منا له أيادي عاملة موسعة في ملكوت الله، هيأنا منا جنات مفتحة لنفوس مؤمنة تطلب جزاء ونعمة من الله. إن فعلنا ذلك هيأنا منا عبادا شفعاء في حضرة الله، يستخلصون آباء، ويغلقون أبواب نار عن أبناء، رحمة من الله.. هيأنا منا ومن معانينا عوالم لله لا يعلمها إلا الله.

إننا على تفاهة وجودنا وضعف ذواتنا محل وعد الله، محل أمر الله، محل ظهور وجه الله. إن الله قد جعل في كل سماء أمرها، وجعل في الأرض خلافته عنه في كل وقت أقامها، وبذلك اختص الأرض بخلافته وميزها بها، {إني جاعل في الأرض خليفة}[1].

فأنتم أهل الأرض في الأرض مُخلفون عنه، مخلفون منه، قائمون به وجودا وقياما وشهودا، تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنتم أينما تولوا ترون وجه الله، وأنكم بأنفسكم في لا إله إلا الله لا تشركون به وجودكم فيه في وحدانية وجوده، ولا تعزلون هذا الوجود منكم عن موهوبه بأرواحكم من روحه مستوية على عرشها من معانيكم، قائما على أرضه من ذواتكم ومبانيكم.

وإنكم لتشهدون روح الله حية في حياتكم، وترون الحياة من معاني الحياة فيكم إلى الحي القيوم عليكم الظاهر بكم الذي لا إله إلا هو، وتشهدون أنكم لن تذهبوا إلى الهو، ما لم تكونوا في الهو من عالم قيامكم ومن عالم شهودكم موحدين لا مشركين ولا آبقين.

فأنتم عوالم محفوظة في قوالبها لم تفض، وأنتم حقائق مشهودة في أغلفتها لم تكشف، فإن عبّدتم أنفسكم لشهود وجه الله في معانيكم مشتتة، وأبرزتم روح الله في أوانيكم مشهدا، وشهدتم وجه الله في مشهود جنسكم مكرما، لا يستعلي أحدكم على آخرين بالحق فيه، ولكنه يشهد بالحق فيه وجه الحق في إخوانه، وفي آياته وفي أبنائه، وفي بيئته وجنسه.

أنتم أهل هذا العالم الذي وعد الحق عوالم النور بالحقيقة فيه تشهد ومنه تبدأ، وأنتم حق حيث وعد الله عنكم، مغبوطون من عوالم، ومحسودون من عوالم، ومآزرون من عوالم، ومخاصمون من عوالم، فعلى صخرة عالمكم تتفرق عوالم الإنسان فرقها، وبه تتجدد الأكوان، ويظهر جديد الرب من الرحمن.

وإن كثيرا من العوالم من أهلكم ومن سبقكم تعلق الآمال، تنظر إليكم اليوم في شديد من الألم وهي في حال من المشقة. لقد كانت على مثالكم وقد ربحت ما ربحت وخسرت ما خسرت، ولكنها كانت تستطيع أن تضاعف ما ربحت، وأن تقلل مما خسرت بكل يسر بإصلاح مفتاح النية، وتود لو حذرتكم وكشفت ما عرفت فبشرتكم، ولكن أنَّى لها أن تعود إلى هذه الحضرة الخلاقة، بسر الله فيها محجوبا على أهلها خلقا من بعد خلق مرة أخرى؟ تتمنى لو تتهيأ لها أن تعيد الكرة لتتم ما فاتها، وتسترد ما ضاع عليها من نعمة الوجود بمجال منكم على ما عَرفت الآن، ولكن أنَّى يكون لها ذلك؟ وكيف يكون لها ذلك، والصيف ضيعت اللبن، وقد كانت فرصتها وكانت تجربتها، وقد كانت نعمتها وهي على هذه الأرض وفي حجابها وقد فوتتها؟ إن هذا عندها اليوم لهو الجحيم والنار والعذاب المقيم، وإن نجدتها في أيدي أبنائها منكم، ولكنها خلفتهم على مقيت معناها، وفوتت دوام قدسها بالفعلة المورثة إلى دوام طلبها لنفسها.

إن بعض العوالم الروحية لتنظر إليكم فترى هذه الفرصة فيكم لكم، وهذه الخطوة عند الله من حقكم، ولكنها تراكم على ما أنتم من غفلة، وعلى ما أنتم من قصور في حد أنفسكم فتحتقركم، ومنها ترثي لحالكم وترى لنفسها عليكم غلبة وسيادة، وأن لها عليكم لمكانة لتردكم عن عبث أنتم فيه لخيركم، لأنها وإن لم تكن لها هذه الفرصة الآن من النمو في الحق نبع ذاتها إلا أنها تستطيع النمو بعملها فيكم أهل أرض البدء والنشأة الأولى، فأنتم متاعها ومن خيركم أن تكونوا.

إنكم بين هذه العوالم تأخذون وضعكم كعالم بين عالمين متعاونين من عوالم الروح، هما لكم يد الله المظلة ويد الله المقلة، يتجاوبون معكم بحكم الفطرة في تبادل الحقائق والمعارف، على صفاء في الوصلة، وتزاحم على الحق، أو على تحاب أو تنافر فيه، وأنكم وأنتم بين هذين العالمين والوالدين ومنهم لديكم فرصة نرجو أن لا تكون مضيعة يهيئها الاتصال الروحي في هذا العصر.

إنكم تستطيعون أن تستفيدوا من هذا الاتصال ومن هذه التجارب لأنفسكم بما تحققون من المدارك لذواتكم، وأن هذه العوالم سميت لكم في تعاليم الأديان القديمة بما سميت به مما يقابل قولها عالمي النفوس والعقول أو عالمي الجن والملك في وحدة يكون نظير الجن والملك على ما تعرفون أو لا تعرفون، لا تدركون مواضعها أو خصائصها أو روابطها بكم، ولكنها أصبحت بكم اليوم متصلة ومتعارفة في ظهور وفي سفور، وهما عالما الإنسانية البيضاء والإنسانية الحمراء في ركب إنسانية الروح من الحق.

قَلَّ من أهل هذه الأرض أو الدار من يدرك القليل أو الكثير عن أهل هذه العوالم فضلا عن عالمه، وإنا لنطمع أن ينتشر هذا الوعي شيئا فشيئا حتى يدرك الناس أمر هذه العوالم معهم، ونرجو أن تتوثق العلاقة بيننا وبين هذه العوالم العاطفة والعوالم المغاضبة ممن ينظرون إلينا نظر المزدري النافر، فنوثق صلتنا بالمعاطفة ونستمدها لنصفي ما بيننا في الأخرى بروح الحكمة لا روح القهر، وبروح الإخاء لا بروح الاستعلاء، وبروح المعرفة في الله الكريم الواسع العليم، وبروح التقارب فيه لا التباعد عنه والتنافر عليه، لا التنافر فيه، سائلين الله لنا ولهم من الحق ما يقرب بيننا وبينهم، وأن يوفقنا إلى الاجتماع على العمل لإعلاء كلمته فينا وبين أهل هذا العالم، وأهل هذه العوالم، تاركين أمر أنفسنا كله لله أن يجمعنا وإياهم على طاعته، وإطاعة أمره، وإعلاء حكمته في عالمنا بما أودع الله فينا وفي عالمهم، وبما أودع الله فيهم وفينا في عالمنا.

هذه وجهتنا، وهذه طريقتنا في صلتنا بهذه العوالم وأهلها، أما آباؤنا وأجدادنا من أهل عالمنا أو عوالمهم، على مختلف مستوياتهم، فإنا مع احترامنا وتقديرنا، نطمع في رحمة الله لنا ولهم من فضله نصيب، بما يفيض علينا وعليهم من رحمته، وهو الذي لا بداية له، وهو الذي لا نهاية له، ما يجعل منهم لنا مظاهر بداية ويجعل منا لهم مظاهر نهاية.

إنهم وإن كانوا لنا آباء ونحن لهم ولسابقيهم أبناء، فإن منهم في الله الباقي الدائم الأزلي من يبعثون فينا وفي أبنائنا لنا ولهم فيهم نشهد قديم الله وأزلية الإنسان فيهم، وهم يشهدون فينا جديدهم من الله وقيوميته، ونحن وإياهم نشهد في أبنائنا أبدية الله، وأبدية الإنسان فيه.

سعادتنا في أن نرى عن طريقهم إلى حضرته الأزلية، وسعادتهم في أن يروا عن طريقنا إلى حضرته الأبدية، فإن الله لا أول له ولا آخر له والعرفان به لا حد له.

إن الله وعد الوجود بإشراق طلعته بالإنسان يخلقه ويربيه ويخلفه، وشرف الوعي ليشاهد بالمعرفة في تعريفه بأن لا ظهور له بمثل ما ظهر في الإنسان.

فنسأل الله أن نشهده في الناس بمبناهم لمعانينا، وأن نكون مشهدا له عند مشاهدينا لمعناه في معانينا، كما نسأله أن يضاعف من مطامعنا ومطامعهم فيه، ومن معارفنا ومعارفهم عنه كما يظهر ويعرف العارفون وكما يعلم ويزداد العالمون.

إن من العوالم من يشهدون الله فينا بوجهه الكريم في الإنسان في عباد له بيننا بأبصار لا تزيغ ولا تطغى، وبيننا من عباده من يشهد الله برحمته في الإنسان بقرب روح الله منهم لقلوب وأفئدة لا تكذب ما ترى، فلا نحن ولا هم بما فينا من حق من الله يصح أن يستعلي أحدنا على من يؤاخيه ولا على عوالم أخرى تدانيه، إذ يجب أن نشهد الله وراء ما نرى من العوالم، كما نشهده وراء ما ندرك من عوالم أنفسنا، مهما علا فيه قدرنا وتوفر من الحق فيه نصيبنا.

هذا حديث يوجهه الله لكم أهل هذا العالم، كما أنه يصح ولعله أن يوجه لأهل هذه العوالم المدركة لنا والمشاهدة لمعانينا، من الحق الأزلي الذي يظاهرنا ويعلونا في مظاهرتنا منهم وإعلائنا لهم، فإنا لا نشهد الحق إلا بوعينا، ولا نشهد الحق إلا في دائرة قيامنا وإدراكنا، وهذا الوعي وهذا القيام على تفاهة في هذا الوجود الحقي المطلق وعلى ضآلة نصيبنا من النور المشرق منا اتجاها إلى هذه العوالم الحقية الراقية لأننا في عالم ظلماني المظهر، محجوب عن الحق فيه فهو عالم للاختبار والبدء والاختيار، فإن الله هو المهيئ منه برحمته لأهل اصطفائه منا، وهو المدرك لهم للحقيقة فينا، وهو الذي يقصرها على غفلتنا فيه، فتنمو به فينا إلى شموس مشرقة.

فإذا تخلينا عما نحن فيه من نقص الإدراك وعجز المقدرة، واستوفت وتوفيت فينا أسباب الحياة، ارتبطنا بالله نورا مطلقا لا يحتجب، وحكمة شاملة لا تخطئ، وقدرة محيطة لا تتوقف ولا تهن، وحياة دائمة لا تنقطع، ونعمة متزايدة لا تنقص.

علينا لتحقيق ذلك أن نستجيب لنداء سائر العوالم المحبة، فضلا عن الاستجابة لأهل المعرفة بيننا، فهذه تعاليم الإسلام، وهذه هي التعاليم التي اقتضتها فطرة الإسلام، والتي جاء بها حكماء الإسلام، ورسل الإسلام، وأنبياء الإسلام، وأئمة الإسلام، ودعاة الإسلام، وعلماء الإسلام، وجمعه وبعثه وعنونه في كمال محمد الإسلام، وعبد الإسلام، لذاته التسليم ومنه لنا وعليه من الله السلام.

هذا ما يجدده الحق المطلق مرة أخرى على الأرض بما نسميه اليوم الرسالة الإسلامية الروحية التي يقوم عليها عالم الروح ومن يصطفي من البشرية.

ها نحن اليوم ندرك ونستطيع أن نسلم وجهنا لوجه لله، كما أسلمه أبونا إبراهيم بإسلام نفوسنا للروح المرسل من رحمته لنا، أو بتسليم ذواتنا وعقولنا لمتابعة من يهيئ الله لنا من أهل الرشد والرشاد معه، أو

من أهل الملأ الأعلى به بيننا، فبتسليمنا لما يهيئ الله لنا من أهل هذه العوالم إنما نسلم كما أسلم آباء لنا وكما أسلم أنبياء منا لأرواح بها علموها بها وهدونا في قديم.

هذا هو الإسلام، إسلام لله وإسلام لرسوله، فإسلام الرسول يكون لربه وإسلام الناس لرسلهم من أنفسهم تسليما لربهم ومحله أن يكون بأجسادهم ومحبتهم لأهل الأمر والهدي منهم، كما يكون لمن أخرج الله لهم من أهل العلم والمعرفة من بينهم.

هذه هي تعاليم الإسلام مع محمد الإسلام، فالإسلام جوهر ومعاني تقوم في النفس تهيئ الجسد لمائدة الحق بموائد المساكين، وهذا هو الحق، وهذه هي الحقيقة...

وإن الحق قد خاطبنا في ذلك {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[2] {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}[3] {يوم ندعو كل أُناس بإمامهم}[4].

إن المسلمين لله في دين محمد الإسلام، يتامى بيتم رسولهم، مساكين مسكنة نبيهم عبادا للحق فيه، على عين عبوديته للحق المطلق معبودا له في ربه، والناس مسلمون لهم بدورهم إن أدركوا ما جاء به الكتاب، وعلموا بما هداهم إليه من فعل وحديث العبد النبي الرسول.

هدانا الله وإياكم، وجعل ساحة رحمته مثوانا ومثواكم، ووجه طلعته مرآنا ومرآكم، وجعل من القلوب منا لنا مأوانا ومأواكم. إنه قريب سميع مجيب.

فلا تجعلوا قلوبكم طيا للقوالب، واجعلوا قوالبكم طيا للقلوب، أعاننا الله وإياكم وهو نعم المعين.

أضواء على الطريق

أحاديث تؤثر للسيد الروح المرشد (برش) في دائرته الإسلامية الروحية بالقاهرة.

- روح واحد أقوى من مملكة الجن بأسرها
- لا وجود للجن بين عوالم الكواكب
- للجن برازخ لبعثه وللإنس برازخ لبعثه، وهي عوالم متتابعة ولا اختلاط للإنس والجن إلا في عالمكم على هذا الكوكب.
- قليل من عالمكم من يدخل إلى عالمنا وهو منسوب إلى أسرة.
- إن الطريق هي الانتساب إلى أسرة، وبدؤها من عالمكم ومواصلتها في عالمنا. وقلّ أن يتواجد آدم بعالمكم أما عالمنا فمليء بالأوادم.

- لا يحمل اسم (الأرض) بين الكواكب إلا كوكبكم، أما الكواكب الأخرى فتحمل أسماء لها تشير إلى جمالها وصفات أهلها. ويشار إلى كوكبكم عند أهلها (بالأرض الحزينة) بسبب الحروب والشقاق بين سكانها.
- أهل هذا الكوكب (الأرض) أكثر سكان الكواكب ظلاما وأقلهم ذكاءً وآخرهم مدنية، وإن كانوا أقرب إلى أهل العالم الأكبر صورة وشكلا.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة البقرة -30
2 سورة الكهف -29
3 سورة القصص -56
4 سورة الإسراء -71

(١٠)

عوالم الروح
في دين الفطرة ومصدره

حديث الجمعة

١٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧ هـ - ٣ يناير ١٩٥٨ م

سلام الله علينا وعليكم وعلى عباد الله الصالحين.

أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له.

أشهد انه أينما ولينا بوعي فإنا لا نشهد إلا وجه الله، وأشهد أن الله وراء كل شيء الأكبر، الأعلى، والأعز، والأجل، وأنه بكل شيء عليم قريب.

عباد الله:

ليس هناك ما هو أثمن من تقوى الله، في دنيا نقاربها، أو في حياة آخرة نترقبها. إن كل ما في السماوات، وما في الأرض، وما فوق السماوات، وما تحت الثرى، إنما يأتي الله، وآتيه في دوام، خاضعا، خاشعا من رهبته، ومن عظمته، طوعا وكرها، وقد امتاز الإنسان في هذه العوالم، تحت الثرى أو فوقه، وفي السماء أو فوقها، بأن مرجعه إلى الله إرادي مصدره إرادته من إرادته، وأن رباطه بالله رباط حب وخشية، وأن الله يعز عليه أن يقطع عن عبده المؤمن -كيفما كان وحيثما كان- مدد الحياة، ومورد رحمته من تحقيق وحدانيته وقد خلقه لنفسه. وخشية الموحد في أمر نفسه إنما هي رحمة الله في أمر عباده، وأن عباده ليخشونه في خشية أنفسهم، خشيته منهم فيهم، وقد كتب على نفسه الرحمة، وهم إنما يخشونه في أن يقف ترقيهم فيه واستمدادهم منه وإمدادهم به من إمداده لهم بقصور منهم.

فإن الإنسان صاحب الوعي ليدرك في الله لانهائيته، وليتحسس في الله إدراك عظمته بالتأمل في عظمة ما فيه من معانيه، وهو العبد له، وهو المصنوع من فعل يديه بقوانين الحياة علويها وسفليها، وأن

أيدي الله الصانعة إنما هي يد الله المقلة لوجوده مظهراً متميزًا، ويد الله المظلة لوجوده قيامًا متميزًا، وأن ظله بيده المظلة، لا يغيب ولا ينقطع، وأن حمله بيده المقلة لا يفتر ولا يمتنع.

وقد تميز الإنسان عن سائر الكائنات بإدراكه لهذه الحقائق، وإدراكه في الوقت نفسه لوحدانية الله، في قيامه بالحق، بدخوله في الحق اللانهائي، وتحرره من الموجود المؤقت من ثوب الجسد. فيد الله مقلة أو مظلة إنما هي ماثلة في أصول الإنسان في نظام خلقه، وما هي الحقيقة إلا فرعه من قيام حقه. فمن كلمة الله وجد أبو الجنس، ومن أبوي الجنس وجدت كلمة لله.

إن حلقات التعريف بالله بدءًا من رسالة مصطفاه للأولية، في آدم البشرية للجنس المتجدد والمعنون بالأب الروحي لهذا الكون، والأب الدموي والمعنوي لبنيه، ومتابعيهم من العوالم والخليقة، الممثل للحق والحقيقة، المتوحد بذاته وروحه المعنوي لأزلية الجنس بلا بداية، وتلاحق هذه الرسالة في النبيين من أوادم الأمم، من المصطفين من أبنائه، إلى خاتم النبيين، وآدم الصلة والرسالة، لأوادم وأبناء النشأة المتصلة بلا نهاية للجنس، إنما هو استقبال الجنس لبداية لحلقة إنسانية على مثال من كمال الحق في حلقات إنسانية سابقة عليها بلا بداية، تكشفت في رسالة الحكمة والحكماء ممن لم ندرك عنهم خبرا، ولم يتركوا بيننا أثرا، فقد كان قبل آدم النبوة ومصطفاها آدم الحكمة ومجلاها، نابعة منه ومن بنيه من حكماء الجنس، حكيم بعد حكيم، وعارف بعد عارف، حتى استكملت الحكمة حلقاتها في المعرفة عن الأزلي في الجنس البشري، مع تطوره إلى معناه الإنساني، ومن بقايا هذه البشرية اصطفى آدم بيت النبوة على مثال من سابق لبيت آدم من آدم بلا بداية تدرك، وهو ما أشار إليه الرسول بقوله (قبل آدم مائة ألف آدم)[1] وإلى ما شاء الله من أوادم.

وهذا ما عناه خطاب الإحاطة في قوله {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم}[2] وقوله {كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك}[3] ومن قوله {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}[4] ومن قوله {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ...}[5].

فإنسانية القيام، وبشرية القيام، من آدم الاصطفاء إلى آدم المحمدية، حلقة متصلة ما زلنا نواصلها، من حلقات الحياة وأطوارها بتكامل حتى يبرز الله مصطفاه من محمد بمرتبة آدم نافلة له {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[6].

وإن ما دار في هذه الدار بجلسة الأمس، لأمر جليل الشأن، عظيم الخطر، في تاريخ هذه الدار، وفي تاريخ هذه الجماعة، وفي تجديد وقيام هذه الرسالة، وفي تعريف هذه الدعوة، وفي تاريخ الرسالة المحمدية

الإسلامية، والرسالة العيسوية. وإن السيد الروح المرشد، وهو يهيئ لنا بالأمس شرف استقبال السيد البريء عليه السلام، في يوم تحتفل فيه البشرية به كعَلَم من أعلام الدعوة الإلهية، ورسول من أُولي العزم من رسلها، كما تحتفل السماء مع الأرض في مثل هذا اليوم بمولده مولدا للحياة على الأرض، بجمع من الرعيل الأول من الآباء الروحيين للجنس، والآباء الماديين له، حتى يتلاقى سرور أهل الأرض، وسرور أهل السماء، وتتدانى آمالهم، ورجاؤهم في الروح الأعظم.

إن في هذا الاجتماع الذي تم في علن وسعة ورحابة من عالم الروح وعالمنا، وما أعلن الرئيس فيه معرفا عن نفسه من أنه ما كان إلا في رسالة الفطرة مِن مَنّ الله وفضله في قديمه أو قائمه...

وأن الرسالة التي ندين بها متابعين لرسوله الختم محمد عليه السلام التي كشفها الرسول للناس، رسالة قوية، ودينا سليما، ميسرا للفطرة، يولد فيه كل وليد من أي جنس، وفي أي بقعة من بقاع الأرض، شمولا لرحمة الله معه.

ها هو السيد الروح المرشد يعلن بجلسة الأمس وبحضور السيد البريء عيسى بن مريم عليه السلام أن ما نحن فيه من دين الفطرة، إنما هو دينه الذي يدين به، وأنه في دين الفطرة، يحمد الله لنفسه، ويحمد الله لنا أبناء له...

إن مَنَّ الله علينا أن نكون في هذا الدين، دين الفطرة، دين الإسلام، دين التسليم والتفويض لله، دين التوكل والاعتماد على الله، دين الارتباط بوحدانية الله.

إن هذا الأمر سيكون له مجاله، وله اليوم جلاله، وله في الغد خطره. إنه بيان عملي لما بين أيدينا من كتاب الإحاطة {إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت}[7]، وإنه في التداني بين الفطرة إلى أرض الفطرة {وإذا الأرض مدت}[8]. وإننا إذ نتخلى عما في أنفسنا من موروث عقيدة فاسدة، ومن منقول فهم خاطئ، إلى معاني حقيقة تقوم، ودعوة من الحق تتصل، ونور ينتشر {وألقت ما فيها وتخلت}[9]، وأذنت للحقيقة على ذواتها تقوم، وفي معانيها تظهر، إنباء للروح الأعظم {وأذنت لربها وحقت}[10]، ها هي الأرض تستقبل فيضا، وتتهيأ لأمر، وتتطور لحقيقة، فإذا هي أرض من أراضي الطاعة، لا يُعصى الله عليها بعد، وأن الحق ليدانيها اليوم، على عزيمة من بقاء، وعلى تدبير من انتشار، وعلى أمر من مواصلة قيام ظاهر غير محتجب...

وأن هذا كله ما كان غائبا عن صادق في الله في يوم من الأيام، في أي أرض من أراضي الله، أو في أي بقعة من أرجاء هذه الأرض.

إن الله قريب ما قاربناه على عظمته، وإن الله بعيد ما باعدناه على شدة قربه. إنه الحق من الحياة. إنه عين الحياة {فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}[11]، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[12].

وإن السيد الروح المرشد إذ يوصينا في هذه المناسبة، وفي هذه الذكرى بتقوى الله، وإذ يوصينا باجتماع قلوبنا على محبته، ظاهرا فينا، ظاهرا لنا، ظاهرا لجماعتنا، ظاهرا في إنسانيتنا، إنما يشير إلى قانون بين أيدينا، وفي كتابنا {ألم ترَ أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم}[13] على أي حال كانوا، وأينما كانوا، {إن الله بكل شيء عليم}[14].

وإنه إذ يشير إلى خادم هذه الجماعة، ويشير على إخواننا بأن نكون في ذاكرة بعضنا البعض على دوام، وأننا إذ نذكر الله يجب أن نذكر ونتذكر أننا إخوان في الله، إنما نكشف عن قانون آخر من قوانين رسالة الفطرة (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[15]و(المؤمن مرآة المؤمن)[16]، فلينظر المؤمن منكم من يرافق ومن يصاحب، من أهل الإيمان في عصره، وفي أهل معرفته، وليتذكر ذلك دائمًا عند ما يذكر الله، أو يقوم في منسك من مناسك التعبد له، حتى يصلي خلف إمامه صلاة جامعة دائمًا...

وإنه بذلك يكشف عن قانون آخر من قوانين البلاغ، وقوانين الفطرة، {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}[17] {أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[18] {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[19] {أدعو لله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[20] وقول الرسول (يُحشر المرء مع من يحب)[21].

وإنه وهو رسول السماء، وهو رسول الروح الأعظم، وهو رسول الملأ الأعلى، وهو رسول من فرض القرآن والكتاب، وهو رسول من علم الإنجيل وأنزل الألواح، وهو رسول من إليه آدم قد آب، إنه رسول المعرفة، إنه رسول الرحمة، إنه رسول الإطلاق، إنه رسول المعنى المجرد، إنه عبد المعنى المجرد، إنه العبودية المجردة، فهو إذ يحمل إلينا ميازيب الرحمة من السماء، ويفتح في قلوبنا مغاليق الظلمة من الذوات، ويفيض على مصابيح القلوب بمشكاة من صدورنا ساطع النور من نور الحق، إنما يوفي رسالته بأن يشير على جمعنا، وعلى من يتجمع علينا كما بين لنا إلى من نتوجه، لنكون مع أهل البصائر، فإن الوجهة والسيادة في حقيقتها لا تكون إلا للروح الأعظم، والموجود المطلق. إنه وحده صاحب السيادة والقيادة والعبادة.

أما التجمع فلا يكون إلا على رسول الله ومن تابعه على بصيرة من بيته أو من أمته بانتسابه لبيته، ولسنا في الأرض أو في السماء إلا عبادا، نتحاب فيه، ونتلاقى في ساحة رحمته الواسعة، ونسري، ونتطور،

ونعرج، ونترقى في ركب منا من أهل السماء، أو من أهل الأرض، نتجمع على محبة، ونتضامن على تعاون، ونتحد على خدمة، ونؤمن على هدف، ونستقيم مع مثالية من نواة منا لقيام وحدة نرجوها في روح عظيم منه طلبا للأعلى على دوام في الطلب والعمل.

فليس بيننا، ولا يكون بيننا، وليس منا، ولا يكون منا، متكبر على الناس، مستعلي على الخلق، مترفع عن القيام فيما يقوم فيه الناس، فعبد الأنانية ليس منا، وشرف الأنانية عندنا في الإيثار على أنفسنا.

وخيرتنا وصفوتنا أخيرنا للناس، وأصفانا للناس، وأبقانا على الناس، وأقربنا للناس، وفي هذا خيرنا لأنفسنا، ولا خير للناس في رجل لا خير فيه لنفسه، ولا خير للناس عند رجل لا خير فيه لأهله...

وأن رسول الله، رسول الفطرة، وعبد الفطرة، وفرد الفطرة، وعنوان الفطرة، وتكرار الفطرة، من أعطي التكاثر، وأعطي الكوثر، الذي لا يتصف بالانقطاع، وخصمه هو المتصف به وهو الأبتر أو الذي لا بد أن يبتر. إن رسول الله متكاثر في معناه، ومتكاثر في مجلاه، ومتكاثر في مبناه، ومتكاثر في ذاته، وأنه إذ يتكاثر في ظاهر من بيته، إنما يفتح باب الرجاء للناس فيما يطمعون، أن يتكاثروا في بيوتهم، وهو بيته وحدة متكاثرة في الناس لأنفسهم ولبيوتهم وللناس في معانيهم.

ولكن الأولين من قومه بتروا رسالته، وقطعوا تجدد الوصلة بضيق في فهم، وعجلة في رزق، وطمع في خدمة، عن ضيق في وعي، عفا الله عنا وعنهم.

فما أضر شيء من ذلك بمحمد، ولا بآله، ولا أضر شيء من ذلك بصادق في الله، طلب الله، وعرف فيه محمدا وآله. وها هي السماء تداني الأرض في قانون ثابت، وفي ناموس متكرر، لتجدد رسالة الفطرة، على بيان من أمره، وعلى معرفة من علم، وعلى تداني من حقيقة.

ها هو الوحي زعموا انقطاعه، وما انقطع، يسفر اليوم بمعناه، ويتكشف بحقيقته. إن الوحي إلى الإنسان ما كان إلا من الإنسان، وما حمله من الإنسان إلى الإنسان إلا الإنسان {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير}[22]، وما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وبالإنسان ومن الإنسان، وها هم آل محمد يتقدمون الناس لاستقبال المعرفة.

إن الناس يرسمون لأنفسهم ساعة من أوهامهم، وقيامة من تأليفهم، وبعثا من إخراجهم، وحقا من تكوينهم، وصفات له مما في أوهام أوانيهم لأنفسهم. إنه لعلم للساعة أنت من ذكراها، أكاد أخفيها، لتجزى كل نفس بما تسعى محرفين لهذا الكلم عن مواضعه على شدة ظهوره.

إنك في يوم، وإن يوما آخر على ميعاد، وإنك في يوم ليوم آخر قد سبق، وإنك ليوم من سابق، وإنك ليوم قد يقوم بلاحق، فماذا أنت فاعل بيومك {إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما

عند الله خير من اللهو والتجارة}[23] ها هم الناس دائما. {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[24]، وها هم عباده دائمًا. إنهم إذ يبايعونك نفسًا بنفس إنما يبايعون الله نفسا بنفس. إن الله حذرهم نفسه أن يهلكوها، وإن الله محذرهم نفسه أن يظلموها، وما هم بظالمي الله، ولكن أنفسهم منهم يظلمون. إن الله قريب، وهو أقرب إلى كل إنسان من حبل الوريد، وما كان أزلا إلا أقرب من حبل الوريد، ولم ولن يكون إلا أقرب من حبل الوريد.

فمتى تطلبونه؟ وكيف تطلبونه؟ وفي أي مكان تطلبونه؟ إنكم إذ تطلبونه إنما تجهلونه. من يطلب ما هو موجود يفقده موجودا، وبطلبه قد ضل الطريق إليه.

ولكنكم إن تكشفت لكم من حقيقتكم ظلمات أفعالكم وظلمات غفلتكم فقد وجدتم الله. ولو أنكم وجدتم الله فقد قامت لكم قيامة. وإنكم إذ تعانون هذه القيامة أن تقوم بتجاربكم، إنما تتواجدون في ساعة. وإنكم إذ تتكشف لكم الحقائق فيكم، إنما يقوم عليكم ربكم. وإذ تتكشف لكم أموركم في الله، فالساعة إلى الإدراك عن الرب منتهاها. فمن ارتبط به فقد اجتازها إلى القيامة، ومن بعث بالحق في الحقيقة فقد بدأ القيامة الكبرى.

إنه لعلم للساعة تعلمونه يوم يأتيكم رجل هذا العلم فيعلمكم.

هذه هي حقائق الدين، نسأل الله أن يكون لنا جميعا منها نصيب، وأن يكون حظنا منها قريب، إنه نعم المولى، ونعم المجيب، ونسأل الله السلامة من شرور أنفسنا، ومن شرور ما يحيط بنا من فتنة الحياة، ومن ظلمات الأرض، ومن ظلمات النفس، ومن ظلمات أهل الظلم لأنفسهم، ومن ظلمات أهل الطغيان على جماعتهم. ونسأل الله تعالى أن يكشف الغمة عن هذه الإنسانية وهي أمة واحدة، وأن يرزقها الأمن والسلام، وأن يرزقها حسن المسلك، وأن يرزقها اليقظة والوعي والإدراك والمعرفة والعلم والحقيقة، وأن لا يعاملها بما هي له أهل من غفلة، وأن يعاملها بما هو له أهل من رحمة، حكاما ومحكومين، وروادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، مستيقظين وغافلين، مستقبلين القبلة، ومظاهرين.

ملحوظة:

يشير الحديث إلى احتفال الجمعية الإسلامية الروحية برأس السنة الميلادية احتفالا مشتركا من عالمي البشرية، في يوم الخميس السابق على إلقاء الكلمة، وقد شرف الاجتماع السيدة العذراء، والسيد البريء عيسى بن مريم عليه السلام، مباركين للمجتمعين، كما اشترك وفد من العالم الأحمر، على رأسه السيد ميتطرون، فقد كان ضمن العوالم المستقبلة لهما، وقد تحدث فيه السيد المرشد حديثا قصيرا، قيما عميقا موجها للعالمين. واشتراك وفد العالم الأحمر في مثل هذا الاجتماع أمر لم يسبق حدوثه في تاريخ الروحية

الحديثة، ونشاطها في سائر الدوائر على ما نعلم، وإنه لم يسبق حدوثه في زيارات سابقة للسيد البريء لهذه الدائرة. وهو أمر له مغزاه وخطره وآثاره، ولعل في اجتماع زعماء العالم الأحمر من الجن، مع قادة الجنس البشري من عالم الروح، على أمر وفي غاية في حضرة كلمة من كلمات الله أمر لم يسبق في تاريخ الحياة الروحية الدينية بين الجنسين، وهو ما سوف يكون له مغزاه، ومعناه، وخطره، يوما ما.

أضواء على الطريق

أحاديث مأثورة عن السيد الروح المرشد (برش) في دائرته الإسلامية الروحية. قال السيد يوما بإحدى الجلسات تعقيبا على سؤال عن اشتراك العالم الأحمر في رسالة السلام التي يقوم بها عالم الروح في هذا العصر: "وداوها بالتي كانت هي الداء"[25]. إن اشتراك هذا العالم معكم في الرسالة الروحية في هذا العصر لِنُصرة السلام على أرضكم أمر لم يسبق في تاريخ البشرية، ولن يتكرر.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم."

2 سورة البقرة -134 و 141

3 سورة الرعد -30

4 سورة آل عمران -33

5 سورة سورة الإنسان- 1

6 سورة الإسراء -79

7 سورة الانشقاق 1، 2

8 سورة الانشقاق - 3

9 سورة الانشقاق - 4

10 سورة الانشقاق 5 -

11 سورة الذاريات - 23

12 سورة فصلت -53

13 سورة المجادلة -7

14 سورة العنكبوت - 62، سورةالأنفال - 75 ، سورة التوبة - 115 ، سورة المجادلة - 7

15 حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

16 حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

17 سورة البقرة -255

18 سورةسبأ-46

19 سورة الإسراء -71

20 سورة يوسف -108

21 حديث شريف "المرء مع من أحب". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود وأحمد.

22 سورة الحج -8

23 سورة الجمعة -11

24 سورة الفتح -10

25 مقولة مجازية في الاستشهاد ببيت من أبيات شعر لأبي نواس: "دع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ.. وداوني بالتي كانت هي الداءُ".

(١١)

لا إله إلا الله
حصن الخلاص والنجاة

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٧ هـ - ١٧ يناير ١٩٥٨ م

بالله وباسم الله

بالله وبلا إله إلا الله

بالله وبلا حول ولا قوة إلا بالله

باسم الله وبالله أكبر

باسم الله وبرسول الله

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

هذه كلمات ترددها ألسنتنا، تقوم بها حياتنا، تتجدد بها في الحياة أهدافنا. لا إله إلا الله لفظ تتحرك به الشفاه، وتنطق به الأفواه، لتعي العقول معناه. لا إله إلا الله لفظ تلتذ لسماعه الآذان، ويسكن معه الوجدان، يحيا بها القلب إن قدرت له مناه، ويشرق بها العقل إن قدرت له النجاة، وتشتعل بها النفس إن قدر لها إشراق بقدس الله، وتحيا بها الذات إن قدر لمعناها ذكر الأناة.

لا إله إلا الله فعل يقوم عليها به الإسلام.

لا إله إلا الله عمل يقوم عليها به معراج الإيمان.

لا إله إلا الله مجاهدة تقوم عليها المعرفة، والنبوة، والبلاغ، والهدي، والمسح، والتوحيد.

لا إله إلا الله محبة تقوم عليها الحقيقة والحكمة، كما تتحقق للحياة بها الأبدية، وتتصف الحياة بها بالأزلية، وتقوم بها الديمومة للإنسانية في الإنسان، والديمومة للإنسان في الإنسانية.

لا إله إلا الله أفضل ما جاء به نبي، لا إله إلا الله أفضل ما قام به ولي، لا إله إلا الله أفضل ما عرَّف عنه حكيم، لا إله إلا الله أفضل ما قامت عليه تعاليم، لا إله إلا الله أفضل ما قدمه مُربِّي أو معلم في الله بالله.

لا إله إلا الله كان فيها قيام الناس بفطرتهم وهم أمة واحدة.

لا إله إلا الله طريق جاءهم بها العلم من الله فاختلفوا بحكمتها واتفقوا برحمتها. وما اختلفوا في قيام وارتضاء لا إله إلا الله وإنما اختلفوا واتفقوا في فهمهم لموضع ومعنى لا إله إلا الله. وما تصارعوا إلا في قيام لا إله إلا الله، وما قامت إلا وتحابوا واتفقوا واهتدوا بسر لا إله إلا الله تقوم في عواطفهم، وتتأهل في نفوسهم، وتحيا بها ذواتهم، وتستنير بها عقولهم، وتتحد بها أرواحهم، وتتساند عليها قلوبهم، وتتراص في سبيلها أجسادهم.

وما اختلفوا إلا ليتخلف منهم من يصدر عنه خلق للا إله إلا الله.

فرسالة الفطرة، ورسالة الكتاب، ورسالة الرسول، ما قامت إلا على لا إله إلا الله، وما عبرت الفطرة، أو الكتاب، أو الرسول إلا عن لا إله إلا الله، فهي أصل الأصول في المعرفة عن الله، وهي أصل الأصول في الحكمة والهدى، وهي أصل الأصول للنبوة والبلاغ، وهي أصل الأصول للريادة، وللرواد، والرائدين، والمرادين من خلق الله، ومن عباد الله، ومن حقائق الله.

فلا إله إلا الله هي جماع دين الله، وهي جماع حكمة الله، وهي جماع قيام الوجود في الله، وهي جماع كل بلاغ لله أتى من الله إلى الله في وجود الله، وفي ظهور الله بعباد الله، وبخلق الله لخلق الله ولعباد الله.

إن الفهم السليم في الإسلام، وإن الفهم المستقيم في الدين، وإن الفهم القويم في الاستقامة، أصبح بعيدا عن المتناول بما توارثنا من غفلات، ومن مفهوم خاطئ. ولا يتسنى لنا في حديث منسك، ولا كلمة للتذكرة في مناسبة دورية كهذه عرض الدين على ما يجب أن يكون، أو على ما هو في حديث، أو بضع أحاديث، ولكن لنتأمل.. أين هو الإسلام الذي قام على نظام المعايشة في الدنيا والدين؟ والذي تجمع أهل نشأته، ذليلة أو عزيزة، على علم وعلى يقين؟ والذي ارتضى لأهله أن يكونوا جوارا وملاذا لأهل دين غير دينهم على ما يظهر به الناس من صورة لدين إذ هو عنوان لشعار السلام أن {لا إكراه في الدين}[1] {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[2]؟ والذي شرع أهله بثمار صنعهم ووعيهم في ضعفهم، فقام أهل كتاب على إيوائهم وحمايتهم في عسرتهم وضعفهم فردوا الجميل لهم في شوكتهم؟

إن المدخل على الله بدين غير المدخل على الله بفطرة، وإن الإسلام هو دين الفطرة كما هو دين الكتاب، والحجاب، والباب، والقشر، واللباب، وإن المدخل على الله بدين في ظل الفطرة وقيامها يميز فيه المتدين بين أمر دينه ويقينه وأمر غيره في دينه، لا ينكر عليه دينه، ولا يخرجه هذا من دينه، ويعلم علم يقين أنه في دين لن يخرج منه، وأن مجانبه في دين لن يخرج منه أيضا، وأن نهاية من في دينه هي نهاية من في دين الآخرين من الرسل ما صدقوا وما صدق.. لا يفرقون بين أحد من رسله.

أما المكذبين بالدين فيختلف الأمر معهم، فلهم دينهم على مراد أنفسهم، وللمؤمنين دينهم على مراد الله فيهم يقيمونه لا يتفرقون فيه.

فإن المسلم وقد استقامت له معاني البداية في نفسه عن نفسه بنفسه إلى نفسه في الإله المقدس الذي يؤمن به غيبا محيطا لا يدرك، كما يؤمن به وجودا مشاهدا لا يغيب ولا يتبعض ولا يحاط به، والذي يؤمن به مرسلا مع العقل ما لا يغيب في وعي نفسه عنه من رسول الإدراك الفطري لا يغيب بحكمة ربه عن عالم قيامه، ولا عن عالم الجمع لقيامهم رسولا لا يغيب في الضمير والوعي العام بقانون فطرة ما فطر الله الناس عليه في خلقتهم، حافظا لأماناتهم، قائما دواما برسالته بينهم، مجددا لمنابره من كلمات الله فيهم، مقيما لأمره الغالب على أمر كل ما سواه، يدركه المؤمن في ضميره قائما بالحق، حكيما فيما يفعل، محكما بالحق فيما يدبر، هو فيض من الحلم والعلم، هو الصبر والأناة، وهو المسارع لطالبه الرحيم بمجانبه، هو الظاهر بظاهر الحياة، والباطن في باطن الحياة، والصادق في مفردات الحياة.

لقد جاء محمد الكلمة بذاته، والرسول بروحه وصفاته، بالكثير والكثير جدا من الخير، كما جاء بالكثير والكثير جدا من العلم، وجاء بالكثير والكثير جدا من الإنذار، وجاء بالكثير والكثير جدا من الهدي...

فحرفنا الكلم في الفقه عن مواضعه، وحرفنا أثر الرسول في الفعل عن مواقعه، وألفنا بوحي أنفسنا من الكلام كلاما في فهم كتاب الله، إلى الله نسبناه، وأخرجنا من الفعل معنى غير مستقيم مع ما أنتج في عصره، للرسول ألصقناه، نحاكي رسول الله محاكاة الببغاء لصاحبها، لا وعي ولا حكمة ولا إدراك، نردد أوصافا لحركة أو ملبس نتوهمها الدين والاقتداء، ونردد كلام الإحاطة في إعجاب وزهو وغرور وتنغيم بزعم الذاكرين المدركين كما تصدر عن الحاكي من صوت مغن أو أغنية، لا وعي، لا حياة، لا خشية، لا ورع، لا حب، لا نفع، لا عقل، لا فهم، لا استقامة، لا رغبة، لا شوق، لا مطمع، بل عكوف على معاني الظلام بوهم النور، وعكوف على طريق الموت باسم الحياة، فلا مجافاة لركود بوهم الوجود، ولا ضيق بظلام بوهم النجاة.

ليس معيبا أن يكون الإنسان جاهلا، ولكن المعيب أن يجهل الجاهل أنه جاهل، والأشد عيبا أن يتوهم هذا الجاهل أنه عالم فيفرض إرادته على جهله باسم العلم، ويفرض فعله على الناس مع انحرافه باسم الاستقامة، ويكره الناس على مظهر الرضا عما هو فيه باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أمر الجاهلية فينا:

إلى مثل هذا صارت أمور الناس، جاهلية ثانية استوفت حلقاتها على مثال من جاهلية سبقت. كان الرسول بمولده وقيامه ورسالته فيصل ما بين الجاهليتين.

وإن الرسول وهو ياقوتة أحدية الصفات من نور الذات الأزلية، وهو حجر الزاوية بين اتجاهين لعوالم الظلام والنور، وهو أيضا حجر الزاوية بين عالمه من متابعيه ممن أسلم له إسلاما لله، أو خاصمه جهلا بالله وبين عالم سبقه من أهل النور ومن أهل الظلام من أمم سبقت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فمنها أمم خرجت من دائرة وعالم اكتسابها الأرضي تواصل الاكتساب في عالمها الروحي، وأمم خلت مما سوى الله وقامت بالله إنسانية خلق ومظهر حق، حضرة تحققت بالحق من فطرة الوجود على الحق، فكانت في معاني الله، وملائكته للخلق تصل بؤرة القيام في ذات رسولها منها اتصالا بإنسانية القيام من أبنائها، وثمرة وجودها وغرس يديها تجديدا لذواتها قديمة في دائرة جديدها من الخلق وعوالم الكسب قدوة مرتضاة، وحقيقة مرتجاة.

حضرتان:

وبذلك كانت هناك حضرة علوية كما عرف الحكماء تداني حضرة أرضية، كما عرف العلماء عن طريق بؤرة إنسانية طبيعتها ظلمانية في عالم الظلام، نورانية في عالم النور، نارية في عالم النار، وحقيقتها إنسانية في عالم الإنسان، هي مصباح أهل الظلام، وهي وجه حضرة الدوام لحضرة الحياة، والقيام بقانون الأزل المرتقي بحقائقه المتعالي في صمدانيته.

وإني إذ أتحدث بهذا الحديث إليكم أرى بينكم من يرى فيه غريبا مستعصيا على الفهم، وإني لضارب لذلك مثلا فيكم قريبا لوعيكم وإدراككم، رجال ثلاثة أوسطهم أب، وثالثهم ابن، وأولهم جد، كلهم اكتسبوا في الله معاني الإنسان، ومعاني أمر الله يقوم في الإنسان، ومعاني كلمة الله وروح منه، ومعاني آدم، نجل الابن أن يظهر بمقام التعادل له مع الأب، وشاركه حياءه الأب أن يرى مقام التعادل له مع الجد أي مع أبيه، وتلطف الجد وقد أحس بجمال الله فيهما بالله فيه، وأدرك عظمة الله في قديمه غيبا عليه بجديده مشاهدا منه، وأدرك تنزيهه الله عن أن لا يكون قد فعل في قديمه ما فعل له في نفسه وهو الصمداني في فعله، على ما شهد من أمره في نفسه، مدركا صمدانية الله في صمدانية نفسه بإدراك

قديمه مما لا يحيط به، ولا يشهده وإن قام فيه وقام به قديما لا بداية له، يتجلى له منه بمن يشهد من حقائقه لمرآة على قابل لا انتهاء له فقال لحقائقه إنك أنت أيتها الحقائق وإن كنتِ مني إلا أنه لا فرق بيني وبينك، إذ أن لك معي قديم لا بداية له، ولي منك جديد لا نهاية له، وإنك كلما تدانيت وقاربت جديدك فإنك تتصلين بقديمك وتقاربينه فجديدك بالحق مرآة قديمك من الحق.

فإذا أدرك المدرك منا أنه متعادل في لانهائية الجنس أبدا مع ولد وليده فهو جديده يوما، وأدرك أنه متعادل بذلك مع آبائه في لانهائية الجنس أزلا أمكننا أن نقول: الأبناء جديد الآباء بلانهاية، والآباء قديم الأبناء بلا بداية، والمدرك لذلك قائم به ساري فيه.

إن الله منزه في الواقع وفي الحقيقة عن الجدة والقدم، ولكن الجدة والقدم هي من صفات الإنسان فيه، وإن الله تعالى تنزه عن معاني الأبد والأزل لأنه ظاهر في القيام بمعانيهما بالإنسان فيه، فهو لا يوصف بأحدهما دون الآخر، وهو لا يوصف بالقيام دون الأزلية، ولا يوصف بالأزلية دون الأبدية.

فأزلية الله وأبدية الله كلاهما يتلاقيان في قيام الله بالوجود، وإن أزلية الإنسان من أزلية الله، وإن أبدية الإنسان من أبدية الله، وإن قيوميته وقيام الإنسان من قيام الله وقيومية الله، وإن الإنسان في الله ليدرك أزليته في قيامه به ويدرك في أزليته أبديته في قيامه بعين الأزلية فيه، فناء في مبدعه ومبقيه، أي أنه يدرك في فنائه في الأبدي قيام الأزلي وهو عين إدراكه لقيام الأبدي فناء في الأزلي.

إن الإنسان الفاني في أزلية الله وأبدية الله وقيومية الله هو الإنسان الفائز بأمانة الإنسانية فيه، المحيط بشيئيته والمقيم لمشيئته والحافظ لأمانته.

فأنت أيها الكائن الحي عليك قيومية من القيوم الحي فأنت الحياة وقيامها وهو الحياة وقيوميتها، فقيوميته عليك بالحياة وقيامك أنت بالحياة، وتجديدك أنت لمعاني الحياة بتجديد نوعك وتجديدك لجنسك متجددا من قديم من جنسك يجعل للبشرية ديمومة تدرك بلا بداية وبلا نهاية لا أطراف لها في دائرة وجودها.

فأنت بقديمك من الجنس، وبحاضرك من الجنس، وبمستقبلك من الجنس، تمثل معاني الأزلية لله، بالأزلية للجنس، في الله الأزلي، والقيومية لله، بقيام الجنس في الحي القيوم، والأبدية لله بتجديد الجنس منك على صورة لا تعرف لها توقفا واعلم أنه ليس لها انقطاع.

وإن إدراك الإنسان لقيومية الله الحي القيوم على الحياة، إنما هي غاية الغايات، ونهاية النهايات، وساعة الساعات، وقيامة القيامات في أمرك، فلا تباعد بينك وبين الله بالغفلة، ولا تباعد عنك الله بالجهل ولكن ادخل في حصانة وحدانية الله، في شهادة أن لا إله إلا الله، وقيومية أن لا إله إلا الله، وقيام أن لا إله إلا الله في قيامك.

إن رسالة الرسل ومحمد الطابع والخاتم ومثال الكمال وكمال المثال في غيب وحال، ما كانت إلا مثالا ضرب للناس من الله اللانهائي الحي القيوم، مثالا ضرب للناس من أنفسهم، رسولا من الحق للناس في أنفسهم، رسولا من أنفسهم إلى الحق نفسه في أنفسهم، وهو الذي يحذرهم إخفاء نفسه في أنفسهم، مثالا يبعث في كل نفس لنفسها أو للناس.

إن تعاليم محمد قامت على هذه النقطة المركزة.

لا إله إلا الله حصن الله، من دخل لا إله إلا الله فقد دخل حصن الله وقد أمن مكر الله، أما من بقي في ألوهية نفسه وإدراكه وحسه مباعدا بينه وبين الله، مفرقا بينه وبين الله، هذا لله وهذا لي، هذا من الله وهذا مني، وأنه في ذلك يباعد بينه وبين الحق يمكن أن يدرك، وبينه وبين الحقيقة، يصح أن تشرق.

والإيمان بوحدانية الله في الوجود هو أمر ميسر للعقول، وميسر للكافة، ومستساغ عند النفوس، ولكن الذي يشق عليها هو الإيمان بوجه الله الخاص في رسالات الله من الرسل. إن الذي يشق عليها هو ورود الحوض المحيي لموات النفوس.

وإن رسول الله وطابع رسله كان فرط أمته على حوضه وقد أبلغ ذلك وحذر منه.

وإن رسول الله هو سفينة النجاة المجفوة في ركب الحياة الزاخرة، بما تتموج به من بشرية متلاحقة إلى عوالم الروح غير مدركة في بحر لجي بالحياة بشقيها، يشغل وجودا ليس فيه مقدار أصبع إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد لله.

إن الذي خلق هذا الملك كله لموسع في ملكه، وإنه لموسع في السماوات، وإنه لمجدد للأراضين. خلق السماوات بأيد وإنه لموسع ومبدع لجديد منها ويزيد في الخلق ما يشاء.

هذه حقائق من الدين في كلمات جعلنا منها تذكرة، ولم نجعل من موضوعها بحثا. فهل أسلمنا؟ وهل سلمنا؟ وما الإسلام؟ وهل آمنا؟ وما الإيمان؟ هل علمنا؟ وما العلم؟ هل عرفنا؟ وما المعرفة؟ هل تطورنا؟ وما التطور؟ هل سلكنا؟ وما السلوك؟ هل عرجنا؟ وما العروج؟ كل ذلك مجهول في بيئتنا، مجهول لعقولنا، غريب على مداركنا، غريب على عقولنا فشاذ في آذاننا.

كيف يمكن أن نتطور؟ ما معنى التطور؟ إنها ألفاظ مستغربة والقرآن يقول {وقد خلقكم أطوارا}[3]، وبلاغ الدين مليء بألفاظ ولكنا نلوكها دون وعي ودون إدراك لتطبيقها، ودون فهم لمعاني قيامها. {قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان}[4].

وإن الناس ما أسلموا لله على كتاب في الكتاب يكون الإسلام، ولكنهم إنما أسلموا لرسوله وقد رأى الله في إسلامهم لرسوله المسلم له إسلاما له تعالى ما استجابوا للبلاغ معه أو للبيان مع تكاثره بينهم.

هذا هو الدين لعاقل أو مؤمن، فهل أسلمنا؟ إن الإسلام متجددة أحواضه زاخرة بالحياة جديدها وقديمها، دائمة موارده لا تنقطع عن البشرية منه سفن النجاة، فأين الحوض؟ وأين الوارد؟ وأين السفينة؟ وأين الراكب؟ وأين الطالب؟

هل من سبيل؟ وهل من دليل؟ ها هي السماء تقاربنا وكلنا عليل، لعل لنا في هذا مخرج وسبيل، ولعل لنا منه مورد ودليل. إن عباد الله من أهل حضرته بيننا أرواحا مرشدة وأجهزة رائدة، فلندخلها نفوسا مطمئنة فتكون فيهم لأهل الجنة أجنة، ولعالم الحق حقائق مستكنة. {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[5].

أضواء على الطريق

- (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (حديث)[6]
- اطلبوا الله في ملكوته بين جوانحكم (الروح المرشد برش)
- احرصوا على دنيا نفوسكم لتعمروها فكل منكم عالم قائم بذاته. (الروح المرشد برش)
- {ويحذركم الله نفسه}[7] (حديث الإحاطة)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة البقرة - 256.

2 سورة الكهف -29

3 سورة نوح - 14

4 سورة الحجرات -17

5 سورة الفجر -27:30

6 من حديث شريف مجمع على صحته جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان. أخرجه البخاري في صحيحه.

7 28 - سورة آل عمران ، 30

(١٢)

عبد الله القائم. وذكر الله الدائم. فهل طلب الناس منه السلام وله الإسلام؟

حديث الجمعة

٢٨ محرم ١٣٨٠ هـ - ٢٢ أغسطس ١٩٦٠ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٩ صفر ١٣٨٠ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أول العابدين، وخاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقدوة العارفين، وحوض المتعطشين، ومعراج الراقين، وطريق السالكين، ووجه العاشقين، ويد المستنجدين، وبحر الحياة للطالبين المستحبين.

أستغفره وأتوب إليه، أستغفره من وجودي، وأتوب إليه من عملي وجحودي، وأسأله أن تمتد يده فتأخذ بناصيتي ولا تتركني لنفسي.

عباد الله..

حاولوا أن تؤمنوا بالله وحاولوا أن تكفروا بأنفسكم على ما هي عليه مغلقة دونه، مجانبة طريقه، بعيدة عن أحواض رحمته.

عباد الله..

إنكم إذ تأتون إلى هذا المكان وفي هذا الزمان، إنما تتهيأ لكم فرصة الحياة، وفرصة النجاة، وفرصة الموالاة. إنكم هنا لا تسمعون لغوا ولا كذابًا ولكنكم تستمعون حقا وصوابا ...

فإن فتحتم صدوركم وقلوبكم، وهيأتم نفوسكم وعقولكم، وأخضعتم نفوسكم ونزواتكم، تدفقت عليكم مياه الحياة من ميازيب الحياة من رحمة الله، من حق الله، من روح الله مسفرة لكم.

إن النبي وهو خاتم النبيين ما كان شرفه في نبوة، ولا شرفه في ختام.. ولكن كان شرفه في بدء.. كان شرفه في عبد.. أول العابدين أول لعباد لله، أول عبد لله، أول لظلال من عبودية الله، أول لظلال من الله، أول لوجه لله، أول لوجوه لله.

لقد أصبحت النبوة بعبوديته كسب الناس من أمته متابعين.. كسب الظلال لطلعته ساجدين.. كسب الصور لعبوديته.. كسب الامتداد والحقيقة من حضرته.

لقد أصبح العلم عن الله به ملكا للناس، موائد مقدمة من رب الناس. لقد أصبح السلطان والعزة والسيادة أمرا ميسرا ممن كانت له العزة جميعا جعلها للمؤمنين، جعلها لرسوله، جعلها لعباده، جعلها لوجوه طلعته، جعلها لأيادي منته، جعلها لحقائق صمدانيته، جعلها للإنسان وصفا للرحمن، ومظهرا للإحسان، وتدانيا من الديان...

مالك يوم الدين: وما مالك يوم الدين إلا الإنسان، يوم يأذن له الرحمن الذي ما تواجد إلا على صورته، والذي ما ظهر إلا بجمال طلعته رسولا منه لا عوج له تخشع له الأصوات، وتهمس بالإشارة إلى جمال طلعته وشمول وجوده ومرضي عزته النفوس.

يجابه القلوب فلا تستعصي العقول ولا تتمرد النفوس.

إنه الإنسان.. إنه مالك يوم الدين.. إنه الإنسان ملك الناس.. إنه الإنسان الذي اختفى أمره على الناس وهو منهم، وهو إياهم، وهم إياه، وهو أبوهم وهم أبناؤه، وهو ابنهم وهم آباؤه. ربُ الناس تولى الناس، عطف على الناس، تواجد منه الناس، تخلق منه الناس، تخلقوا في ظهره، أشهدوه والدا وربا، أشهدوه معلما ورسولا، أشهدوه رحمة دانية وعناية محيطة مدانية، عرفوه حكيما لا يعزب عن علمه شيء، ولا يخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى.

إنه أصل الحياة.. إنه الحياة.. إنه الحي.. إنه الحي القيوم.. إنه القيوم المجهول.. إنه المعروف في وجود الناس، بوجود الناس.. إنه القريب إليهم من حبل الوريد.. إنه معهم أينما كانوا.. إنه عليهم حفيظ.. إنه لهم جماع.. إنهم سره.. إنهم جهره.. إن عرفوا سرهم فقد عرفوه، وإن مثلوا سره بجهرهم فقد وجدوه، إن استقام جهرهم فقد ظهر سرهم، وإن ظهر سرهم فقد ظهر معناه، واستوى على عرشه مبناه، لقد وجد كرسيًا لأمره استوى عليه واستقر بعدله في وسعه.

لقد وسع كرسيه للسموات والأرض.. يزيد في الخلق ما يشاء، يملأ الفضاء بالحياة، يملأ ساحة العدم بالوجود، يُظهر الحياة إذا وجدت، ينشر الحياة إذا عرفت، يتسع بالوجود إذا أوجد.

هو رب العالمين. يبدأ عالما مع كل معلوم مما خلق، ويبدأ حياة وحقًا مع كل عالم ما تكاثر وما تناثر، وما اجتمع، وما افترق.

إنه سر كل شيء.. إنه إنسان الله.. إنه عبد الله.. إنه آدم الله.. إنه أولية الله.. إنه الحق إذا ظهر.. إنه الصبح إذا تنفس.. ولم يخرج منه الليل إذا عسعس.. إن الظلام هو غيبه عن الإدراك، وإن النور هو

قربه للإدراك.. هو قيامه في الوعي.. إنه الإنسان.. إنه عين الرحمن بوحدانيته.. إنه ظاهر الرحمن في صمدانيته.. إنه وجه الحق بعينه في طلعته.. إنه المدثر.. إنه المنذر.. إنه الفارغ الناصب.. إنه المطلوب والطالب..

جاء الحق وزهق الباطل. إن طبيعة الباطل أن يزهق، وإن طبيعة الحق -إن كان للحق طبيعة- أن يثبت. إن طبيعة الحق أن يتواجد. إن طبيعة الحق أن يدفع الباطل فيصيره حقا. إن طبيعة الحق أن يتواجد في تواجد الخلق.

إذا كان محمد خاتم النبيين وأول العابدين فقد ظهر الحق من رب العالمين. لقد انتهى الإنباء عن المجهول، وقد ظهر العَالم بالمعلوم، وقد ظهر العبد.. ظهر أول العابدين. تواجد أول العابدين. جدد نفسه بيننا أول العابدين. أوجد نفسه مرة أخرى أول العابدين. بعث أول العابدين. ظهر العبد رب العالمين، وُجد العبد الذي عرف الرب فعُرف الرب بالعبد. إن العبد في الرب وجود. وإن الرب للعبد جود. إن الرب في العبد حق، وإن الرب على العبد ظهور للرب. إن العبد وجه الرب. إن العبد يد الرب. إن العبد طلعة الرب. إن العبد وجود الرب، عبد عَرف ربه.

إن محمدا عليه السلام والصلوات عَرف عن نفسه عبدا لربه، ثم رأى فيما عَرف - وهو المتواضع وهو الذي لا ينشد سيادة على الناس، ولا ربوبية على الأجناس، ولا متعة بكون، ولا سلطانا على أكوان - رأى أن اللسان به قد زل إذ وصف نفسه عبد الله.. وهو العبد لربه فقط.. إنما هو العبد لربه الذي رباه.. الذي تولاه ورعاه.. الذي أحاط به فحماه.. الذي عناه فأعلاه.

لقد رأى في ربه عبدا لله، ورأى في وصفه لنفسه بالعبودية لله إنما تجاوز قدره، وغالى في معناه فقال: بل الرفيق الأعلى.. بل الرفيق الأعلى.. فما أنا إلا عبد لرفيق أعلى، فما أنا عبد إلا لراع أعلى، فما أنا عبد إلا لعبد أعلى.

سبحان الله.. وتعالى الله.. إن الله ما فوقي، وإن الله ما فوق ربي، وإن الله ما دوني، وإن الله ما دون ما هو دوني.. تعالى الله عن الوصف.. تعالى الله عن الإحاطة.. ولكن قرة عيني في الصلاة، برؤية من تولاني ورعاني، ورأيت فيه من رعاني ورعاه، وتولاني وتولاه، وداناني وداناه.

إن منشودي من عظمة الغيب اللانهائي محققة برؤية عبد عرف عبدا فيه، وهذا هو سر العناية والرعاية لمن يرعاه ويعنيه فيجتبيه.

يا أيها الناس إني أُعلّمكم عن الله، لتعلموا عني عن الله، واحملوا عني عن الله، وانقلوا عني عن الله.. تجاهلوني إذا ذكرتم الله، لا تذكروني واذكروا الله. ولكنكم إن هجرتموني فما عرفتم الله، وما ذكرتم الله، وما

سلكتم السبيل إلى الله. إنه صراطي وإنه لمستقيم، وإن غيره لا يستقيم فالتزموه مستقيما وتعلموه مقيما. عنكم لا يغيب. لا يخدعكم. لا ريب فيه. لا يقطعكم فالذكر فيه. لا يمنعكم فهو باب الله لعانيه.

إنها سبيلي.. ها أنا أدعو إلى الله على بصيرة، عبدا لله يدعو إلى ربه، ويُعّرف عن الله فيما يشهد، وفيما يغيب عليه. يُعرّف عن الله في ربه، ويعرف عن الله في نفسه، ويعرف عن الله في نفوس الناس، يدعو إلى الله على بصيرة. أعطاه ربه القدرة على التكاثر والقدرة على الانتشار. أعطاه ربه نورا يمشي به في الناس فيحييهم، وإلى نفسه يضيفهم فيبقيهم.. يدعو إلى الله على بصيرة كما يدعو من امتد فيهم نوره ـ من حيا بهم بفنائهم فبقوا، وانتشروا بنورهم من نوره يمشون به في الناس فيحيونهم، وبمعاني البقاء فيهم يبقونهم فيبقون هم.. وهكذا يتكاثر ويتكاثر، انتشر وينتشر، امتد ويمتد، فقام ويقوم في الناس، مشهودا فيمن قام فيهم قيامه من رب الناس ملك الناس إله الناس. هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.

لا ينطفئ له نور وإن كره الكافرون، وإن عبث القائلون. إنهم إنما يريدون أن يطفئوا نور الله فيهم، وأنت نوره لهم، أنت نور السماوات والأرض من نوره. أنت قبضة نوره في السماوات والأرض بها تحيط. وما خرج من أفواههم إلا ظلام. وكيف يستطيع الظلام أن يطفئ النور، والله متم نوره.. مهما نفث هؤلاء من سحب الظلام؟

أنت الحق من الله وإن جحدوا.. أنت الوجه الباقي لله وإن كفروا.. أنت الحوض الدائم الماء والحياة وإن لم يردوا.. أنت مظهر الرحمن وإن صدوا.. أنت عين الإنسان وإن عبثوا.. أنت الناس.. أنت كل الناس.. أنت الناس في السماوات.. أنت الناس فوق الأرض.. أنت الناس تحت الثرى، واروك جلبابا في التراب، لا يؤمنون لك بحياة وقد قلت لهم (أنا حي في قبري)[1] فما صدقوك.. وأنت الصادق فما عرفوك.. ما عن هوى نطقت في طفولتك، فكيف عن الهوى تنطق في نبوتك!!

إن محمدا عَرّف عن الله.. وها هو برسالة الروح يُعَرّف الله بدوره عن محمد. ليست رسالتنا اليوم وفي هذا المكان، وفي هذا الزمان للتعريف عن الله، فقد انتهي التعريف عن الله بانتهاء الإنباء عنه، والإعلام عن علمية القيام به في أول العابدين وبخاتم النبيين وبحجر الزاوية بين المعلوم والمجهول من الحق.. بين الغيب والشهادة من الحق.. بين الظاهر والباطن من الحق. إنه العَلم على الأقدس من الحقيقة. فهو اسم الأقدس من الحق. إنه اسم الله الأعظم. إنه اسم الله للإنسان. إنه اسم الله في الإنسان. إنه اسم الله يظهر بالإنسان. إنه كلمة الله الجامعة. إنه روح القدس الجامع لكلماته. إنه آية الآيات من آياته. إنه الكتاب. إنه أم الكتاب. إنه الكتاب المبين. إنه أم الكتاب من رب العالمين. إنه ديوان الوجود. إنه طريق الشهود.

الله من ورائه محيط وهو على كل الشهداء شهيد. هو من الإنسان القديم الجديد. به يبعث الآباء في الأبناء. إنه بحر الحياة الزاخرة. إنه بحر الحياة الجامع بين قديم الإنسان، ومحدث الإنسان في القيام. رفع ذكره في العالمين، رفعه رب العالمين. إذا ذكر فقد ذكر الله. إذا ذكر من امتد فيهم فقد ذكر، وما ذكر إلا ذكر الله. إنه ومن معه ذكر الله. إنه وأمته رحمة الله. إنه وأمته جماع من الله، جماع لاسم الله. جماع لحضرة من حضرات الله. إنه صمدانية الله الذي لا ينقطع عمله، ولا ينقطع جواره، ولا ينقطع فعله، ولا ينقطع خلقه، ولا ينقطع وجوده، ولا ينقطع جوده.

إن رسالتنا في التعريف عن عبد الله ورسوله أول العابدين. ليست لنا رسالة إلا ما أرسل هو به، وليست لنا معرفة إلا ما عرف هو عنه، وليس لنا وجود إلا ما تواجد هو به في الناس عبدا لله، خلقا من خلق الله، آدما من أوادم الله.

ها نحن بدورنا وقد عرفنا عن الله فعرفناه وبالله عرفناه.. ها نحن نرد له الجميل فنعرف عنه. ولسنا من أصحاب فضل في التعريف عنه، فالفضل منه وإليه، والتعريف عنه به. لا نملك أن نسلك غير ما سلكنا في التعريف عنه، فهو المالك بزمامنا بمحبتنا له آخذ بنواصينا برحمته بنا. هو الحق لنا من الحق. هو الرسول لنا من المرسل. هو العبد لنا من المعبود. هو الحق لنا من المعروف. به نستنير، وبه نستضيء، وبه نعرف، وبه نتجه، وبه نتحقق.

إن هذا هو معنى الشهادة له بأنه رسول، وإلا إن لم يكن ذلك منه لنا وهذا منا له فما شهدناه رسولا لله، وما آمنا به رسولا لله، وما عرفناه رسولا لله، وما لبينا نداءه صوتا داويا لله.

هذا هو الحق. نسأل الله به أن يهدينا، ونسأل الله به أن يأخذ بنواصينا إلى الخير، ونسأل الله به أن يقينا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقه، ونسأل الله به أن يولي أمورنا خيارنا، ولا يولي أمورنا شرارنا بما كسبنا، ونسأل الله به أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا، وأن يتوب علينا، وأن يتولانا في الكبير والصغير من شأننا، وأن لا يدعنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفة عين، ولا أدنى من ذلك. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

- (فاطمة ابنتي روحي، من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله)[2] (عن الرسول)
- {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.} [3](عن الله)
- {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته.}[4]

- الروح الأعظم عندنا هو رسول الله وهو لنا معنى الله واسم الله وكلمة الله ـ الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

2 إشارة للحديث الشريف: " فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي، فَمَن أَغْضَبَها أَغْضَبَنِي." أخرجه البخاري ومسلم، والحديث الشريف: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله." المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.

3 سورة محمد -2

4 سورة الحديد -28

(١٣)

الحج عرفة
فهل وقف الناس ببابه وعلى عرفاته؟

حديث الجمعة

٩ ذو الحجة ١٣٧٩ هـ - ٣ يونيو ١٩٦٠ م

لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك

لبيك لك الملك. ولبيك لك الحمد. ولبيك على كل شيء شهيد.

لبيك لا إله غيرك ولا معبود سواك. لبيك هاديا غير مشارك

لبيك واحدا أحدا غير متحد فلا مولود ولا والد.. بل فيك ومنك المولود وما ولد والمشهود وما شهد.. وما قبل المولود والوالد.. وما بعد المشهود والشاهد.

سبحانك.. عززت عن البعد عزتك عن القرب.. وعززت على الشهود عزتك على الجحود.. فأنت المعروف في قربك، وأنت المعروف في بعدك، وأنت المجهول على قربك، وأنت المعلوم على بعدك، وأنت الموصوف في بعدك، وأنت العزيز على الوصف في قربك.

سبحانك.. سبحانك غنيا عن العالمين.. غنيا عن العابدين.. غنيا عن الرسل والمرسلين. هل جهلك الناس؟ هل عرف الناس أنهم في جهلهم لا يجحدونك، وأنهم في علمهم لا يعرفونك؟!

جاء الأنبياء وجاء المرسلون.. كل بما جاء. هل بقي المرسلون؟ هل بقي ما جاء به المرسلون؟ هل بقي من جاءهم المرسلون؟ الكل إلى غياب، والكل إلى زوال، ولكن هل غاب الكون؟ هل غاب الوجود؟، هل غابت البشرية؟ هل غاب الجهل؟ هل غاب العلم؟ هل غاب الشك؟ هل غاب اليقين؟

إن ما غاب ما هو إلا غير الله. وان ما بقي ليس غير الله. يغيب الناس، وتغيب الأجناس، وتغيب التقوى وأهلها، ويغيب الجحود وأهله، ولكن الله لا يغيب.

إن الله باق ما بقي الحديث عنه والطلب له. وإن الإنسان وهو الكائن المتحد المتحدث عن الله الطالب له لا يغيب ولا ينقطع، ما تحدث عن الله وطلب الله.

في مثل هذا اليوم من كل عام يذهب الناس إلى هضبة من الأرض، وربوة منبسطة عليها يتلاقون، وعليها يجتمعون ملبّين لمنسك من مناسك الدين. وهم على هذا عشرات السنين ومئاتها، وإن شئت فآلافها، فهل رجع الناس من حجهم لربهم، أو لبيت ربهم، أو للقائهم لربهم واصفين؟ هل عادوا من منسك الري راوين؟ هل عادوا من منسك الصفاء صافين؟ هل عادوا من منسك الطواف طائفين؟ هل عادوا من الوقوف عند جبل الرحمة راحمين؟ هل عادوا من الوقوف على جبل المعرفة عارفين؟ هل عادوا من منسك التلبية ملبين مجيبين لنداء رب العالمين؟ هل عادوا من الحج حاجين؟

إنكم لهم تدرون، وهم لأنفسهم أدرى إن كانوا صادقين. إن منسك الحج لا يتجاوز ركعتين في الصلاة أو من الصلاة عند المصلين. لم يقل رسول الله وقرة عيني في الحج، ولكن قال (وقرة عيني في الصلاة)[1]. قال رسول الله (الحج عرفة)[2]، يشير إلى أن الحج معرفة، فمن طلب الله وصدق في طلبه وجده. ومن وجده أحبه وعشقه وأدركه وعرفه.. أقرب إليه من حبل الوريد.. قائما على كل نفس.. آخذا بنواصي كل نفس، وكل ذات.. مدركا لها الرشاد والمعرفة، والحكمة والوعي ما استنصحته في سؤال الضمير.. في استفتاء القلب.. في النجوى مع العقل والوعي.

فبمَ آمن أدعياء الإيمان من أهل الكتاب؟ هل آمنوا بالله وهو الظاهر والباطن؟ هل آمنوا بالله ظاهرا فأدركوه بهم وبكل شيء ظاهرا؟ أم هل آمنوا بالله باطنا فأدركوه بهم، وبكل شيء باطنا؟ هل آمنوا بالله ظاهرا فشهدوه، وأينما ولّوا فوجهته يشهدوه؟ هل آمنوا بالله غائبا فعرفوا ظهور الغائب في عبودية الظاهر، فعرفوا الوجود عبدا له، وعرفوا أنفسهم أبناء للوجود وعبيدا للموجد، فأدركوا أن باطنهم هم هو، وأن ظاهره هو هم فقالوا باسمك اللهم؟

كيف آمنوا بالرسول؟ هل آمنوا بالرسول روحا من روح الله؟ أم هل آمنوا بالرسول ذاتا من ذات الله؟ إن آمنوا به ذاتا وعرفوا أن الذات تغيب وأن الذات تبعث لعرفوا بعث ذاته في قيام ذواتهم بغيبته، ولو عرفوه روحا وآمنوا به روحا لعرفوه روحا حلت في ذواتهم، وأبعدت عنها نفوسهم بغيبته مبعوثا فيهم، قائمين به، ظاهرا بهم.

هل آمنوا به شيئاً من ذلك؟ هل عرفوه شيئاً من ذلك؟ هل آمنوا بربه شيئاً من ذلك، أو أمرا من ذلك فعرفوا علاقته بربه، وعرفوا علاقتهم به ربا لهم مربوبا عندهم؟ هل قرأوا كتاب أنفسهم كتابا منشورا؟ هل عرفوا كتبهم وأنفسهم ألواحا في كتابه وخلائق في حجابه؟

إذا قلت لهم ارجعوا إلى الله في الرجوع إلى أنفسكم، قالوا إنهم يعرفون الله وإنهم يتقونه وإنهم يعبدونه، ألا يقولون إنه موجود! ألا يقولون إنه مشهود! إنهم به سعداء، وإنهم به وجود!

يا أيها الوجود من الله.. تواجد وتواجد وتواجد بالله.. تطور وتطور وتطور بمن آمنت به.. إن أدركت شيئا من ذلك فالجنة قطوفها دانية، وأنت في جنة عالية أو جنة مدانية أو هي جنة من جنان. إن عرفت ذلك فأنت في قيامة عاتية برزت فيها الجحيم للغاوين، وأزلفت فيها الجنة للمتقين. لا تنتظر يوما للدين فأنت في يوم الدين. إن عرفت ذلك أو شيئا من ذلك فإنك في ساعتك ولمحتك من الحياة الأبدية الأزلية في حياتك بهذه الحياة الأرضية.

وفي شقاء القطيعة، وفي بلاء الوجيعة، وفي محنة التكليف، وفي بعدك عن تحقيق أمانة التشريف، أنت في أسفل سافلين في عالم الخلق.. أنت في بوتقة الخلق.. أنت في ابتلاء الخالق.. أنت في حياة الخلق بوصف الحقائق. إن شئت فإلى أعلى عليين وإلى أحسن تقويم من صنعك بيدك بنفسك لا بصنع غيرك.

إنك العمل الصالح، كما أنك العمل الطالح. فإن كنت قد اخترت لنفسك عملا غير صالح فقد سلكت الطريق في الهالكين.. إلى عالم لا موت فيه ولا حياة.. إلى عالم صمداني على حالة أهله، فيه لا يعرفون الموت ولا يموتون، ولا يعرفون الحياة ولا يحيون، ولكنهم في الله على ما هم عليه وهو الصمداني في حاله وفعاله. وإن كنت عملا صالحا فأنت في الطريق، في عالم أهل العمل الصالح. أنت في الطريق إلى أهل الملأ الأعلى. أنت في الطريق إلى أهل النجوى. أنت في الطريق إلى أهل الجزاء والسلوى. أنت في الطريق إلى أهل الإخلاص والخلاص من البلوى.

إن الله يخلق الخلق من عالم الخلق بما يخلق الخلق أنفسهم عليه. الله خلقكم وما تعملون.. إنكم عمل صالح من عمل أنفسكم مثقال ذرة من خير تكونون، وترون فتكونون الأمر الصالح، وتشهدون في أنفسكم العمل الصالح. وليس العمل الصالح إلا أنفسكم تشهدونها وتحيطون بها.. علما من المعلم.. علمكم كيف بأنفسكم وبعملكم تحيطون بمعناكم منه، وأنكم بما تعلمون عن أنفسكم إنما تعلمون عنه، وتعلمون أنكم لن تعلموا عنه إلا في علمكم عن أنفسكم صورا لوجوه له، وأسماء منه، أو وجوها في حقيقته.

هل آمن الناس بالرسول ذاتا فصلحت بذاته ذواتهم؟ هل آمنوا بالرسول روحا فشرفت بروحه نفوسهم؟ هل آمنوا بالرسول معنى فكرمت بمبناه منهم معانيهم منه؟ هل آمنوا بالرسول لربه عبدا فشرفوا بالرسول له ولربه عبادا؟

إن الناس وان حجوا فما لبّوا. وإن الناس وإن صلوا فما اتصلوا. وإن الناس وإن ذكروا فما ذُكِّروا. إن الناس يقومون في دين من الألفاظ، ويقومون في مناسك من الحركات، ويقومون في معرفة من الخيال والوهم إلا من رحم.

والناس اليوم وفي هذا الزمان، هم الناس يوم ظهر فيهم رسول رب الناس ملك الناس إله الناس، ويوم ظهرت فيهم كلمة الحق من ربهم، وكما ظهر فيهم من ابتلي بالكلمات ووفى فدرك بالصفات، وجعلت في بيته النبوة والآيات، وجعلت منه الكلمات والحقائق والرسالات.

الناس هم الناس على ما عرفهم الناس في هذا العصر، وفي كل عصر، وسيبقى الناس الناس.

إن الناس على ما هم عليه حقيقة كبرى من حقائق الوجود. وإن الناس على ما يصيرون اليه أمر أزلي من أمر الله، سواء ساروا إلى أعلى عليين وأحسن تقويم أو ساروا إلى أسفل سافلين لا يموتون ولا يحيون.

إن حقائق الوجود هي حقائق الله. وإن حقائق الله لا تتغير ولا تتبدل، فالسعيد من أسعده الله في نفسه، بلقاء ربه، والشقي من أشقاه الله فغفل ضميره ولم يحيا قلبه، فأظلمت نفسه وتشتت إلى عدم ذاته. من صلح في اجتماعه وهو مجتمع في ذاته الجامعة صلح في شتاته. ومن تجمع فجمع في جمع فقد عرف طريقه في الحياة، وكان في تجمع الجمع وتجمع القلوب بناء بيت الله، من لبنات القلوب من لبنات الذوات.. من لبنات الرؤوس.. من لبنات الأعضاء.. من لبنات البشر.. من لبنات هذه الأدحية أو البويضات حتى يتجمع ويتكون ويتخلق آدم في بيت مرفوع على هضبة عالية من عرفات جبلا، لرحمة الله يُرحم به الطائفون والعاكفون والركع الساجدون، ويتعلم به السائحون الطالبون، شاهد ومشهود.

هذا هو منسك الحج في ازدلاف وارتجاف في سعي واتصاف، بين صفاء وارتواء، في تواصي بالصبر وتواصي بالحق.. في أرض منى والأماني.. في أرض الإنسان والمعاني، في ذات محمد لا خارجا عن ذاته.. أقدامه سماوات الطالبين، والسبح فيه تجوال في جنة المتقين. إنه إنسان الوجود، ووجه المعبود، والحق من الغيب، والمحرر في الناس من القيد، به يتحررون وبه ينطلقون. هو بحر الأبحر لسفن النجاة. هو أنقى المياه من ماء الحياة. هو أصفى المشارب. هو أعلى المقارب. هو أشرق الشموس. هو أصفى البدور. هو أخضر الأراضين. هو الصفاء للموصوفين بالصفاء. وهو الارتواء للموصوفين بالري والارتواء. هو النعمة والجزاء لمن عرفوا الرباط والدار. هو الله وعبد الله. هو الله ورسول الله. هو الله وكون الله. هو غيب الله وشهادة الله. هو الإنسان ظهر فيه الرحمن، وظهر به الرحمن، ورحم به الرحمن.

إن المعرفة فيه هي الدين. إن العلم به هو اليقين. إن الارتباط به هو الخلاص من السماوات والأراضين.

بماذا يتحدث الناس عن الله وعن رسول الله وكيف يتحدثون؟

إنه كلما جاءهم رسول من أنفسهم، كلما جاءهم في ذكر محدث من أنفسهم كانوا به يكذبون، وله يقاومون، وعنه يصدون، ففريقا يتهمون، وفريقا يقتلون، وفريقا يرجمون ويكذبون. هؤلاء هم الناس.. فأي منقلب ينقلبون؟ أإلى ربهم ينقلبون فيشهدون؟ أم إلى ظلمات أنفسهم وثقل ذواتهم يرجعون فيعمهون؟ وهو فيهم أقرب إليهم من حبل الوريد، وهو فيهم قابع، وهم فيه قابعون. سيذهب الناس، وبماذا ذهبوا يعودون، فلا عظة منها يتعظون، ولا آية من آيات الله يشهدون إلا من رحم.

فلا تأسفوا على أنفسكم أنكم لستم بين الحاجين، وإن أدركتم في أنفسكم أنكم من المستيقظين، فإن لمحة من اليقظة خير من أداء منسك ومناسك.. ففجر الإشراق على قلوبكم هو المطلوب، وهو الموعود، وهو المنتظر.. فعرضوا قلوبكم لإشراق شمس حقيقتكم. هدانا وهداكم الله إلى أحسن سبيل وأقوم طريق فهو بذلك حقيق وبه خليق. نسأله الهداية والتوبة والرحمة والمغفرة والسلم والسلام لأرضنا، وأن يدفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما هو به أعلم.

اللهم ألف بين قلوبنا، اللهم ألف بين عقولنا، اللهم ألف بين نفوسنا، اللهم ألف بين ذواتنا، اللهم ألف بين معانينا، اللهم لا تتركنا لأنفسنا ولا لغيرك طرفة عين ولا أدنى من ذلك يا رب العالمين. اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا تولِّ أمورنا شرارنا، وارض اللهم عنا، وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، واجعلنا فيمن تحب وترضى، ولا تجعلنا فيمن لا تحب ولا ترضى يا أرحم الراحمين ارحمنا.

أضواء على الطريق

- {وأذن في الناس بالحج يأتوك ...}[3]
- {يا أيتها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي ...}[4]
- {وَأْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها..} [5] ـ {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[6]
- {فصلِ لربك وانحر..}[7] {... يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[8]
- {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وأزواجه أمهاتهم}[9].

- {.... آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته} [10]
- {فولِ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره}[11].
- (القلب بيت الرب)[12]
- (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[13]
- {وهو معكم أين ما كنتم}[14] – {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}[15]
- الحج عرفة[16] ... الحج معرفة ... الحج لمن عرفه.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي. وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

2 حديث شريف: "الحجُّ يومُ عرفَةَ". أخرجه البخاري ومسلم.

3 سورة الحج - 27

4 سورة الفجر -27، 29

5 سورة طه -132

6 سورة الأنعام -5سورة الكهف - 28

7 سورة الكوثر - 2

8 سورة الشعراء -218، 219

9 سورة الأحزاب -6

10 سورة الحديد -28

11 سورة البقرة -144

12 عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.

13 حديث قدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

14 سورة الحديد - 4

15 سورة ق - 16

16 استلهاما من الحديث الشريف: "الحجُّ يومُ عرفَةَ". أخرجه البخاري ومسلم.

(١٤)

الإنسان والأكوان

حديث الجمعة

١٣ شوال ١٣٧٩ هـ - ٨ أبريل ١٩٦٠ م

باسم الله وباسم رسول الله..

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله.

عباد الله.. اذكروا الله واسترحموا الله، واعلموا وتعلموا أنكم من الله وإلى الله. جاءكم رسولكم من أنفسكم بدين الفطرة على سنن من سبقه، وعلى موعود من لحاقه. كان الغيب في ملته أصلا للأشياء منه خرجت، وبإرادته ظهرت. فكان الغيب والشهادة أصلين في الوجود وأمرين قائمين في كل موجود، وكنتم بشيئيتكم وبغيب شيئيتكم من قديم ولاحق، عنوانا للوجود وأصلا فيه لمعانيكم، وكانت الأحياء صفوة الأشياء كما كانت الأشياء صفوة الغيوب.

تجلت الغيوب بالظهور في الأشياء فكانت الغيوب أصلها وكانت الأشياء ظهورها، واهتزت الأشياء بإرادة الغيوب فوجدت الأحياء، فكانت الأحياء صفوة الأشياء ترنمت واهتزت، وطربت وأطربت بشيئيتها لشيئيتها.

وكانت البشرية صفوة الأحياء، بدايتها من الأرض والسماء ونهايتها الأرض والسماء.. فكانت الأرض شجرتها تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها من مظاهر الغيوب.. وكانت الآدمية صفوة البشرية، فكانت البشرية طينة الآدمية وصلصال الذاتية، تجمعت ذات آدم منها ومن لبناتها، ومن خلاياها بيوتا لله ترفع ويذكر فيها اسمه.

وكانت العيسوية صفوة الآدمية يرجى بها الخلاص ويؤمن بها الهلاك مثالا لمفردات الأشياء من لبنات البناء.

وكانت المحمدية صفوة العيسوية تحمد من الآباء وترتضى من الأبناء في المؤاخاة والإخاء.

وكانت الإنسانية صفوة المحمدية، منها يتواجد الإنسان فيكون للغيب عنوانا، فما ظهر الرحمن في شيء مثل ظهوره في الإنسان، علمه البيان، وعلمه الحساب والحسبان.. فتعارف فعرف الرحمن. به عُرف وعنه عَرف.. فظهر به الحق للعيان.. وتواجد الموجد للموجود في الوجود والوجدان.

وبذلك كان الإنسان ما وراء الأشياء في الوجود والوجدان، وما بعد الأشياء في الوجود والوجدان. وكان الإنسان عنوانا على الرحمن وعبدا للديان.

بهذا جاء محمد، وجاء به القرآن.. رسولا للفطرة، ومعلما بالفطرة، وعليما عن الفطرة. بدأ في بدئنا ضالا فهُدي. وبدأ في بدئنا يتيما فأُوِي. وكان لنا أسوة في أن نعمل وأن نتعرض لنهتدي ممن هداه، ولنؤوى ممن آواه. وكان فقيرا فغني وكلنا فقير يرجو غناه، ويرجو الغنى به والاستغناء عما سواه.

بذلك كان رسول الله بمعاني بدايته معنى لكل مبتدئ. وكان رسول الله بمعاني نهايته رجاء وأمل كل طالب وكل سار إلى الله.

كان رسول الله وعبد الله بدءا لقومه وبداية لأمته. كشف عن قوانين الفطرة، وعن قوانين الغيب، وعن قوانين الوجود، وعن قوانين الظاهر من الأشياء، وعن قوانين الباطن، وعن قوانين الحياة والتواجد، وعن قوانين الفناء والعدم، وكان مما كشف من قوانين الأشياء أنها مَن أوجد الأشياء. (إن الله يبعث في هذه الأمة - في أمته - على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[1].

وقد فعل الله وصدق رسول الله. وتجددت مجالاته على رأس كل قرن بدءا من كل عام، ومن كل يوم، ومن كل ساعة في عباد لله لا يعلمهم إلا الله...

كما أنه كشف أن الرسالة وهي تتجدد على رأس كل قرن مع من يجدد لهذه الأمة أمور دينها، فإن ذاته الشريفة، وإن ذاته المباركة، وإن ذاته في الفطرة تتجدد أيضا في دورة على رأس كل ألف عام، بقوله (إن صلحت أمتي فلها يوم وإن لم تصلح فلها نصف يوم)[2]، واليوم هو رسالته حية، وهو كما عَرّف عنه كتاب الله {وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}[3]، وهكذا كان يوم آدم ونوح.. فإن رسالة آدم استغرقت يوما فعاشت في الناس ألف عام.. وكذلك رسالة نوح وإن نقصت قليلا، فكانت رسالته في الناس ألف عام إلا نصف قرن.. بذلك تناقصت دورة آدم، وسارت في التناقص حتى جاء إبراهيم فتواصلت في تتابع قرني، لا يخلو عصر من دورة لآدم.. وبذلك كان شعب إسرائيل، أو شعب يعقوب، أو أولاد يعقوب من إسحاق من إبراهيم، تتابع فيهم كلمات الله، واسم الله، بنزول البسملة على كل نبي حتى عيسى عليه السلام، فكان عيسى كلمة خاتمة من يعقوب وإسحاق.. فكان خاتم النبيين، ومثالهم المرتضى، ومثلهم الأعلى من رسالة إسحاق من إبراهيم على تتابع متصل. ولو صلحت

رسالة عيسى الكلمة الآدم عليه السلام، واستقامت في أمته، واستقام عليها الناس لتخلف ظهور محمد 500 عام من عام الفيل ولكنها لم تصلح، وخلطت بين معنى العبد وربه، وقصرت ظهور الغيب في الأشياء على شيء منها ضرب مثالا لها، فاقتضى ذلك أن لا تبقى رسالته أكثر من نصف يوم فرفع وما فيه من الحق، بذلك بعث محمد عليه السلام بعد خمسمائة وسبعين عام من مولد عيسى، أو ما يقرب من ذلك.

ولو أن رسالة أمة محمد فشلت في التعريف عن محمد ورب محمد ولم تثمر في الأرض لها ثمار لبعث رسولا بعد نصف يوم من انتقال محمد، وشهدنا رسالة من الله بعد خمسمائة من الهجرة أشار إليها رسول الله، وعرف عنها، وبشر بها في أحاديثه كما فعل عيسى عنه من قبل...

ولكن وقد امتد بنا الزمان الى 1379 من الهجرة ولم يظهر لله رسول على الأرض، فبذلك نطمئن إلى أن محمدا وأمة محمد قد نجحت في رسالتها من حيث إخراج وتكوين العباد والأفراد، وإن فشلت من حيث الانتشار بأنوار الرسالة في البشرية.

وليس معنى هذا أن ما يتواجد عليه الناس ممن ينتسبون إلى هذا الرسول وإلى كتابه ودينه أنهم جميعا على استقامة، ولكن معناه أن هذه الأمة حققت لقانون الحياة ما يريد من إيجاد عباد يعرفون الله ويعرفهم الله، فيكونون في البشرية سفن نجاة، وكلمة خلاص للناس.. وهذا ما كان.

والرسول إذ يقول (خلفت الله عليكم)[4]، والقرآن إذ يقول {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي، لعلهم يرشدون}[5] يختم عهد الآباء، ويفتح باب اللقاء.

الرسول إذ يؤمر {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به}[6] كما يؤذن له ليقول {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[7] وإذ يقول الله للناس بكتابه {ورضيت لكم الإسلام دينا}[8] وإذ يعدهم أنه مظهره على الدين كله، وأنه سيُري البشرية في الآفاق وفي أنفسهم أنه الحق.. يفتح باب المعرفة للكافة.

فإن السماء إذ تدانينا، وتقاربنا، وتصلنا بصلاتها في هذا الزمان، وبهذه الصلة من السماء تسقط الحواجز والحجب بين البشرية من الأشياء والبشرية من الأحياء، فيتحدث عالم الأشياء إلى عالم الأحياء، ويجتمع العالمان في توافق وفي امتزاج وفي اتصال على صورة عامة لم يشهدها تاريخ الجنس البشري من قبل.

وهذا فعل السماء وأثر اتصالها، وفعل الأرض وأثر انفعالها. وما السماء إلا حقائق الإنسان من أوادمه من نشأة هذه الأرض التي لا نعرف لبدء عمارها بجنس الإنسان بداية تدرك للتاريخ المعلوم عن الأشياء...

فإنسانية السماء من نبات الأرض ونبات الأشياء، وقد خرجت من عالم الأشياء إلى عالم الغيب، وعادت من عالم الغيب إلى عالم الأشياء، المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة حتى استوفت صفة الإنسان. هذه الإنسانية هي التي تتصل بالبشرية اليوم، وهي إذ تتصل من ملئها الأعلى تجمع في طريقها إلى هذه الأرض عوالم الروح، وتفتح لها طريق الاتصال بأبنائها في عالم الأشياء لتساهم في الخدمة.

وهذا على ما وعد الله في كتابه {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم}[9]، فهو كشف للناس في أنفسهم عن قديم أنفسهم، وعن حاضر أنفسهم، وعن مستقبل أنفسهم حتى يروا ويعدوا بعضا من رحمة الله وآلائه ونعمته عليهم، وحتى يؤمنوا أنه حقيقة هو القائم على كل نفس، وأنه قائم عليها بما كسبت، وأنه حقيقة أعطى كل شيء خلقه، وأن كل شيء بما قدره قادر على خلقه نفسه وتكوين نفسه: (نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما)[10] الإنسان، وأنه هو ما يعمل من مثقال ذرة من خير ومن مثقال ذرة من شر، إن عمله عليه شهيد، وإنه على عمله شهيد، وإن عمله إذا قدر عليه وضعف إحساسه بغيبه كان ربه، ورأى فيما عمله وهو غيبه إساءة فعله جزاء مقابلا لفعله هو مع خالقه وصانعه، إذ خرج عن نطاق حدوده في الإيمان به، والقيام بطاعته، والانتفاع برفده ورحمته وهو غيبه...

إذا أنكرت على الله أنه صنعك في أحسن تقويم، وأنه أعطاك قدرة بها تعمل وتتطور وتنشئ نفسك مرة بعد مرة، والله صانعك وما تعمل. ألم يلفت الله النظر في هديه وتوجيهه {فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وإنه على رجعه [على صورة ما بدأه] لقادر}[11]؟

خلقه من نطفة فقدره إذ جعله كائنًا قادرًا، وسواه مع قاذف هذه الخلقة أو المتخلق فيه، وقدره بدوره على قذف نطفة وبدء خليقة.

إن الإنسان لربه وهو غيبه - لكنود. وغيب البشر إنما هو بشرية، وغيب العبد إنما هو عبودية، وغيب الربوبية إنما هو ربوبية، وغيب الإله إنما هو ألوهية، وغيب الأشياء إنما هو شيئية، وغيب الغيب إنما هو غيبية.

فالإنسان في الشيئية أو البشرية على ما يعلم، إنما هو سلسلة من تناسل من بشر إلى الآدمية وفيها الرحمة والشيطانية، وأنه على ما يعلم مما سيترك من أثر على هذه الأرض إنما هو متسلسل في أبناء على مثاله تاركهم على الأرض وخارج بآنيته عن الشيئية إلى الروحية.

فالروحية وهي غيب الشيئية من قيامه إنما هي الغيب المباشر له، وهي بوصفها ـ غيب ـ غيبها غيب. وهو في شهادته وقيامه إنما هو عنوان غيبه من أبيه، وقد كان في الشيئية. فهو يعلم غيب نفسه أنه أباه الذي عرف أو عنه سمع، وأبوه غيب جده.. وهكذا إلى مفروضه من الآدمية.

وهو إذ يفعل ما فعل أبوه وجده سيكون يوما في نظر أبنائه في معنى الآدمية لأنه في معنى الأبوة لولده، وفي معنى الجد لولد ولده، وأنه يوما وحتما سيكون في معنى الآدم لما تناسل منه.

وهذا ما جاء به محمد إذ يعرف الناس في كتابه على لسان ربه {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم}[12]، أو شهدوا أنفسهم شاهد ومشهود.. أصل وفرع.. موجد وعين موجود. وبذلك تعارف بهم إليهم وهو من ورائهم محيط. إنه من وراء الأبناء في معاني المحيط، فشهد آدم في محمد آدميته، وشهد محمد في آدم محمديته. فكان محمد في معنى آدم لنوعه ولقومه ولأمته. {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين}[13]، إنما أنا عبد لربي.. إنما أنا عبد على ما علمني ربي إذ قال لي اعبد الله ربي وربك، واعلم أنه غيب لا ينال ولا يدرك، وأنني إذ أكون بدايتك فأنت نهايتي، إني أشهد فيك غيبي كما تشهد فيّ غيبك. إن غيبك في الله لا نهاية له وإن نهايتي في الله لا نهاية لها.

ومن ذلك يقول رسول الله - ما ينكر فقهاء أمته من التعساء والأغبياء عليه - قال لي ربي (لا فرق بيني وبينك)[14]، (آدم أبو روحانيتي وابن جسمانيتي)[15] إنه رآني في مستقبله، ورأيته في مستقبلي...

وإن الله إذ يقول له {ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}[16] أو {ولسوف يعطيك ربك فترضى}[17] إنما يشير إلى أن الله باعثه يوما بمقام آدم وهو المقام المحمود. وإنه إذ يقول آدم أبو روحانيتي وابن جسمانيتي إنما يشير إلى هذا المعنى، وإنه عليه الصلوات ما كان في وجوده المرسل إلا آدما لآدم. ولكنه وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعلمه فأوسع في علمه، ومكنه فأوسع في تمكينه، وخلفه فأوسع في رحمته، جعل من أمته {خير أمة أخرجت للناس}[18] ليكونوا شهداء على الناس، وهي أمته منه، وإنها من الناس قوم أناجيلهم صدورهم. مفرداتها من الناس إنما هم كلمات طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. مفرداتها من الناس كلم طيب يصعد إلى السماء، يصعد إلى المعرفة والحق، يصعد إلى منشوده {والعمل الصالح يرفعه}[19]. إنها أمة روح القدس.. إنها أمة العبد الروح.. إنها أمة العبد الآدم.. إنها أمة العبد الإنسان.. إنها أمة العبد الكتاب.. إنها أمة الإمام المبين.. إنها أمة من

زويت له الأرض.. إنها أمة من تزوى الأرض لمن يتابعه.. إنها أمة العبد الدائم الترقي.. إنها أمة العبد الدائم التداني.. إنها أمة العبد الذي عرف الله في كل شيء.. إنها أمة الإنسان الذي عرف الله في الناس، كما عرفه في نفسه...

أمة وسط بين قديم الناس ومحدثهم. لقد خلت من قبلها أمم مما سوى الله فأمسكتها يد الله، وخلت منها الأرض، أمة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.. أمة تُكَون نفسها بنفسها.. أمة تكون معرفتها بكدها وبعملها.. أمة وسط منها يخرج الشهداء على الناس، والرسول على هؤلاء الشهداء شهيد أنهم أمته.. {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}[20].

إن الله يستخلص من كل أمة على نفسها شهيدا من بينها في زمانها، ويجعل الرسول على هؤلاء شهيدا لأن الرسول هو العبد الذي عرف ربه أنه لا بداية له. هو العبد الذي عرف ربه أنه لا نهاية له، والعبد الذي عرف ربه في نفسه، كما عرفه في أبيه وولده، كما عرفه في خلقه.

رأى ربه في آدم نشأته، ورأى ربه في آدم صفوته، ورأى ربه في آدم ذاته، فقال (من رآني فقد رآني حقا)[21].

إن الله قد رضي هذا الرسول عنوانا عليه وعلى الحق منه، وعنوانا على العبودية له وعلى الرضا منه، وعلى الصفوة من خلقه وعلى الاصطفاء منه. وبذلك رفع ذكره في الملأ الأعلى من الإنسان في حضرة حقائقه من غيبه، ورفع ذكره كلما تجدد الناس، وجدد ذكره كلما خُلق الناس لأنه جعل منه الأسوة الثابتة الدائمة المرتضاة.

إن محمدا ما عرفناه. وإن مراده لنا ما حققناه. وإن كتابه مبلغا ما سمعناه. وإن طريقه مستقيما ما سلكناه. وإن حديثه صدقا ما صدقناه. وإن فعله أسوة وقدوة ما تابعناه ـ إلا من رحم.

وانقضى عصر من الرسول، وهو الذي اكتفى فيه بأن يهدي الله به رجلا واحدا، حمل فيه إلى الناس البلاغ، فلنتأمله وهو يقول (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)[22] فإذا بدأت بنفسك فهداك فلعله يهدي بك رجلا واحدا، ولو أنه فعل وهدى بك رجلا واحدا لكان ذلك خيرا من الدنيا وما فيها.

وما قال ذلك إلا إدراكا ووعيا منه لما وعى وقد اصطبغ بما أنزل عليه من كلمات الله قصصا حيا في رسله، عرفه في مؤاخاة حقيقة واحدة تعلوه، كما عرفه قصصه دائما حيا لا ينقضي ولا ينقطع في حقيقة واحدة يعلوها. {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[23].

فالرسول آخى من نفسه وممن تابعه رجلا واحدا عرفه قديما، جعله حجابا له وما زال يعمل به في حياته وعمل به بعد مماته، وما زال يعمل به حتى اليوم. وآخى في أمته رجلا واحدا عمل له ولا زال يعمل

له، وغفر له ولا زال يغفر له. أشار إليه مأمورا.. أشار لمن آخى من نفسه آمرا وترك الأمر لهما، وفوض الأمر في نفسه وفي أمره وفي قومه إلى الله، فقلى الناس أمره، ومن أشار إليه نفسه، ونسي أديمه منه ما أمر به وعُهد إليه.

ولذلك كان محمد في قانون الله قد وفى على ما وفى أبوه إبراهيم، {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما}[24] ، وابتلى الله محمدا بكلمات أتمها فجعله الله للناس إماما، وقامت الكلمات التي ابتلى بها في الناس ولم يعمل الناس بعمل من عهد إليه، فلم يستقبل الناس بيتهم في صلاة، ولم يطف الناس حول من أشير إليه، وأعجم الأمر على الناس إلا من استهدى الله فهداه، واسترحم الله فرحمه مدركا ضلالة نفسه، وضيق أفقه، وعجز حسه، قطع نفسه عبدا لدنيا، وقطع نفسه عن الآخرة موعودة مشتهاة، على مثال من دنيا من أهلها مستحسنة مرتضاة. وقال يا ربي عرفت الدنيا حلوة في فم أهلها مُرة في فمي. يا ربي لا أريد آخرة أضل بها في محبتك وفي طلبك، أأكون فيها على مثال ممن حَلت الدنيا في أفواههم فتخلق فيهم حسد إخوانهم من أهلها على ما هم فيه؟ يا ربي إذا غبطت أرباب القصور وأصحاب الدور فطلبت ذلك لآخرة لي حسرت على ما فاتني من دنياي فيك فإنني الجاهل، إنني المسيء فلا تجعلني ذلك ولا تفتنني برحمتك. يا ربي إنك تجتذب الناس إلى رحمتك وإلى طاعتك وإلى معرفتك بكل أسلوب رحمة منك، وإن لك لطرائق بعدد أنفاس الخلائق.

اللهم لا تجعل طريقي إليك شهوة ممنوعة عليّ في دنياي تغرني بها في أخراي، مداعبا بوعدك إياي. إني لأعلم أن بهاء وجهك وجمال طلعتك فيه من السعادة ما يسعد به السعداء، يمجون به الحور العين والقصور والولدان. إنك تعطيها في الدنيا لكافر بك، وتمنعها عن سعيد بك، وقد تعطيها عارفا بك مرضيا منك تجريها في يده ولا تسودها على قلبه.

يا ربي قد عرفت: أن عبدا يتوجه إلى الله مدركا مراد الله في قوله {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[25] فيطلب أن يكون من الله عبدا ولا يطلب أن يكون على الناس سيدا ولهم ربا، لا يطلب علوا في الأرض وقد اقترن العلو في الأرض بالفساد فيها، وبوصف عباده بأنهم لا يبغون علوا في الأرض ولا فسادا، يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، إنهم من الدنيا ومن الآخرة يتامى. إنهم يطلبون أن يكونوا ذوي مقربة من الله فيأويهم الله في رحمته فيكون لهم الأب والأم، ويعزهم الله في ضعتهم إليه وضعفهم أمام الناس، يخفضون جناح الذل من الرحمة لا من الضعف والضعة، يقولون سلاما بما رحبت به نفوسهم، واتسع له علمهم، وقامت به عقولهم، واستقامت به في الناس قلوبهم فظفرت بنور الله وكانت قلوبا وحضرة لله ساحة تتسع لأهل الأرض جميعا. (زويت لي الأرض وتبلغ أُمتي ما زوي لي منها)[26].

الأرض جميعا قبضته. الأرض جميعا مطوية في عبد له. طواها عبده. طوتها يده في ظهر عبد. طواها عضده. {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}[27].. يد الله هي أنت فوق أيديهم تطوي الأرض.

سبحان الله: هل عرفنا عبد الله الذي شرف العبودية لله وشرفته والذي قدر الله حق قدره، فقدره على ما علمه وعلى ما قومه وأقامه، وعلى ما دركه، وعلى ما خلقه نخلقه، وعلى ما رضيه فحققه، فكان قانون الحياة في ظاهر الحياة، وكان شرف الحياة في غيب الحياة؟

به دخلت البشرية في وصف البشرية قديما، وبه تعددت فيها الآدمية اصطفاء من الله، اصطفاء من الله فيمن يصطفي ممن هم فيه من أبناء آدم الأزلي، وبه عرفت البشرية فكانتها من معاني الإنسانية، وأدركت قديمها في أحسن تقويم وقائمها في أسفل سافلين، ومخلصها ومرجوها إلى الله السرمدي الأزلي، الجديد قبل القديم يشهد أن لا إله إلا الله في قيامها، ويشهد أن لا إله إلا الله في علمها ليشهدوا أن الله أكبر في سبيلها، وفي استقامتها تدرك.

على هذا ارتضى الله محمدا رسول دوام، ورسول قيام، ورسول سلام، وعلما على المعروف من الله، العليم العلام عبدا له.

ما أجمل هذه العبودية وما أعظم هذه الربوبية!

ها هو الدين الذي جاءنا به محمد، والذي جاءنا به كتابه، فهل أدركنا شرف طلبه فطلبناه أو طريقه وجوده فسلكناه؟ لقد ضللنا الطريق وسمعنا للبهتان كثيرا وكثيرا.

اللهم إنا إليك نلجأ وبك نستعين أن تخرجنا من ضلالنا في قديمنا وحاضرنا، ولتكن اللهم هادينا وناصرنا ببركة عبدك وابن عبدك ورسولك.

اللهم أنزل السلم والسلام على قلوبنا، وعلى أرضنا وقيامنا، وعاملنا برحمتك ولا تعاملنا بعدلك وبما كسبنا، وأبعد شرور أنفسنا عنا، وشرور الأشرار من خلقك، بجاه عبدك ورسولك محمد عبد حضرتك، ورسول رحمتك، وحوض ساحتك، وصفاء رضائك.

أضواء على الطريق

عن رسالة التوحيد والتعديد عن الإطلاق والتقييد:

الروح المرشد والإمام الرائد، برازخ حياة، وقبلة صلاة، وبيوت طواف، وسفن نجاة.

إن الاتصال بين الروح المرشد والذات الرائد يجعل من الأرض سماء لأفلاك وعوالم، كما يجعل من أفلاك وعوالم سماوات لها، ويكشف عن أن من مستويات الوعي والاستجابة في مفردات المجتمع البشري وحقيقة وحدتهم، كون يتخلق بأراضيه وسمواته وشموسه في طريقه للتواجد والظهور في ظل قانون دائب.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

2 حديث شريف ذكره محيي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية. وقد يكون مستلهما من الحديث الشريف: "إنّي لأرجو ألّا تعجزَ أمّتي عند ربّها أن يُؤخّرَهم نصفَ يومٍ. قيل لسعدٍ: وكم نصفُ ذلك اليومِ؟ قال: خمسُمائةِ سنةٍ. صحيح أبي داود.

3 سورة الحج -47

4 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

5 سورة البقرة -186

6 سورة الأنعام -153

7 سورة يوسف -108

8 سورة المائدة -3

9 سورة فصلت -53

10 من معلقة للذبياني

11 سورة الطارق -5، 8

12 سورة الأعراف -172

13 سورة الزخرف -81

14 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.

15 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

16 سورة الإسراء - 79

17 سورة الضحى -5

18 آل عمران – 110

19 سورة فاطر -10

20 سورة النساء -41

21 حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

22 حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها فإن فضلَ شيءٌ فلأهلكَ، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتِك فإن فضَل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.

23 سورة سبأ- 46

24 سورة البقرة -124

25 سورة الذاريات -56

26 من الحديث الشريف: إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.

27 سورة الفتح -10

(١٥)

صلاة عيد الأضحى المبارك
إلى عرفات القلوب

حديث الجمعة

١٠ ذو الحجة ١٣٧٩ هـ - ٤ يونيو ١٩٦٠ م

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

لا إله إلا الله.. ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين.

الله أكبر.. نصر عبده، أعز جنده، هزم الأحزاب وحده.

سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله!

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، اللهم صلِّ على آل سيدنا محمد، اللهم صلِّ على أصحاب سيدنا محمد. اللهم صلِّ على أنصار سيدنا محمد. اللهم صلِّ على أزواج سيدنا محمد. اللهم صلِّ على ذرية سيدنا محمد. اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى كل من انتسب لسيدنا محمد. اللهم صلِّ عليهم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، بأمرك وبرحمتك وبهدايتك وبعونك وبقدرتك.

لا إله إلا الله. نصر عبده.

الله أكبر ولله الحمد.

بهذا نزعت قلوب المسلمين إلى الله ألفا من السنين ونيفا وأربعمائة منها، تكرره وترددده في مثل هذا اليوم من كل عام، وتعيده كلما حل شهر الأمة، فصامت وأفطرت مرتين في كل عام.

وفي هذه الألفاظ وفي هذه العبارات وفي هذا النزع إلى الله يقوم الإسلام، وتقوم رسالة الإسلام، وتقوم أمة الإسلام من أمة محمد.

قامت أمة محمد بمحمد وآله وصحبه وأنصاره وأزواجه وذريته، وتتجدد أمة محمد كلما تجدد في أمته محمد بآله وصحبه وأنصاره وأزواجه وذريته.. {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}[1] {قل يحييها

الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}[2] {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}[3]. فمن كانوا على دين صالح منهم أمَّهم إلى الجنة والنعيم. ومن كان اجتماعهم على فاسق منهم قادهم فأوردهم النار وبئس الورد المورود. الناس على دين ملوكهم أعلنها رسول الله، أي حكامهم وأئمتهم حنيفية راوية، وكشفها نقية صافية ارتواها من روي، وحرم منها من شقي. {فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا}[4] {قالوا إنا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات}[5].

إن مملكة القلوب غير مملكة الذوات. إن مملكة النعمة.. إن مملكة الرحمة.. إن مملكة الهدى.. إن مملكة النور.. إن مملكة الحياة.. إن مملكة القلوب.. غير مملكة الذوات ومملكة الشفاه.

لقد رفع الله الناس بعضهم فوق بعض درجات في تقواهم في الله، وفي معرفتهم بالله، وفي صلتهم بالله، وفي علمهم عن الله على مثال مما أبرزهم به في دنياهم.. في علاقاتهم بأموالهم وجاهها وسلطانها وهيلها وهيلمانها. ولمملكة القلوب أكبر درجات.

إن الفرق في مملكة القلوب بين كائن وكائن هو الفرق بين السماوات والأرض. هو الفرق بين الربوبية والعبودية في الله. فتنزه الله عن أن يكون شقا من الحياة فيكون ربا، وتنزه أن يكون شقا منها فيكون عبدا. إن الله أقرب للعبد من حبل الوريد، وأقرب للرب ربا من حبل الوريد. وإن الله هو القاهر فوق عباده من ورائهم محيط. وإن الله هو المقهور في عباده لنفسه في عباده من ورائهم محيط.

رفع الناس في عوالم النور وعوالم اللطافة طبقات، كما جمعهم أجنة في البشرية لبنات رفع بعضها على بعض درجات، فكانت البشرية بطبقاتها عنوان السماء في طبقاتها.

إن الناس في الله.. إن الناس في البشرية.. إن الناس في الوجود.. سواسية كأسنان المشط كلما تجمعوا في طبقتهم على نظام الله، ولكن بعضهم فوق بعض درجات، والله رافع هذه الطبقات بخلق جديد من الطبقات. وإن الطبقات إذا ما انتظمت في نظامها الطبقي كراسي حكم، وعروش رحمة، ووجوها منه، فسلام في أنفسهم في طبقتهم، وسلام لكل طبقة في مكانها، وفي مقامها، وفي طبقتها، وفي عنوانها، وفي مكانتها.. فلا تأخر ولا تزاحم ولا خصام.

وهي إنما ترتقي بقدرة الله في جديد مما يخلق، وفي أكوان مما يفتق بأيدي الله، بعضد الله، من عباد الله، من عروش الله، من كراسي الله، من وجوه الله، من أهل تقواه، ومن أهل طاعته، ومن أهل معرفته، ومن أهل حضرته.

يوسع بهم في خلقه يملأ بهم الفضاء بالحياة. يفتق بهم السدم، يجمع بهم حبات الرمال من الخلق، يكور بهم أديما جديدا وآدما وليدا. يرفع بهم سماوات ويفتق بهم أراضين، على ما أشهد العارفين بالطبيعة من

الجاحدين بآياته وهو يريهم آياته في السماوات والأرض، ويشهدهم كيف فتق السماوات عن الأرض، وفتق الأراضين عن السماوات، يوم يعلمهم ويعلمهم أن السماوات والأرض تستجيب لأمره، وتعي لخطابه في لطيف حياتها، وأنها لا تخرج عن ناموس قدرته، كما أنها لم تخرج عن قبضته في كثيف قيامها.

الأرض جميعا قبضته يوم يعلم الناس، ويوم يكشف عن قيامه في الناس للناس يوم يأتي الأرض ينقصها من أطرافها.. يوم يأتيهم رسولا لا عوج له.. يوم يأتيهم رسولا ينادي أن هلموا إلى اسم الله.. أن هلموا إلى الذكر المحدث من الله.. أن هلموا إلى وجه الله.. أن هلموا إلى قبلة الله.. أن هلموا إلى بيت النجاة.. أن هلموا إلى الله.

يجيبونه خاشعين مهطعين يخرجون إليه بقلوبهم خالعين من أجداث ذواتهم ملبين حاجين، فيصلوا إلى قلوبهم مكرمين على ما وعد رب العالمين.

إن الرسول هو العبد الرب. إن الله هو العابد والمعبود. إن الله هو الموجد والوجود. إن الله هو الموجود والمفقود.

هل قدر الناس الله؟ ما قدروا الله حق قدره، وهو الذي أخذ من ظهورهم ذريتهم فأشهدهم على أنفسهم عبدا يشهد ربا في أبيه، وربا يرعى عبدا في بنيه. إنها ربوبية نوعهم، وإنها عبودية نوعهم. وهذا شرف جنسهم. (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[6] لأن الإنسان عنون الله ترجمانا، وعنون الله شيئا وشيطانا، وعنون الله مكونا وكونا، وعنون الله غيبا وكائنا، وعنون الله خبيرا لطيفا وذاتا كثيفا، وعنون الله في أفعاله موقوتة، وعنون الله في دوامه بلا زمن، وعنون الله في أزليته، وعنون الله في أبديته، وعنون الله فاعلا في تجلياته وسائر صفاته.

إن الإنسان في هذا شرُف أن يذكر الله، وأن يتأمل في الله، وأن يتقي الله، وأن يعصي الله، وأن يؤمن بالله، وأن يكفر بالله، وأن يجهل الله، وأن يعرف الله، وأن ينير ويشرق من نور الله، وأن يعتم ويظلم بحجب الله من الظلام، تتكشف من ظلام الإنسان، ومنها تتخلق الأكوان، ومن نور الإنسان تتخلق كذلك ملائكة الرحمن، ومن جهل الإنسان تتخلق عوالم الإنس والجان، ومن علم الإنسان يوضع ميزان السماوات، وبحكمته تقوم نواميس الأرض، ومن عدم الإنسان ولا عدم في الله يعرف قضاء الله، ويقام عدله، ويستقيم أمره. ومن بقاء الإنسان تعلم رحمة الله، ويشهد جود الله، وكرم الله، وإبداع الله، وقدرة الله.

أقلق الجهلاء التعريف بأن الإنسان هو الله ومن الله، وأقض مضاجعهم وأثار غفلتهم أن الله هو الإنسان ورب الإنسان. إن الإنسان ما عرف من الله إلا الإنسان رفيقا أعلى يطلبه وينشده، وما ظهر الله للإنسانية إلا بالإنسان يدنو من عليائه إلى سافله راحما مقاربا. عرفه العارفون يأتي الأرض ينقصها من أطرافها في جنسهم، وعرفه الأولون يأتي الأرض يقدر فيها أقواتها بفعلهم لأبنائهم، وعرفه المرتقون يأتي السماوات منها يحكم الأراضين بحكمته، وعرفه العالمون أنه مع الإنسان حيثما كان الإنسان.. تحت الثرى كان الإنسان أو فوق الثرى سرى الإنسان.. وأن الإنسان هو الساري فوق السماوات، وهو الساري تحت الثرى.. والإنسان هو يد الله المحيطة لأرضه، وهو يد الله الممسكة بسمواته، هو يد الله تظل، وتقل، وتفعل، وترب.

من عرف الله فعشقه وطلبه فوجده، أحبه فأحب الناس، وآمن بالله فآمن بالناس، فقد آمن بالحياة إيمانا بالله.

إن العيد لمن لبس الجديد من حيواته ومن حياته متصلة ما قبل هذه الحياة، مواصلة ما بعد هذه الحياة.. من لبس جديد الحياة فذهب بعيد الحياة إلى عوالم الروح، وجاء يعيد الحياة إلى عوالم الذات عيد إلى عوالم الروح روحا، وعيد إلى عوالم الذات ذاتا.. اتقى الله فعرف النجاة.. وآمن بالله فعرف سفن النجاة ومرفأ النجاة فلجأ إلى سفن النجاة صلاة وسطى يرضاها وترضاه.. فيها يتعارف إلى معناها في معناه، وبها يشرق بمسراها في مسراه، وبها يعرف حقيقته في حقه، وحقه في حقيقته.. يعرف قلبه بيتا لربه وذاته كرسيا وعرشا لمولاه.. ومعناه علما على معناه وما علاه.. ومعناه هو عين معناه ومرتضاه في وجوده من وجود الله.. موحدا بالله شاهدا أنه لا إله إلا الله.. مكبرا لله شاهدا أن الله أكبر، وأن الله أكبر، وأن الله أكبر.. أن الله أكبر إلى ما شاء الله موصولا ببيت الأزل.. متشرفا بالنبوة لأبيه.. مقدرا لمعاني وشرف الإنسانية فيه.. عازفا عما يليق بالكبير أن يعزف عنه.. مقبلا على ما يليق بالكبير أن يقبل عليه كريمةً عليه نفسه.. مرهفا فيه حسه.. ينطق بلا إله إلا الله بكله لا بلسانه، وينطق بالله أكبر بكله وبجنانه لا بوهمه وبهتانه.

لقد أصبح الدين قوامه، والدين معناه، والدين هواه، والدين حياته، والدين دنياه وأخراه، والدين ربه ومعناه. لا فرق بين ظاهر الحياة وباطن الحياة. ولا فرق بين الدين والديان في معناه. يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الناس أنفسهم، ويعرف ربه قبل أن يعرف الناس أربابهم من صنع أيديهم يرونهم العذاب ويسقونهم القطيعة.

هذا هو الدين يا سادة. وهذه هي الطريق سعيد من طرقها، وسعيد من أقام الصلة فأقام الدين. فنسأل الله أن يجعلنا من السعداء ممن يقيمون الدين، وممن يقيمون الصلاة جنودا لكلمة الله، إسلاما للحق في

الله، وانتظاما في عباد الله، وفي إنسانية الله، وفي بشرية الله.. هدانا الله وإياكم سواء السبيل. ونسأل الله أن يعيد هذا اليوم علينا في سلام وفي طمأنينة وفي خير وفي صلاح. والسلام عليكم وكل عام وأنتم بخير.

أضواء على الطريق

من أحاديث السيد الروح المرشد (برش)

(إن العالم النجمي جزء من عالم الروح. ما هي إلا حياة واحدة في درجات كبيرة التفاوت تصل بين الأطوار العلوية والسفلية، إنها ليست حجرات محكمة القفل.

إنكم لا تصعدون من طبقة إلى أخرى، أنتم تنمون وتتطورون. الأسفل يفسح للأعلى. تموتون وتولدون مرة ومرات. إنكم لا تفقدون الجسم النجمي كما تفقدون الجسم المادي تماما، وإنما هو يصير أكثر شفافية وتطهيرا عندما يسقط عنه الجانب المنحط.

هذا هو الموت.. لأن معنى الموت في الحقيقة هو التحول والبعث، وخروج الأعلى من الأسفل. إنا نجد صعوبة دائما كلما أردنا تفسير عالمنا الروحي الذي تحرر من قيود عالمكم المادي بحدوده المكانية والزمانية. إن السفلي لا يمكنه أن يدرك العلوي، والمحدود لا يمكن أن يحوي غير المحدود، والأقل لا يمكنه أن يقبض على الأكبر. وإنما بالمجاهدة فقط يمكنكم أن تزيدوا من سعتكم للفهم).

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة الأنبياء -104
2 سورة يس -79
3 سورة الإسراء -71
4 سورة طه -72
5 سورة طه -72
6 مقولة صوفية.

(١٦)

العقل أصل الدين

حديث الجمعة

١٩ صفر ١٣٨٠ هـ - ١٢ أغسطس ١٩٦٠ م

أستغفر الله وأتوب إليه عن نفسي، وعن عقلي، وعن روحي، وعن وحدتي. أستغفره وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب. أستغفره وأتوب إليه. وأشهد أنه الموجود الحق، أينما نولي فوجهه، وأيما نفعل ففعله. أستغفره وأتوب إليه. وأشهد أن لا وجود لغيره، وأن لا شهود لسواه. ما عرفه غيره. ما عرفه إلا من وحده فدخل في وحدانيته وكان مظهرا من مظاهر وحدته. أستغفره وأتوب إليه وأشهد أن الأمر بيده، وأن لا إرادة إلا إرادته، ولا نفاذ إلا لحكمه. لا حول ولا قوة بغيره والحول والقوة له.

أستغفره وأتوب إليه مؤمنا بوحدانيته، مستسلما لقدرته، طامعا في رحمته، حيا بمغفرته، راضيا بمنته، خائفا برهبته.

إن النفس أيما كانت طبيعتها من التراب أو من النار، من الظلام أم من النور، لا تعرف نفسها غيره، ولا تجحد معناه فيها، وقيامها به، وظهوره بها.

وإن الروح وهي رقي النفس في معارجها، وتطور النفس في مسالكها، لا تعرف غيره، ولا تعرف لها وجودا غير وجوده، ولا تنكر على نفسها شهودها له في شهودها لمعناها منه.

فالنفس في طريقها والروح في معارجها وإن اختلفت اتجاهاتها، لا ينكران على الله فيهما. وعدم إنكارهما على الله فيهما إنما هو أمر في طبيعتهما لا يثابان عليه، ولا يجازيان به، ولكن مسئوليتهما تقوم عن فعلهما بما عرفا من الحق فيهما.

ويختلف عنهما العقل. فإذا سألته من أنت؟ قال أنا لله عبده. لا يقول مقالتهما. إذا سئل أحدهما: من أنت؟ قال أنا الله وأنا للوجود وجهه. أما العقل فمقالته تعريفا عن نفسه "إني عبد الله".

فإذا شَهِدَ النفس أو الروح لم ينكر على أحدهما ولا عليهما وجها لله الذي هو عبده. ولكن عظمته في الله أنه عبده لهما، وأنه عبده إليهما، ففي عبوديته لهما طاعته وإسلامه، وفي عبوديته إليهما رقيه وشرفه ورسالته.

إن العقل بعبوديته لله يُدبِر مع النفس، ويُقبِل مع الروح. وهو في إدباره مع النفس طائع لربه. وهو في إقباله مع الروح طائع لربه. وهو في رسالته إليهما، وفي هذا شرفه وفي هذا عظمته وإلى هذا غايته. يتوحدان معه وقد توحد معهما فيحمل إليهما رسالة الوحدانية مع الوجود ليتوحدا معه فيشهدا معناهما في الأكبر من الحق في وحدانيتهما معه، وقد كان عبدا لهما فصار أمرا ربانيا إليهما. وكان عبدا لهما فصارا عبدين له فيه فعرَّفهما ما عَرفَ، وما لهما به عُرِف، وما بهما فيه تواجد.

إن العبد هو عين الرب، وإن الرب هو عين العبد، وإن الله من ورائهما بإحاطته، وإن الله من ورائهما بسعته وعظمته، وإن الله من ورائهما بإطلاقه وقدرته، وإن الله من ورائهما بشرف قربه وبشرف بعده.

إن العبودية والربوبية وصفان في الإنسان، ووصفان للإنسان، يقوم بهما، ويقوم لهما، ويقوم بالعقل عليهما.

إن شرف العقل في الحقيقة لا يدركه إلا عاقل، ولا يعقله إلا عارف، ولا يقوم به إلا واصل، ولا يشرف به إلا مُوحد.

إن محمدا وهو يقول (العقل أصل ديني)[1] .. إن محمدا وهو يُعرِّف أن العقل أفضل وأعظم وأكرم وأشرف ما خلق الله، يصل في قضايا الإنسان إلى أعماقها، ويرتفع بقضايا الإنسان إلى سمواتها وأسماكها.

إن العقل الذي يدبر هذه الدنيا، ويدبر فيها، ويدبر منها، ويدبر لها، ويدبر عليها فيكشف خبايا هذه الطبيعة.. يكشف غرائز هذه الطبيعة.. يكشف صفات هذه الطبيعة.. يكشف إمكانيات هذه الطبيعة. وبما أودع الله فيه يوجهها، ويتحكم فيها، ويسودها، ويستذلها، ويستعملها عصاة في يده لهدم نفسها، ولإزالة قيامها، ولتغيير مظاهرها، ولإخراج بواطنها طوعا منها، وكرها لها.

هذا هو العقل.. هكذا يفعل.. فهلا تعقَّل الناس أمر العقل وعرفوا أنهم في طفولة عقولهم؟ لا بل ما زالوا في حيوانية عقولهم.. في حشرات عقولهم.. إنهم لم يرتقوا بما فيهم من قوى الوعي والعقل في معارج العقل حتى يكون شرف الوصف بالعقل لهم فيقال عنهم العقلاء.

وإن حقائق الله، لا يعقلها، لا يمسك بها، لا يملكها، لا يحيط بها، لا يمسها، إلا العاقلون. وما عقل العاقلون ووصفوا بالعقل قبل أن يعقلوا بإرادتهم لعقل كبير في شرف انتظارهم يطلب أن يعقلهم ليعقلوا، وليشرفوا بوصفه، وليقوموا باسمه.. وما الكون إلا رسمه.

إن الإنسان وهو يتكلم عن نفسه وجها لله، يمشي به مُكبا عليه وهو الوجه النافر، وهو الوجه الشارد، وهو الوجه المُجافي، وهو الوجه المارق، وإن كان الله من ورائه محيط، وإن كان الله عليه قائم، وإن كان الله أقرب إليه من حبل الوريد...

ولكنه عليه قائم بما كسب.. بما عمل مثقال ذرة يعمل من خير أو من شر.. إنما هو به لنفسه عليه حسيب. ما ظلم إذ يعمل ربا على نفسه قائم، أو إلهاً بنفسه بصير، أو حقا أقرب إليه من حبل الوريد. فما ظلم فيما فعل إلا نفسه.

وإن الروح المدانية، وإن الروح المقاربة، وإن الروح وهي لله طالبة.. تقوم بالله وتشهد معناها من معناه. تسلك مسالك العروج وهي في معناها من أناها في مرتقاها مسئولة عن عملها. ما تعمل من ذرة من خير أو من شر تراه بنفسها عين نفسها. فهي عين قيامها وعين فعلها. فإذا غرها مرتقاها، وغرها من معناه معناها، وغرها ما أفاض عليها من نوره، ومن مكنته، ومن قدرته، فاستغلتها لنفسها، ولم تنكر في الله على ذاتها، ولم ترَ بالله معناها فيمن فارقت من زوج أو ولد أو من صديق أو بلد، فكرت على نفسها، وعبدت نعمتها، فقد سقطت من رفعتها، وردتها قدرته أسفل السافلين ممن علت حتى تشهد ما أغفلت، وتعرف ما تركت، فلا تعود إليه في ضيقها، ولكن تعود إليه في سعتها باتساعها لرحمته، واتساعها للناس من أهل غفلته، وحملها للناس من أهل طاعته.

أما العقل فله الشرفان، وله العظمتان، وله النفسان، وله الروحان. يماعي النفس والروح فيعلم منهما ويتعظ بهما. يتخلص من سقطاتهما وينتفع بصدقهما ويقظاتهما. فإذا قام قام كاملا. وإذا خمل وهو لا يخمل وقد صحب عاملا.. عاملا مع النفس، وعاملا مع الروح ولا مسئولية له ولا مسئولية عليه في مصاحبتهما، ولكن المسئولية عليه أن لا يعي في صحبتهما فيتأخر في نضجه، وفي كماله، وفي تطوره.

إنا وإذ نتحدث إليكم في قضايا النفس والعقل والروح إنما نتحدث إليكم في قضاياكم. نتحدث إليكم في قضاياكم في أنفسكم، نتحدث إليكم في قضاياكم في جماعاتكم، نتحدث إليكم في قضاياكم في أسركم، نتحدث إليكم في قضاياكم في تحابكم وتباغضكم، في التئامكم وتنافركم، في همتكم وفي تكاسلكم.. إنما هي قضاياكم اليومية، وإنما هي قضاياكم الحالية الراهنة، إنما هي قضاياكم في دنياكم، إنما هي قضاياكم في أخراكم، إنما

هي قضاياكم في دنياكم وأخراكم في وحدتهما، تتناوبانكم ما بين ليلكم ونهاركم. تموتون مبعوثين في أخراكم بمنامكم، وتنشرون مبعوثين من أخراكم من منامكم بفجركم وصباحكم من يومكم.

تتحاسَبون إن استيقظتم في نهاية عملكم، وتتعظون إن استيقظتم في بداية عملكم. إنكم ما بين الليل والنهار في موت وحياة، وإن الموت الذي تذكرون، والبعث الذي تنتظرون، والحشر الذي تتجاهلون فتزعمون، والساعة التي تجهلون فتنكرون، والقيامة التي تقومون وتجهلون.. كل ذلك أنتم فيه قائمون وبه تقومون. وما الدين إلا أن تتذكروا ذلك فتستيقظوا، وتعملوا فتفيقوا، ومن سبات تستيقظون، ومن منام تقومون.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، أيها العَالِمُون.. وأيها الجاهلُون. إن هذا في حياتكم قانون تنكرون رغم أنكم تلمسون. أفبقول غيركم تفكرون، ولرأي الغافلين تستجيبون؟ فإذا قيل لكم أيقظوا عقولكم تدركون، وقوموا من منامكم تنظرون، وليتم مدبرين، وسِمعتُم قالين، وجادلتم نافرين، وظاهَرتُم قول الحق، تجابهون من رب العالمين.

إن الذي نقول خطير على بساطته، وبسيط على خطره. لو أخذه جاد.. لو سمعه قلب صاغ.. لو تفتحت له أُذن واعية، لرأى في نفسه من الله عجبا وأي عجب! ورأى من الله إليه كرما ـ وأي كرم! طابت الحياة عنده وأي طيب! وطاب الموت له ـ وأي موت! وطابت الحياة له ـ وأي حياة!

إن الناس يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. يركنون إلى أنفسهم وهي على ما وصفنا، ويحلمون بنفوسهم أرواحا على ما عرَّفنا، ولكن العقل.. العقل.. العقل.. وهو أساس كل شيء، وهو شرف كل شيء، وهو عظمة كل شيء، وهو سر كل شيء.. إنه في موضع الإهمال والنسيان.

يتساءل المتسائل لِمَ لَمْ يكلمنا أحمد فهمي أبو الخير من الآخرة؟ سبحان الله.. وهل يملك أبو الخير أن يتكلم من الآخرة بإرادته أو بمشيئته؟ وهل يملك أهل الأرض جميعا أمر رجل خرج من سلطان أرضهم، وطبيعة أرضهم؟ وهل تكلم أبو الخير وهو في دنياه إلى عالم الآخرة، وأصلح نفسه لذلك، فوقف على قليب سأل أهله: ما ظنكم بالله؟ ماذا فعل الله كم؟ إني رأيت ما فعل الله بي وبكم؟

هل حدّث الناس الموتى واعظين، أو مؤاخين، أو سائلين، حتى إذا ما ذهبوا إلى عالمهم كان من مكنتهم وفي طبيعتهم أن يتحدثوا إلى أهل هذا العالم بما هيأوا أنفسهم له بطلبه وتحقيقه في دنياهم، وقد بعثوا فيها بذلك في عالم الأرواح بأرواحهم فصلحوا له وبعثوا على ما كانوا عليه، فأكملوا أمر أنفسهم في بيئتهم الجديدة، فتكلموا من دنياهم بعد الغياب إلى دنيا هم منها غابوا؟

{وإن الدار الآخرة لهي الحيوان}[2] لمن جهل الحياة من أهل هذه الدار.. وإن هذه الدار لهي الحيوان بدورها، لمن خرج منها بلا حياة، فبعث على ما كان عليه من موت.. لم تبعث فيه الحياة.. فرأى هذه

الدار دار الحياة.. وأصبحت في دنيا حياته من موته دار آخرته يطلبها وينشدها {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}[3].

إن الآخرة والأولى إنما هما دنيان.. إنما هما أخريان.. إنما هما داران.. يتبادَلان الخير ويتبادلان النفع.. إنما هما داران لأهل رحمته، ولأهل طاعته، وللعاقلين لأمر أنفسهم فيه، وللسابحين في ملكوت حضراته، وفي دنى ذاته، وفي جنات دُوره.

إنك لن تتكلم إلى أهل هذه الدنيا من الآخرة إلا إذا استطعت أن تتكلم إلى أهل الآخرة من هذه الدنيا.

فإذا كان فهمي أبو الخير مثلا لم يعمل لهذه المعاني وإن تحدث بها إلى الناس، وإن نقلها من قائليها إلى الناس.. فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه، وأن يهيئ لنا وله سبيل الرشاد، وأن ينبهنا إلى ما فاتنا من أمرنا في دنيانا، وأن لا يجعل تنبيهه إلى ذلك لنا في أخرانا.. ففي ذلك العذاب.. وفي التنبيه له في دنيانا، وفي حصاده في أخرانا النعيم والثواب.

إن الجنة والنار هما ما تقوم فيه من الدور بوصف علاقتها معنا. إن سلطت علينا فهي النار وإن كانت الفردوس، وإن سلطنا عليها فهي النعيم وإن كانت دار الجحيم.. ألم يقل الله {عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[4]؟ ألم يقل الله {اهبطوا منها}[5]؟

هذا هو الفهم الصحيح، وهذا هو التعريف الصحيح بالجنة والنار، وبالأولى والآخرة، وبالقيامة والحشر، والساعة والأمر. إذا عرفناها على ذلك ظهرت لنا على ذلك، فقطعناها وقضينا أمرنا فيها، وقضت أمرها فينا، فتهيأنا لقيام العقل، ولمصاحبة النفس في مسراها في رحلة الصيف، ومصاحبة الروح في مسراها في رحلة الشتاء. وعرفنا الله معنا في رحلة الشتاء والصيف لا نهاية لهما ولا بداية لهما، وأنه لا لون له ولا طبيعة له ولا رسم له. وعرفنا منه وفيه عقولنا، وأرواحنا، وأنفسنا، وذواتنا، وجماعنا، بوحدتنا ووحدانيتنا، فعرفناه في معرفتنا لأنفسنا فشهدنا أن لا إله إلا الله، وشهدنا لمعلمه لنا ومعنا وفينا عقلا لعقولنا، ونفسا لنفوسنا، وروحا لأرواحنا، وجماعا لوجودنا، فشهدنا أن محمدا رسول الله.

هذا هو ديننا، وهذه هي معرفتنا، وهذا هو إيماننا ويقيننا. نصف الله بما يليق أن يوصف به عندنا، وهو لا وصف له.. قديم في فعله وهو لا ينقطع، باقٍ في فعله وهو لا يتوقف ولا فعل له.. خالق لآدم في أديمنا.. باعث لمحمد في بعثنا.. مُلقٍ بكلماته في تكاثرنا.. ظاهرا بأسمائه في موصوف وجودنا في عوالِمنا وفي مفردات عالمنا وفي معارجنا.

بذلك شهدنا أنه لا إله إلا هو فطلبناه.. ووجدناه فعشقناه فأماتنا فيه وأحيانا به.. فعرفناه من ورائنا محيط، وعلينا قائم بما كسبنا، وأنه أقرب إلينا من حبل الوريد، وأنه معنا أينما كنا فسعدنا به، وعتقنا به ورحمنا به، وقمنا به فسعدنا فيه. لا إله غيره شهدناه، لا إله إلا هو عرفناه.

هذا ما جاءنا به محمد، وواصلنا به محمد، وأقام به بيننا محمد، فشهدنا أنه محمد كما قام له وجود، وأنه رسول الله كلما تكشف منه شهود به. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأستغفر الله لي ولكم وللمسلمين.

اللهم اغفر لنا وتب علينا وارحمنا، وتولنا في الكبير والصغير من شأننا، وكن لنا حيث كنا، ولا تؤاخذنا بما به أنفسنا ظلمنا.. وعاملنا بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين، وأيقظنا من غفلتنا بكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين، وخذ بنواصينا إلى الخير، وولِ اللهم أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأصلح حكامنا والمحكومين، ولاة ومتولين، أئمة ومؤتمين.. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

- (إن الصراع الدائم حول المادة أبعد البشرية عن الانفعال بمادتها للانطلاق بما فيها من روحانيتها. وبذلك اشتعلت نار الحروب الشيطانية في مجتمعاتها وبينها. وخبت النار المقدسة في صدور مفرداتها فعاشت في ظلام أنفسها، ولم تشعل مصابيح القلوب في صدورها. إن البشرية إنسانية مقدسة بحكم نشأتها، وهي وحدة في بيتها وأسرتها. أبوها وأمها واحد. الأرض دارها والأوطان غرفها. والأمم أبناؤها).
- (الافتقار إلى الرب الطريق المستقيم للنفوس. والافتقار إلى العبد الطريق المستقيم للعقول. والافتقار إلى الشيء الطريق المستقيم للأرواح. والافتقار إلى الحياة الطريق المستقيم للأشياء. والافتقار إلى الله الطريق المستقيم للإنسان. والافتقار إلى الإنسان الطريق المستقيم لرب الإنسان.)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 عن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ا المحدث: العراقي. وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

2 سورة العنكبوت -64

3 سورة فاطر -37

4 سورة التحريم -6

5 سورة البقرة - 38

(١٧)

الساعة

ورسول معناها وقيام وتجديد ذكراها

حديث الجمعة

٣ شوال ١٣٧٧ هـ - ٣ مايو ١٩٥٨ م

تصحيح التاريخ الهجري: ١٤ شوال ١٣٧٧ هـ

باسم الله، أشهد أن لا إله إلا الله، مرئي وجهه، قائم في الوجود أمره، وأشهد أن سيدنا محمدا رسوله وعبده، مرفوع ذكره، موصول في الناس فعله، حي بهم أثره، قائم بهم كتابه وخبره.

عباد الله في لباس من خلق الله.. هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ (إني وجدت ما وعد ربي حقا)[1]. إن كل ما جاء في كتاب الله وفي حديث رسول الله قانون من قوانين الوجود، فإذا صدق المتابع لرسول الله فيما تابع الرسول عليه، صدق قانون الله على وجوده وحياته استقامة ودعوة ورسالة. فرسول الله ومن تابعه على بصيرة من أمره، رسالة متصلة متكررة البدء والقيام في مظهر متوحدة في جوهر. يبدأ بنفسه ثم بمن يعول، ويعلم أن ما أكرمه الله به في نفسه، أن كل الناس على معناه فيه، من الاستعداد له، والقابلية لتقبله، والاستعداد والأهلية للوصول إليه، فازداد في الله معرفة، وازداد بالله معرفة، وازداد في الله خلقا في كونه من واسع الكون في الواسع العليم، وفي الحقيقة تخلقا بأخلاق الله في معناه قائما بالواحد الحكيم، فازداد وفرة في العلم وبسطة في الحلم، فتأهل واستعد لما له أُعد، وأدرك لمثالية (ما أعطيته فلأمتي)[2]، اتسعت بها دعوته، وشملت منها رحمته، واستقامت بها حجته.

ما أعطيت فلأمتي.

ما أُعطيته فلمن تابعني، ما أُعطيته فلمن عمل بعملي، واهتدى بهديي، وانقاد بقوانين الله انقيادي، فلست بِدعا من الرسل وإن كنت لهم أسوة، ولست بِدعا من الناس وأنا مرتضى الله لهم قدوة، وما خلق الله الخلق إلا ليكونوا عبادا له على ما صرت أنا إليه. فإن أمتي لهي مثالي فهي معناي ممن يتابعني على ديني وإيماني بالمطلق الموجود والقريب المشهود، القائم على كل نفس. عرفته على نفسي قائم.. وعرفت نفسي بيده فاعلة وبما يرضيه منفعلة.

ومن لم يتابعني على ما أنا عليه في متابعتي لمرشدي وربي ومؤهلي، الذي هو مرشده وربه ومؤهله - بمتابعتي - فما هو في ديني ولست أنا في دينه.. دينه على ما صور لنفسه عن معبوده، فلا الحق ينشد ولا بالحق يقوم. فمن كفر بما آمنت به فليس في ديني، ومن آمن بما آمنت به فهو في ديني وفي يقيني وفي ربي وفي إلهي.

وأنا في ديني، على نمو، وعلى وعي، وعلى ترقي، وعلى إدراك، وعلى يقين، يتزايد ولا يتناقص، ويتواجد ولا ينعدم، ويحيا وينمو، لا يفتر ولا يندثر. ومن ليس فيما أنا فيه من الله، فإنه فيما هو فيه من نفسه، متناقص في وعيه، متناقص في معاني حقه، متخلٍ عما فيه من الصدق وعن معاني إدراكه لمعناه من الخلق بروح الحق، على تناقص وتناقص إلى هلاك محقق. (كل الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم)[3].

باب الدين هو العلم، وباب الرقي هو العمل، وباب الحياة هو الصدق، وباب العروج هو الصفاء. ومحمد عليه السلام والصلوات فتح لنا تلك الأبواب على مصاريعها، وقدم لنا الحقيقة، وهيأ لنا أسباب الكسب فيها، وأسباب الحياة، على قطوف دانية، وحذرنا الهلاك على أمر غريزي مرغوب فيه قائم فينا، وقائمة مثله بيننا. فإذا استقامت نفوسنا، واستقامت عقولنا، ونمت وانطلقت أرواحنا، استقام بذلك ديننا.

وإن الناس على ما هم عليه نخلق، على طبيعتهم من بداية الخلق. لا يختلف لهم خلق ولا يضطرب في أمرهم خلق. إنهم أرض الحق لمن تحقق. وإنهم معدن بناء الإنسانية لمن تفتحت له أبواب حضرة الإنسان. فمن إنسانية الناس إلى إنسانية الله ظاهر لباطن، من إنسانية الشيء إلى إنسانية المعنى والروح.

لا غيب ولا جديد. يسعد في ذلك من يسعد، ممن يَشْغَل عقلَه وهواه فهمُ الحقائق، وفهمُ الحياة، يبدأها من إناء حسه، ومن جذوة نفسه، ومن نور عقله، ومن قدس روحه، ومن شمول ذاته، ومن نبع قلبه بوجود على مثال من مشهود، وقيام في قيام من موجود.

فهيكل قيامك كإنسان هو كتاب الإنسان الكبير. فيه تقرأ كتاب نفسك، وبه تقيم حساب حسك. لا تنتظر أن يقال لك ذلك في قابل من حال حياة، يقوم بك على كره منك. واجعل من هذا حالك القائم بك. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[4]، وانتفع بهدي رسول الله إليك.. ورسول الله من نفسك إلى نفسه في نفسك. فأنت مع رسول الله. وأنت مع الله ما استقمت. والله معك ورسول الله معك، وأنت معهما ما استحييت، حقيقة واحدة لا تنقص ولا تتجزأ. ولكنها تتشتت وتتوحد، فهي اليوم في ذات تجمعها فيك بعثت بك. وقد تجمعت من شتات في عالم سبق إلى دار الجماع، أو في برزخ الاجتماع.. ثم

هي بعد ذلك إلى شتات. تسترد السماء ما ساهمت به فيك، وتسترد الأرض بباطنها ما ساهمت به فيك، وتسترد الأرض بظاهرها ما ساهمت به في نبات قيامك بنبات لها من قيامك في بنيك، وأنت مع شتاتك هذا لا تفارق أحديتك.. بل تدرك به واحديتك.

وإن أحدية الله مع ما خلق، وإن أحدية الله الخالق، مع وحدة الكون المخلوق، في قدس التنزيه له والتعالي به، أحدية لا تتعدد. فالخالق وما خلق، والموجود وما أوجد، أحدية في معناهما هما معنى الواحد الأحد الفرد الصمد. فالقول بظهور الخالق لخلقه هو القول بتجليه، بإظهاره لخلقه وذلك في علم الخلق عنه بقيام الحق منه في معانيهم من إحاطة بعلمه فيما علَّم.

كذلك الرسالة.. فرسول الله، وعبد الله، ولسان الله، ويد الله الممتدة المبسوطة، ووجه الله المشرق، لوجه الله في قيامك -والله من ورائك ومن ورائه محيط - إنما هو الحق لحقائق الخلق وجها لوجه.

فرسول الله مع من تابعه على معناه، وقام في الناس بتكاثر مبناه، متخلقا بخُلقه، داعيا بدعوته، متحدثا بحديثه، مشرقا بنوره، كتابا قائما، عين كتابه، ووجها مشرقا عين إشراقه، وعبدا ويدا ممتدة عين يده، ورحمة مدانية عين رحمته، لا تعدد بينهما، وإن تعددت الوجوه. ولا تباعد بينهما، وإن تباعدت الأيام. أمة واحدة، وإن بدت اختلافات الأوساط وتباين البيئات وتباعد الأوطان. فهذه الرسالة الجامعة إنما هي حقيقة واحدة لا تتعدد. {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}[5] {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[6].

أدعو إلى الله. إلى الله أدعو بالله. أدعو الناس إلى الله في أنفسهم. الناس من الله في ظهوره وتجليه. أُعرفهم قربه فيهم، مرسلا من الله في أنفسهم والذي هو فيهم، هو أقرب إليهم من حبل الوريد، والذي أدركت أنا أن الحق منه هو مني قاب قوسين أو أدنى، وشعرت أنه في إخواني من خلقه كذلك، قاب قوسين أو أدنى، وأنه يكشف لهم ذلك الذي كشف لي ما عملوا لذلك متابعين لي عليه.

عَرَّفني وكنت جاهلا، وأخذ بيدي وكنت ضالا، وأطعمني من نوره وروحه وكنت جوعانا، وراوني من ماء الحياة وكنت ظمآنا، ضاعف حياتي بمحو مماتي، وضاعف أضعافا مماتي عني ووقاني تضعيف الممات مني، فضاعف الحياة أضعافا، فرواني من ماء الحياة لا يتناهى ولا يتجافى.

وها أنا أدعوكم إلى ما أدركت من أمر أنفسكم ـ فيما أدركت من أمر نفسي فيه ـ تعالى الله عن الوصف، وجل عن الإحاطة به، كما عز على النوال من المثال منه، عزته عن اللحاق أو البعد والقرب. دائرة سلطانه شاملة، وإرادته نافذة، وفعله مستديم، وأمره مستقيم، وحكمته بالغة، وإمكانه ظاهر.

هذه هي حقيقة تعاليم محمد في رسالته، وهذا هو جوهر تعاليم حقه في رسوله. ها نحن نسمعها اليوم من روح الرسالة على صفاء، كما سمعها منا على صفاء آباء وأجداد على تجدد من وجه محمد في الناس، أسفر به في رفق، وظهر به في حنان، وأشار في رأفة، وانبسط في الناس على إرادة منهم له، وإرادة منهم لله، ولكن الناس يريدون ذلك ظاهرا للكافة وموجودا للعامة، وقليل من عباد الله الشكور، في قانون الخالق الغفور.

فكيف يكون السفور ولا طالب؟ وكيف يكون الإشراق ولا مصباح؟ وكيف يكون الماء ولا إناء؟ ولكن الناس يريدون ويلحون، يطلبون ذلك، وما يدركون أنهم الهلاك لأنفسهم يطلبون، وقضاء الله يستعجلون، ألم يدركوا أنك أنت من ذكراها. {إن الساعة آتية أكاد أخفيها}[7] ولكن يستعجل بها الذين لا يعرفون ولا يؤمنون. إنها قائمة فاعلة، وإن الحياة بها منفعلة، وليست عنها منفصلة، يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا، والذين أدركوا، والذين عرفوا، والذين حققوا أنهم فيها قيام، وأن الناس في هذه الحياة عنها نيام، يشفقون منها ويعلمون أنها الحق، ويعلمون أنها أمر الله، ويعلمون أنها الفصل في قضايا أنفسهم، في قضايا آبائهم وأجدادهم، هي في السماء يوم الوعيد، وهي في الأرض اليوم الجديد.

إنها لمحة الفصل. إنها السماء في رجعها، وإنها الأرض في صدعها، إيذانا بظاهر من داعٍ لا عوج له، وإن داعيا لا عوج له هو دائما بينهم قائم، ومعهم دائم مسالم، يمشي على الأرض هونا، ويتسع بعلمه لجهل الجهلاء، ويتسع بحلمه لغباء الأغبياء، ويتسع بحكمته لأخطاء الضالين، ونزوات السفهاء والمضلين، هو بينهم على دوام، وإن الله حافظ فيه ذكره، وإن الله مقيم به دواما أمره، على ستر من الحال، ويسر من المقال والمثال، لا يحثون عنه معرفة فيه أو جهلا به.. لا بل حتى إذا وجدوه وعرفوه، كانوا على زهدهم فيه يطلبونه بألسنتهم، ويظاهرونه بقلوبهم وأعمالهم، يتحدثون عنه بألسنتهم، ويمتنعون عن ماء الحياة معه بعقولهم وبذواتهم، لا كرامة لنبي في وطنه، (فما ملكت اليد زهدت العين فيه)[8].. وهذه طبيعة الخلق، {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}[9].. قل ما عند الله.. قل ما عندي.. قل ما أقدم لكم.. قل إن موائد الحق معي، قل إن حوض الحياة أقدمه لكم.. قل إن يد الله تنبسط في يدي منبسطة لأيديكم.. {قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة}[10].. ولكنهم يحرفون الكلم عن مواضع العمل به، وعن مواضع القيام فيه، وعن مواضع الانتفاع منه في طريق الحياة، هم لا ينسون نصيبهم من الدنيا ـ دنيا المادة والفناء ـ وليس لهم من الدنيا نصيب، إلا ما تزودوا به في سفن ذواتهم، تمخر عباب بحار الحياة معلومة ومجهولة، ليس لهم نصيب من الدنيا إلا ما تزودت به مطايا ذواتهم في حيوات أطوار في طريق الحياة، امتطوها للمحة من لمحات في حياتهم

الأزلية، لا بداية لها، ولا نهاية لها، فليس في دنيا الفناء ما يصاب. ماذا عند الفاني إلا الفناء؟ كل إناء ناضح بما فيه.

وإن حياتهم بمطايا ذواتهم ما بين المولد والموت مولدا معلوما بدايته، غير مجهول أصله، لحياة لا تجهل نهايتها ما تكون، إنها منتهية لغيبة بموت لا شك ولا ريب فيه، فهم ما بين دفتي المولد والموت في أزلية الحياة وديمومتها إنما يعبرون لمحة من لمحات الأزلية سمتها الأديان الساعة. فأنتم بهذه الحياة في ساعتكم من الحياة الأزلية (لكل منكم ساعة)[11]، إن أدركتم أمركم فذاك، وإن جهلتم فإن جهلكم لا يغير من الأمر شيئا، وهو لن يدوم ولكن سيمحى بقدر، قد يسعدكم ما يتكشف من المعرفة بزواله، وقد يشقيكم ما يتكشف من المعرفة بمحوه، تحمله لكم سكرة الموت.

فأنتم إلى دار لكم فيها جزاء، من دار أنتم بها ولكم فيها ابتلاء، وما دخلتموها في الحقيقة إلا بصفحات مسبوقة من أعمالكم، أنتم ميسرون بها لما تقومون فيه. ولن تربحوا منها إلا ما صاحب أفعالكم فيها من نوايا، فإن صاحبت هذه الأفعال والنوايا تأملاتكم للمعرفة وكشفكم للحكمة فأنتم في بعث، وأنتم في هذه في آخرة من قديم تواجدكم، كما أنكم اليوم بالنسبة لقابلكم من حياة، إرادة ولوح وقلم، تمحون قديما من الصفحات من كتاب وجودكم، وتزيدون فيه صحائف من الخير والسعادة والهناء في قابل من الحياة لكم على ما ترضون لأنفسكم ـ فليس حاضركم إلا غيب مستقبلكم ـ اعتقدوا الله حكيما راحما واسعا عليما. إنه لم ينسخ لكم حياة ليدخلكم في حياة أخرى أسوأ منها في حيوات الإنسان، لأنه أرحم بكم من أنفسكم، وأولى بكم من أنفسكم، فأنتم إلى أفضل دائما. ولكنكم إذا دخلتم الحياة الروحية ثانية، بما كنتم عليه في السابقة بلا مزيد، ففي هذا كل البلاء وفي هذا كل الجزاء. وإذا دخلتموها بمزيد فتأملوا من الآن قول رسول الله (ما مات أمرؤ إلا ندم، إن كان قد أحسن أنه لم يزدد. وإن كان قد أساء أنه لم يقلع)[12]. فأنتم في حياة من الليالي محجوبة عن الحقائق، يضاعف الله لكم فيها الجزاء عما تقدمون فيها من حسنات، وإنه لا يضاعف لكم فيها شيئا عما تقدمون من سيئات بل يعدكم المغفرة.

إذا نحن عرفنا ذلك استقامت حياتنا، وأمكن أن نمضي فترات من يقظة الوعي، أو قيام الذكر والتذكير بالله، تقوم فيها صلة المحبة والثقة بيننا وبين الله، لأننا ندخل على الله بوعينا، وعلى معرفة، وعلى علم.

هذا هو جوهر الدين في الحقيقة، وها نحن كما ترون في مثل هذه الجلسات قليل، وقليل من عباده الشكور، نعم قليل ما هم، حتى لنكاد نكون في هذا الخضم البشري في حكم العدم. إن هذا أمر مبشر لنا في هذا الطريق ومسعد لنا في الحقيقة، وإن أحزننا في الواقع من الحاضر فيما نحب لإخواننا في البشرية مما أحببنا لأنفسنا.

إن قانون الله {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}[13] قائم، ومزيد لنا في هذا ننتظر، وقد ألقي في نفوسنا أننا قد كذبنا من الناس، وما قام لنا هذا فقد بدأ حظ الحياة، {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين آمنوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى}[14] فإن هدى الله بنا فيمن هدى واحدًا فقد تم لنا النصر، وخلد لمعنانا العمر، فكيف وقد هَدت روح الله بنا الكثير!

نسأل الله أن يهيئ لنا فرص الحياة، وأن يأخذ بيدنا، وأن يوحد صفوفنا، وأن يجمع قلوبنا، وأن يتبعنا لرسوله وللأرواح المرشدة من أهل أمره ورسل حضرته، وأن يهيئ بنا سبيل الحياة للغافلين، وأن يجعل منا مفاتيح لقلوب الطالبين، وأن لا يجعل منا مغاليق لقلوب العباد عن رحمة رب العالمين، وأن يرزقنا الحكمة والرحمة والرشاد. إنه قريب سميع مجيب للدعاء.

ونسأله تعالى أن يولي أمورنا خيارنا برحمته، وأن لا يولي أمورنا شرارنا بعدله بما كسبنا جزاء لنا بما فعلنا، وأن يأخذ بيدنا، وأن يعاملنا برحمته وبره، وأن يعافينا من إقامة قسطه وعدله، وأن يكون لنا بما هو له أهل من رحمة، وأن لا يكون لنا بما نحن له أهل من عدله، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، روادا ومرودين.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 حديث شريف، جاء في السيرة النبوية لابن إسحاق "وقف رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على أهلِ القليبِ فقال يا أهلَ القليبِ هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا فإني وجدت ما وعدَني ربِّي حقًّا قالوا يا رسولَ اللهِ هل يسمعونَ ما تقولُ؟ قال ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم ولكنهم اليومَ لا يجيبونَ". أخرجه ابن أبي عاصم في ((السنة))، والطبراني باختلاف يسير. كذلك البخاري ومسلم وأحمد وابن حبان بألفاظ مختلفة.

2 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

3 حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

4 سورة الذاريات -21

5 سورة الأنعام -153

6 سورة يوسف -108

7 سورة طه -15

8 مثل شعبي متداول.

9 سورة الجمعة -11

10 سورة الجمعة -11

11 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

12 حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.

13 سورة الأحزاب -21

14 سورة الحديد -10

(١٨)

متى الحساب؟ وما العقاب؟ وكيف الصلاة؟ وأين القبلة؟

حديث الجمعة

٢٠ شوال ١٣٧٧ هـ - ٩ مايو ١٩٥٨ م

باسم الله، أشهد أن لا إله إلا الله، روح الوجود ومشاهده، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، قيام الحق في الناس وموائده.

أحمد الله لذاته منه به جديرة، ولنعمائه دانية وفيرة، وأذكر بالشكر فضله ورعايته، وحنانه ورحمته، وأسأله منه فيه المزيد. والصلاة والسلام منه على نبيه العديد، وعلى آله الوليد، وعلى متابعيه على بصيرة وتجديد، صلاة بدوامه دائمة، وبدوام رحمته قائمة، وبصمداني وحدانيته تواتينا، صلاة بها من شرور أنفسنا ينجينا، ومن شرور الأشرار من خلقه يقينا، صلاة يصلنا بها عاملين بركب رحمته، مرحومين بأهل ساحته، من أهل رضوانه، وأهل عزته.

خلق الله.. وعباد الله.. ووجه الله..

اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، اذكروا الله حين تصبحون بحياة، وحين تمسون إلى حياة، واعلموا أن الله معكم أينما تكونون، وأن الله مشاهدكم على أية حال تتواجدون، ولا تظنوا بالله الظنون، وأحسنوا الظن بالله يحسن حالكم، وأحسنوا الظن بالله يسعد مآلكم، ولا تستخفوا من الله وأنتم في معية، ولا تجاهلوا الله وهو لكم ظهير، ومن كبرياء أنفسكم لكم مجير.

واعلموا أن قدرة الله غير قدرة الناس، وإن كان الناس ليسوا غير الله، فلا تستخْفوا عنهم حقا بخير لهم بكبرياء تبذلونه، ولا تستخفوا عنه معيتكم بوزر عنه تكتمونه فلا تستغفرونه، ولا تذكرون الله بألسنتكم وليس لهذا الذكر موضع في قلوبكم، فتسيئون إلى أنفسكم وإلى الناس بالتفريق بين معاملة الناس ومعاملة الله، فمعاملتكم لله يدخلها معاملتكم للناس، ومعاملتكم لأنفسكم.

أحبوا للناس ما أحببتم لأنفسكم من الله، وأحبوا لأنفسكم ما تحبون في أحبابه، فإن الله يرتضي ذلك منكم، ويحب ذلك لكم. وتواضعوا بعضكم لبعض إيمانا بالله في الناس، ففي التواضع لله رفعة، وفي الاستكبار معه هلاك وذلة.

واعلموا أن الله خلقكم سواسية كأسنان المشط، وأنه مستعملكم كل فيما خلق له وفيه أقامه، وأنه بواسع قدرته متسع لكم جميعا، وأنه بواسع رحمته راحم لكم جميعا، وأن ما تشهدونه من الفوارق بينكم، متضائل ولا وجود له، في حال إدراككم لتواجدكم في واسع لانهائي وجوده.. جواد لا ينقطع عنكم أزلا وأبدا جوده.

واعلموا أن الله مقلبكم فيما أنتم فيه، ومغير لأحوالكم، في حيوات متعاقبة متداخلة متكررة متعددة، فحياتكم الراهنة ليست أولى حيواتكم، ولا آخر حيواتكم، ولكنها حلقة من حلقات، ولمحة من لمحات متصلة إلى الأزل وباقية إلى الأبد، حياة من حيوات متعاقبة من قديم لا بداية له، ومتعاقبة في باق لا نهاية له، ما بين حياة روحية جسدية، وحياة روحية عارية ـ قد تجتمعان لطالب حياة، وهما مجتمعتان في الدعاة والهداة.

إن حياتكم الراهنة لحيواتكم القادمة قلم وكتاب، ولحيواتكم السابقة قيام وحساب، وإن الحساب لحيواتكم القديمة لا يقوم إلا على الأبدان والظروف المحيطة بها، وإن قسط الحياة الظاهر لا يمس شغاف القلوب ولا يقترن بها، وإن القلوب مستقلة عن الأجساد تدخل إلى هذه الحياة كتابا غير مرقوم، من صحف بيضاء تكتبونها أنتم في ظل تجاربكم من الحياة الراهنة، تكتبونها بسعادتكم أو بشقاوتكم لحيواتكم القابلة، بما تعقدون العزم عليه من نوايا، وبما تودعون بإدراكات عقولكم في قلوبكم من طوايا، فاعقدوا العزم بعقولكم على طلبه، وسودوا هذه الصحائف بالثناء عليه، والعرفان له، والتقدير لعظمته، والشكر لنعمائه، حتى تبرز هذه الصحائف وتنشر في حيواتكم القابلة، على طبيعة ظاهرة في حياة قائمة، على مثال مما تحبون اليوم، وعلى ما تشهدون في أحبابه وأوليائه، بمثالهم بقديم كتبوه ومشاهد فيهم شهدوه.

وإن ظاهر الحياة تشهدونه، هو مرآة لباطن الحياة ترجونه، ترجونه عرفانا أو ترجونه جزاء وإحسانا، أو تزعمونه خيالا ووهما وبهتانا.

أما الأبدان فإنها تدخل هذه الحياة بكتاب مرقوم وأمر معلوم في حياة محجوبة من رحمته أن لا تدوم. وفي مكنتكم إنهاؤها حجابا ونوعا، ومواصلتها سافرة بحقيقتها منتفعا بها بطريقتها.

إن الساعة التي تذكرون، وعنها تتحدثون، ومنها تخشون، إنما هي حياتكم الراهنة إذا تكشفت لكم من حاضركم في يومها، أو تكشفت في حياة قابلة من هذه بعثا في غدها، فأقيموا لأنفسكم ساعتكم بإرادتكم،

وحاسبوا أنفسكم اليوم قبل أن تحاسبوها في قابل من غد. حاسبوها من حاضر، وقوموها على ما أراد الله من نظام إحيائها بذكره، والصلة بأهله، والارتباط بأعلامه، والطواف ببيته، والدخول في عباده، والطاعة لأمره، والتجنب لنهيه، والإنكار على غيره، والتواجد بسره وجهره.

إن شمس الله مشرقة في صباح حياتكم ما استيقظت نفوسكم، غاربة عنها ما غفلت. وإن شمس الله إذا أشرقت فلا ليل لها، وأنه لا نهار لكم إلا ما أشعلتم أنتم من مصابيح قلوبكم بنوره في مشكاة صدوركم فدخلتم في نهار لا ليل له، أو حجبتم قلوبكم عن الاشتعال بنوره، فدخلتم في ليل لا نهار له. ومن دخل في نهار الله فلا يخشى ليله، ومن دخل في ليل الله فما ظلم إلا نفسه، وأنه في ليله، وفي ظلمات نفسه وفي انطوائه على معناه وحسه، يعمه بما هو فيه عن كل ما يرتجيه، ويزداد ضلالا على ضلال، وظلاما على ظلام، حتى يرى الله فيما يرى من سراب نفسه المثل الأعلى عنده فتنة في اسمه، مقيدا برسمه، بعيدا عن الواسع العليم ورحمته، يتزايد في معناه بغفلته متباعدا عن الله باسم تنزيهه، وعن ساحة الحق بوهم حضرته.

ومن دخل في نهار الله، وأشرق قلبه بيوم الله فقام بنور الله، اطمأن إلى الله وتزايد نوره إلى كمال لا ينتهي، وإلى جمال لا ينقضي، وإلى قرب من الحق، وتقارب منه له، ينعم به نعماءً دائمة متزايدة، لا ينتهي في قربه وتقاربه معراجه، ولا تنقضي له بتحصيل نعمته نعماؤه وأغراضه، ولا يتوقف في تزايده عرفانه، ولا ينقطع بتحقيق رجاء له في الله رجاؤه وافتقاره.

ما الصلاة وأين القبلة؟

يا أيها الناس.. إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، إذا نودي للصلة من قلوب مشرقة بنور الله عليه مجتمعة، وجودها يوم من أيامه، وظهورها شمس من إشراقه، وإفاضتها ماء حياة من سمائه، واستقبالها قبلة موضوعة دنت فتدلت فوضعت ثم رفعت لبيوت مرفوعة بعد خدمتها، رفعت لحقيقتها، ووضعت بعظمتها من رحمتها في دورة دورية منتظمة.

يا أيها الناس.. قابلوا بوجه الله فيكم ـ وهو من ورائكم محيط ـ وجه الله لكم ـ وهو عليكم حفيظ.

إن الله دواما لكم ظاهر، بنعمته عليكم لا تنقطع، وبهديه لكم يتجدد ولا يفتر، وبإحيائه لموات أرضكم بقوانين فعله لا تتعطل، ولا تمحى ولا تبطل.

ها هي آيات الله تترى، ها هو قرآن الله في الحياة، ها هي آيات الله في أحداث الزمان تشرق بحديث فيه على سنن من فعله، وقائم قديم من أمره.

ها هي سماء الإنسانية تنشق عن ينابيع فضله، وعيون مائه، وها هي أبواب السماء تتفتح عن فيض رحمته، ها هو ماء الحياة يتجمع في سماء أرض البدء، ها هم أهل السماء يسقط ما بينهم وبين أهل الأرض من أسوار الحجب، ومن قيود العجز والإعجاز فيجتمعون أبناء وآباء هياكل من نباتها، وأرواحا من أمره على روح من أمرها.

ها هم أهل الأرض يستشرفون ويتطلعون إلى الرفيق الأعلى من أهل السماء، فيتعرفون إليهم بإخوان لهم في الأرض، تحجبوا عليهم زمنا فيأخذون عنهم عقلا وقلبا، ويلازمونهم متابعين روحا وجسدا إلى ساحتهم وعوالمهم، فيجتمع أمرهم ويستقيم رشادهم.

ها هي نفوس تتخلق، ها هي رقاب تعتق، ها هي رقاب تفك، ها هي عقول تشرق، ها هي عقول تسبح، ها هي السماوات والأرض دارا واحدة تبعث، وبيتا واحدا يتواجد، لكرسي واحد ينصب، من كراسي الله في عباده لا تحصى ولا تعد.

وها هي النفوس تتهيأ، ها هي أسرار القلوب تتكشف، ها هي النفوس تتزاوج، ها هي الوازرة تنبعث، ها هي الموءودة تنتشر، ها هي العقول تنطلق، وها هي القلوب تتحقق، وها هي النفوس تتجدد، ها هم طغاة الأمس في الركب يعودون مع هداته، وها هو الإنسان يتجمع بقديمه ولداته.

إن الحياة تطيب اليوم لمن يحيا، ولمن يطلب الحياة بصلة السماء.

إن الحياة تنشق عن حقائقها سافرة، فمن لا يعرف أسباب الحياة من قديم حيواته ممسوخا لا ستر له، أعور لا هدي له، وعمن عرف الحياة ممسوحا لا وزر له، مشرقا لا خفاء له، وممن أنبتت الأرض ظلاما لا إشراق له، بين سعيد ومنظر.

إن الناس.. إن النفوس ترى السعادة في السلطان، وترى السعادة في المال، وترى السعادة في الجاه، وترى السعادة في العزة، وترى السعادة في الصحة، وإن هذا فيه حقا سعادة للنفوس والأبدان، ففيه نعيمها وجنتها، ولكنها سعادة في الحقيقة موقوتة بزمنها، وهي جنة في مديد الحياة، موقوتة بأجلها، لا تلبث أن تنقلب على صاحبها حسرة وندامة، لأن النفوس بهذه الألوان من السعادة لا تحيا، ولكنها في زينتها من دناها تستهلك، فتهلك، (حُفت النار بالشهوات وحُفت الجنة بالمكاره) [1]، {وتلك الايام نداولها بين الناس}[2].

فما الجنة؟ وما النار؟ في الحقيقة ليست الجنة إلا الحياة تحياها النفوس في بيت من بيوت الله، ملك من ملك الله، دائرة السماوات والأرض إحداها بيت معد للمتقين تتعرض فيه النفوس الحية لانقضاء أو لابتلاء.

وما النار؟ ما النار في الحقيقة إلا هاوية الهلاك، تختارها النفس لصاحبها تريد أن تستهلكه معها، في طريق الهلاك، تستهويها لذاتها العاجلة بغفلة الأنانية والعزلة عن الحق المطلق والموجود المتجدد إلى بلاء الوجود المؤقت ونعمته.

فحرص الإنسان على أنانيته من نفسه، وذاته وعقله، وروحه وحسه، بقوله ـ أنا ـ عن معاني الحقائق، مع جهله بها، وعدم إدراكه لها وعزلته بأنانيته عنها، وبعده بذلك عن الله موجده، وخالقه، وبارئه، ومصوره، ومهيئه، ومعده لذاته ليكون بها له عبدا، وليكون هيئة للعبودية عرشا، وليكون لمن قام عليه راعيا، كرسيا معدا، وليكون لمن خلقه مجلّي، وليكون لمن أصلحه وجها، وليكون لمن وصله عضدا من ربه، وليكون لمن ربه قدما، فيكون للغيب مظهرا، وعنه ترجمانا وخبرا ومخبرا...

في هذا يدور الدين، وعلى هذا يقوم الدين، وبهذا يستقيم الدين، وبإدراكه يتحقق الإنسان بالدين، من الله ومن اليقين، بإنكار أنانيته مع أنانية الله، وبإنكار وجوده مع وجود الله، وبإنكار روحه مع روح الله، وبإنكار عقله مع حكمة الله، وبإنكار نفسه مع سر الحياة، وبإنكار كونه مع كينونة الله في كونه، على مثال مما يفعل الإنسان مع وطنه من أرضه، أو مع قومه من جنسه، أو أسرته من أصله.

إذا لم تقم وحدانية الله، بلا إله إلا الله، فلا دين، ولا يقين، ولا إيمان، ولا معرفة، ولا سلوك، ولا استقامة، ولا تقوى، ولا خشية، ولا حب، فلا إله إلا الله ركن الإسلام الركين، وحصنه الحصين، وأزل معارج اليقين، به يسعد من يسعد، وبالغفلة عنه يشقى من يشقى، وبالإنكار عليه يسلك طريق الهلاك من يسلك، وبالنفاق معه يضل الطريق من يضل.

إذا لم تقم لا إله إلا الله في إدراكك، وفي ملتك، وفي قيامك في نفسك، وفي قيامك مع أهل بيتك، وفي قيامك مع جماعتك، وفي قيامك مع قومك ووطنك، وفي قيامك مع إنسانيتك وأرضك، فلا دين، ولا إسلام، ولا طريق ولا معرفة، ولا استقامة.

أما أن تلوك الألسن هذا اللفظ، واهمة بالمقال قيامه، وبالترديد الاستقامة، وبالجهر به القيام فيه، فهذا من الضلال وليس من الدين وليس من اليقين في شيء.

أما (الله أكبر) فهي مرحلة لا تقوم إلا بعد قيام لا إله إلا الله، والدخول منها على ساحة الله، وساحة الإيمان بوحدانية الله مشهودا في وجوده، وعباده ورسله. أما الله أكبر فهي معراج أكبر، ويقين أعظم، وسلوك أوفى في الحق وأقوم، برؤية الكون وما منه يرى، ما هو إلا الرسول العبد وما حوى، قبضته يد الحق وفيها انطوى.

إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا، ما ينشئ الله بكم وما ينشئ الله فيكم ـ وأنتم في ليل من وجودكم ـ أكبر مما ينشئ فيكم ـ وأنتم في نهار من حياة أرواحكم ـ.

إن هذه الأرض الطيبة.. إن هذه الحياة الأرضية طيبة في ذاتها لمن استقام، يعقبها قسط من ندامة، ويعقبها قسط من نعمة وسلامة، (ما مات أمرؤ إلا ندم، إن كان قد أحسن أنه لم يزدد. وإن كان قد أساء أنه لم يقلع)[3]، فاحرصوا على هذه الحياة القيمة السليمة، واجعلوها مثمرة طيبة، فإن هذه الحياة هي عالم البداية للحياة أو ما قبل عوالم الحياة.. فابدأوا حياتكم على طبيعة من الدوام، ونسبة إلى الحق بدءا من هذه الحياة. وهي وإن كانت أسفل سافلين من حيوات في الحي القيوم، إلا أن أهلها عمال مجندون للمكلفين لتوسيع الوجود المظاهرين من القوي المنشود.

وإن الحياة لا تبدأ عليها إلا بتجمع على كلمات لله، واستجابة لنداء الله منهم، واستقبال لبيت من بيوت الله بهم وفيهم في اتجاه بالمحبة إليه قبلة لله، يظهرها بعباد له بين خلقه، دواما لرحمته، فيه يجتمعون وبأهله يباركون، وحوله يطوفون، وحوضه يردون.

إن بيوتا لله ترفع مع طائفيها من المنتقلين، وإن بيوتا لله توضع لطوافها مع المولودين ما دامت الحياة بين مواليد وموتى. فابحثوا عن بيوت موضوعة بينكم لكم. وإن رفع بيوت لله، وإن وضع بيوت لله، ينتظم قانون الله، فبيوت الله دائما توضع وهي موضوعة في نظام وتناسق، وإن بيوت الله دائما ترفع، وهي مرفوعة في نظام وتناسق، فاجعلوا من قلوبكم بيوتا لله ترفع أو توضع باستقبالها بيتا لله يرفع أو يوضع.

أنيروا قلوبكم ـ وهي بيوت الله ـ في استشرافها لله. إليه تصعد كلمة طيبة وكلكم لله كلمات، إن شئتم العمل الصالح يرفعها فاستيقظوا أيقظنا الله وإياكم، واسترحموا رحمنا الله وإياكم، وهيئوا لعقولكم طريق السلامة، ولنفوسكم طريق الاستقامة، أعزنا بعزه في الإيمان به عزة ترفعنا من ضلال أنفسنا، وتأخذ بيدنا إلى مشارف ساحته وأبواب رحمته إنه سميع قريب مجيب للدعاء.

مصادر التوثيق والتحقيق

1 حديث شريف: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات." أخرجه مسلم وأحمد والترمذي. وجاء في صحيح ابن حبان.

2 سورة آل عمران - 140

3 حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.

(١٩)

دورة الأمور
بين السماوات والقبور

حديث الجمعة
٣ ربيع الأول ١٣٧٦ هـ - ٢٧ سبتمبر ١٩٥٧ م
تصحيح التاريخ الهجري: ٣ ربيع الأول ١٣٧٧ هـ

الحمد لله الهادي لما هدى.

الحمد لله المنعم بما أنعم.

الحمد لله القادر على ما أبدع.

أشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

إخواني:

نستقبل في هذه الأيام شهرا من شهور الله، ونستودع ونودع شهرا من شهور الله. إذا كانت دورة الأرض حول الشمس تحدد شهور السنة الشمسية، والفصول الأربعة السنوية، وبهذه الشهور، وبهذه الفصول، تتحدد قابليات الأرض في مشارقها ومغاربها لما تنبت وتعنون من مواسم حصاد وزرع، وتكشف عن نعم الله وما ذرأ في الأرض مختلفا ألوانه، وما أودع في طبيعة الجو متباينة أوطانه، وما يحيط بالأرض مشكل عنوانه، فإن دورة القمر حول الأرض بدورها تحدد السنة القمرية، والشهور القمرية، في دورة منتظمة، تتسمى هذه الشهور عندنا بأسمائها حاملة لمعانيها مشيرة إلى ما تخرج الأرض من البشرية، كزرع لعالم الروح، الذي ينتظر مواسم الزرع والحصاد، من مزرعته من الأرض، من هذه البشرية.

وإن شهر ربيع الأول شُرف بمولد الرسول ليعنون مولدا لطفولة إنسانية يودعها الله من معناه ما تفرد به من سره، يظهره بمعناها بما فيها ومنها عنها، ويحررها بسلطانه من سلطان الطبيعة العاتية الفانية فيه من

نبات الأرض والسماء، إلى النشأة الأخرى في حياة ثابتة في معراج من حيوات متلاحقة، هي له أبقى وأصلح، وهو أجدى فيها على معاني الشخصية في الإنسان. وجعل منه كتابا ينشر ويقرأ ويحتذى.

وقد ضرب الله لنا في ذلك مثلا، نذكره كلما مر بنا ربيع الأول، بمحمد عبده الوليد وعبده الأول لعباد، الذي جعل منه رسولا وعنوانا على رسله، من صفة الرسالة فيه، قديمة بقدمه، باقية ببقائه، متجددة بتجدد خلقه.

عرا محمد (ع ربه) من جديده بالمحرم والصفر من قديمه.. دورة من دورات ظهوره، كدورة شهر مولده، وعام ميلاده. هي دورة آدم إنسان صورته.

فإذا ذكرنا شهر ربيع واستقبلناه مستبشرين فرحين، فإنما نستقبله ونستبشر به، لأننا به نتذكر ونستقبل قانونا من قوانين الله، الذي بدأ الخلق ثم أعاده، والذي هو فاعل لذلك، في صفة دائمة من بدء الخلق، وإعادة البدء، ثم من بدء اصطفائه الخلق لبدء تحقيق الخلق بالحق.

فهو الخالق للخلق، وهو الهادي لهم، وهو المسبغ عليهم من نوره، ومن فيوضات عطائه، ورحمته، وأسمائه وصفاته، ما يخرجهم به من صفتهم الخلقية، إلى مأمولهم منه، ومرجوهم فيه، وموعودهم من رحمته على ما وعدهم، ومن حكمته التي بها أنشأهم، ونواتها استودعهم ـ من أن يخرجهم من معناهم الخلقي إلى معناهم الحقي، ومن وصفهم الخلقي إلى وصفهم الحقي.

وإن أول مخرج يخرج به الناس من معناهم الخلقي المؤقت إلى معناهم الحقي الأبدي الثابت - في معراج الترقي في الله - هو أن يتابعوا في عالمهم، ومنهم، وعلى مثالهم، وفي صورتهم، موجودا حقيا، ألبس ثوب الخلقية بينهم، حتى يكون الحق به قريبا منهم في ظهوره، وصفه رسولا له من أنفسهم بعثا بمعناه من حكمة الله تعالى من الحق، ووصف قيامه بمعاني الرسول من عالم الحق ليكون للمرسل إليهم فيه أسوة حسنة، كمثل أعلى لهم، مبعثهم إلى تحقيق مراده وهو مرادهم، بمجيئه مبعوثا بالحق مولودا بالفطرة، فهو جيئة الحق.

فإذا كان محمد عليه السلام قد بعث بالحق في الخلق بيننا، فهو إنما جدّد بيننا قديما من صفات الحق وفعله، وأسفر بحق لم يجعل محظورا على إناء خلقه، أو صورة خلقه من الناس، ولكن جُعل بشرى للناس، بتجمعهم عليه، وبتجمعهم على متابعيه بالحق ـ على بصيرة ـ على ما تحقق وتحققوا، حتى يكون للناس دائما كافة وعامة أسوة مرجوة، وبشرى لهم يخرجهم بها مما هم فيه من قطيعة في قيامهم على أنفسهم بأنفسهم، مقطوعين عن صلاتهم من الحق الواصل إليهم بقدرته، الموصول بهم برحمته، القائم

عليهم بحكمته، الموجه لهم بصفاته، والمنعم عليهم بمدده، والمرشد لهم بحكمته، والعامل بينهم بعباده، مبعوثين في الأمم على دوام من أنفسهم.

إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يتميز عمن سبقه من النبيين في معنى ذاته، ولكنه تميز عن سائر الأنبياء بما جاء به إلى الناس من رحمته، ومن بشراه، ومن وعده أنهم متخلقين في الله، ومتحققين بالله، على مثال من تخلقه وتحققه، وأن هذه الميزة، وهذه المزية التي انفرد بها محمد عن سابقيه من النبيين إلى آدم النبي الحق ـ قد ميزته ـ فاتحا للناس أبواب رحمة الله، وفاتحا للعقول مغاليق الإدراك، وفاتحا للنفوس أبواب الرجاء، وفاتحا للذوات طريق الحياة، وفاتحا للأرواح أبواب الانطلاق، وفاتحا للتقيد أبواب الإطلاق. إن هذه الميزة هي التي انفرد بها رسول الله، وكان بها جماع رسل الله من رحمة الله والتي هي كل رسول الله، والتي هي كل رسالة رسول الله، والتي هي ما جانبناه باسم تقوى الله، وهي ما باعدناه بفهم التقرب إليه عازلين رسول الله عن ربه وعن أنفسنا، وعازلين وعد الله مع رسول الله عن رجائنا، وعازلين معاني رسول الله عن معاني إنسانيتنا تتطهر، وعازلين ومباعدين بيننا بعزلتنا عن رسوله وبين الله، منكرين على أن يكون لنا منه ما كان لرسوله منه أسوة لنا، وبذلك قطعنا السبيل على أنفسنا، وباعدنا بين أنفسنا وبين الحق ـ إلا من رحم ـ ووضعنا القلة منا ممن سلك مسالك الإسلام، وسميناهم بالقوم بعيدا عنا، وعزلناهم عن بيئتنا، وأسبغنا عليهم أسماء مميزة، وأسأنا إلى أنفسنا، تارة بمخاصمتهم وتارة بالثناء عليهم قاطعين بيننا وبينهم على أنهم خواص الله، وخواص من الناس .. وما هم إلا المسلمون حقا، وهم فعلا خواص الله، وخواص من الناس، ولكنهم مصابيح الله، وعترة رسوله، وتجدد أواني أهل البيت، وآل رسول الله، ورسول الله، وسائر الأنبياء يتجددون بذواتهم من أقدامهم على الأرض كما وعد الله.

إن الذي ينفع الناس في الأرض ماكث، وإن الذي لا ينفع الناس إنما هو زبد زائل.. كلمات طيبات أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وإذا كان رسول الله هو رحمة الله مرسلة إلى الناس في العوالم، وإذا كان رسل الله هم موائد الله، وهم مصابيح الله، وهم مسالك الحق في ظلمات الخلق في عوالم الله، وإلى عوالم الحق من الله.. إذا كانوا كذلك فهم من ينفع الناس، وهم معنى ما ينفع الناس، وإنهم بهذا الوصف لا بد أن يكونوا ماكثين في الأرض، نافعين للناس، متجددين في أوانيهم حتى يتكاثروا في الناس بمعانيهم المرجوة من الناس، المقبولة من الحق من ربهم.

ورسول الله حمل إلينا هذه المشكاة في ذاته، وفي بيته، وفي صحبة من صحبه، مجددا بيننا معالمها بوعد الله، واعدا بحفظ دينه، واعدا بحفظ ذكره ـ في هذه الأمة من البشرية ـ واعدا بحفظ مصابيحه لمن تابع

هذا الرسول من بين أهل هذه الأمة من كافة الناس، حتى تصلح أمته لأن تكون حقيقة أسوة للأمم وللناس كافة أمة وسطا، أمة مرتضاة، أمة خيرة، أمة ميسرة، أمة قوية على الباطل والمبطلين، أمة لينة، أمة حبيبة فيما بين أفرادها ومجتمعها، أمة ذليلة كسيرة فيما بينها وبين ربها، حتى تمثل كمال الرسالات في حلقاتها، وكمال الآداب في صورها، وكمال الوصلة في حقيقتها، وصلة الحق بالفرد، ووصلة الحق بالجمع، وظهور الحق في الخلق، على أدب من تشريع ثابت، وهدي سامٍ، ومنهاج مستقيم، وأمر فاعل قوي.

هذا هو الإسلام في كتابه وسنته، وهذا هو الدين.

فإذا كنا نستقبل اليوم شهر ربيع، وهو شهر مولد الرسول، فإنما نستقبله ونتذكر به، ونتذكر فيه هذه الحقائق، إذ يجب أن تكون هذه الذكرى قرينة تأملنا في قوانين الله الذي بدأ الخلق، والذي هو على مثال من بدئه بادئه، والذي ختم الخلق، والذي هو على ما ختمه خاتمه، والذي هو أعاد الخلق، وهو على ما أعاده معيده.

فإذا كان شهر ربيع مشيرا إلى هذه الحقائق بين حقائق الله في الناس، فهو عيد وموسم لإنبات البشرية للحياة نباتا لا ينظر إلى غثائه، ولكن ينظر إلى ما احتوى مظهر الفناء من معاني الحقائق، ومعاني الحياة مرجوة مستساغة مرتضاة.

وإنا جميعا لا نجحد، وليس علينا بخفي أننا من نبات هذه الأرض، ولا نجهل ولا نتشكك في أن هذا الفناء من جسدنا من نبات الأرض إنما هو إلى الأرض ينتسب، وإن طبيعة الحياة هي ما يتحرك في هذا النبات من النفس، فتتحرك الحياة في هذا التراب من أرض الذات المتطورة إلى ذات تحوي أنهارا من دم، وتقوم بجبال من عظم، يكسوها زرع من لحم، تتحرك وتتجدد فيها الحياة على دوام مع أنفاسها قياما لحضرة عاقلة، مدبرة، ظاهرة بظهور هذا العالم المتحرك الصغير من الذات البشرية...

ولكن هذا كله منها ولها بظاهره موقوت وإلى فناء، ولكن هذه الذات بها من معاني الحياة، ومن حقيقة الحياة ما يجب أن نؤمن أنه لا يفنى أبدا، فلنلتصق بمعانينا إلى معاني الحياة فينا، ولنتحرر بهذه المعاني لنا من معاني الجسد، أو الجهاز الجسدي المسخر لنا تسخيرا مؤقتا على هذه الأرض...

ولنعلم أننا على الصورة التي أنبتت بها أجسادنا من تراب الأرض، فاكتسبنا بها هذا الجسد لباسا لمعانينا من معاني الروح، إنما نتهيأ بأعمالنا، وبتقوانا، وبذكرنا لله، وبإيثارنا على أنفسنا مَرضاة له، وبتحابنا بعضنا إلى بعض، وبتعاوننا بعضنا مع البعض، وبالإنكار على مفرداتنا، لصالح جماعتنا وحدة.. أننا بهذه

الأفعال نزرع وننبت نباتا آخر لجسد ينتظرنا بما نرسل من طاقة فاعلة، ننتقل إليه بمعانينا ملتصقة إليه في عالم من عوالم الروح نباتا في عالم نجهل الآن أرضه، كما نجهل قانون تواجد الأشياء فيه...

ولكنا نؤمن بذلك بما حمل إلينا البلاغ، أو هدانا إليه العقل، أو قادتنا إليه التجربة، ويمكننا أن نتحقق بذلك إذا ما تهيأت لنا أسباب السلوك إليه، إن كنا من أهل الطلب لهذا المعنى، لا شاكين ولكن مطمئنين لله، راجعين إليه منه...

وأن هذه الذات التي هي في طريقها إلى التواجد لتكون جلبابا لمعانينا في حياة قابلة، إنما هي من صنع أيدينا، ومن صنع خواطرنا، ومن صنع مسعانا في هذه الحياة، ومن صنع قلوبنا، بها نعرف كيف كنا، وكيف صنعنا، ومن صانعنا، وماذا نصنع.

لا أريد أن أقدم من عبارات التبليغ ما يؤيد هذا المعني -وهي كثيرة- لأني أريد أن تفهموا أن هذه الحقائق لا تأتي عن طريق النحت في صخور الحروف، وفي بيداء صفحات الكتب، ولكن هذه الحقائق تدرك للإنسان في نفسه بنفسه على فطرته، ما استقامت فطرته على محبة الله، وما استقامت نيته على تقواه، وما انعقدت عزيمته على الإيمان به، وحسن الأمر معه، وذلك في الإيمان به قريبا منه، محيطا به في كل ما يحيط به من خلق معلوم أو مجهول.

إن أمر الله سهل ميسر، وإن وحدانية الله ليست أمرا في حاجة إلى دليل، أو في حاجة إلى إقناع، أو كتاب أو رسول أو تعليل. فإن الإنسان بغريزته وبطبيعة فطرته يتوصل إلى ذلك من تلقاء نفسه في يسر ودون مشقة، كما أن حياة الإنسان وارتباطها بالوجود، وارتباطها بالله أمر لا يحتاج إلى دليل أو تعليم، فهو أمر قائم في الغريزة مهما اختلفت الأسماء، أو صور التعبير عن المشاعر. سمه الله أو سمه ما شئت، فالعبرة بما تعني من التسمية.

ولكن الإنسان يحتاج فعلا إلى دليل وإلى مرشد، وإلى من يأخذ بيده في الله إذا ما أراد أن يتجاوز هذا التكوين، وأن يتجاوز هذه الطبيعة التي يقوم فيها والطبيعة التي يعرفها، إلى تكوين آخر أرقى منه، وهذا أمر ميسر لمن تابع رسولا على إيمان به حقا من المعروف. {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[1].

فإذا طلب الإنسان هذا التغيير وجب عليه أن يأخذ في هذه الطريق دليلا له حتى لا يتعرض لتيه هذه الصحراء، وحتى لا يضل الطريق في هذا المحيط الخضم الذي ليس له به سابقة عهد، أو سابقة إدراك.

ولهذا أرسلت الحقيقة رسلها بعثا بالحق، فإذا كان الناس يفهمون رسل الله، جاءوا للناس بعثا بينهم حتى يردد الناس لفظ الله على ألسنتهم أو أي لفظ بوهم متابعتهم لهؤلاء الرسل بهذا الترديد، فهذا خطأ

جسيم. فإن البشرية على اختلاف مشاربها، وإن الكائنات جميعا، وإن المملكة الحيوانية والنباتية من عوالم البر والبحر يعلم عن الله أو عن الحقيقة، ويقوم في الله أو في الحقيقة، ويقوم بالله وبالحقيقة بغرائزه، وإن لهم لمناهج، وإن لهم لشرائع، وإن لهم لمناسك، نجهلها لأننا لسنا من أهل هذه العوالم، وقد نعلمها بدراسة هذه العوالم. وإن عالمنا البشري الحالي بفطرته له هذه المعارف، وهذه المناهج، وهذه المسالك، مهما اختلفت الأسماء والرسائل. ومن هذا العلم، ومن هذا اليقين يقول رسول الله ـ الإسلام دين الفطرة ـ ردد الإنسان أسماء الله أو لم يردد.. قام في مأموره أو لم يقم.

فالإسلام ليس دين أمم الأنبياء، ولا أمم الرسل، ولكن الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وكل مولود يولد على الفطرة، فكل وليد مسلم بمولده، وهو مدرك لمناسكه ولمعارفه، ولوحدانية الله بفطرة وجوده مولودا على هذه الأرض المباركة، ميسرا لما خلق له، وإن لم يولد ليكون نبيا أو رسولا.

أما الأنبياء والرسل فقد ولدوا في الفطرة مولد الناس، وتهيئوا بما علمهم الله، وبما هداهم الله إليه من الحق في أنفسهم تطورا وبعثا، لأن يكونوا للناس هداة يسلكون بهم المسالك إلى المجهول المعروف، على ما سلكت بهم الروح المسالك إلى المجهول المعلوم، فعرفوا المجهول من أنفسهم، كما قاموا في المعلوم منها، فحملوا نبأ المجهول من أهليهم عن أنفسهم إلى معلومهم منهم، فسموا بذلك أنبياء لحملهم النبأ، أو لإنبائهم عن غير المنظور من عوالم النفوس إلى المنظور لهم من عوالم أنفسهم من الناس.

وإذا كانت هذه الرسالة النبوية تعنون بالنبيين كذوات من الجنس مؤسسين لها، ختمها خاتم النبيين وخاتم المكلفين، وأول العابدين، وسيد المرسلين، وطابع المصطفين، ومثال المتخلقين محمد عليه الصلاة والسلام، وبه عنون الصلاة والسلام، فقد ختم برسالته معاني حمل النبأ من الغيب إلى المشهود المعلوم من عالم الخلق، تكليفا من عالم قيامه، متجددا قائما على دوام ـ للناس كافة ـ أن يكونوا على مثال من هذا المعنى، مطورا به النبوة والإنباء عن الغيب إلى حركة كسبية المظهر، إرادية الجوهر، دائمة القيام، بعد أن كانت حركة تكليفية اصطفائية جنبية من جانب الغيب.

وقد بشر أمته بما جاءها به من إرادة سامية إلهية بأن علماء هذه الأمة كأنبياء أمة سلفت، لها من الله ما كسبت، من قوم إسرائيل وهم من عرفوا وخبروا، جاعلا العلم والاتصال بعالم الغيب أمرا ميسرا للكافة، حاملا للناس بشرى مقاربة الحق من ربه لهم. {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[2].

إن هذا الذي فتحت أبوابه الحقيقة المحمدية، وعنونته وتعنونه الذات المحمدية، وتجديده الرسالة المحمدية بهذا الرسول رسولا بلا اسم، وعبدا بلا رسم، وذاتا بلا ذات، وحقيقة مجردة في الله على مثال من

حقائق الله في الحق المطلق، فتحا لأبواب رحمته، وتدانيا لفيوضات علمه وحكمته.. إن هذا ما جافاه الناس لأنفسهم من محمد ـ إلا من رحم ـ وما أقلهم ممن لا يقول أنا وأنت، ولكن قال لطالب الحق: (ها أنت وربك)[3]، وعنون وأفاض (الاستقامة خير من ألف كرامة)[4]

إن الرسالة المحمدية أسقطت قيم الظواهر القابلة للعدم والفناء - بفناء الذوات- إلى معاني الحقيقة وقيام الحقائق القابلة للدوام والترقي عطاء من الله غير مجذوذ.

إن محمدا في الله هو تمام كلمة، وهو روح للقدس جامع لكلمات الله من أهل حضرته، وهو المستوى النهائي لعالم التقيد الذي يصح أن يصل إليه الكائن البشري المقيد، ترقيا في الله المطلق، وهو عنوان البشرية والمثل الأعلى للكافة ليكونوا منه على مثال، وأن يكونوا فيه على حال، وأن يكونوا به على استقامة في الحق متابعين، وأن يكون هو قريبا منهم بروحه ومعناه، إذا قاربوه هم بصفاتهم ومجاهداتهم على ما عرفوا من صفاته ومجاهداته. إنه المثل الأعلى المرسل المعروف على مثال من فعل الأزلي سبحانه.

إن مثالية رسول الله حية قائمة، وإن حاضر رسول الله جد جديد متكاثر، وإن في خفاء ذوات معناه لرحمة من الله حتى تتسع دائرة الرجاء فيه، وحتى تتسع دائرة التكاثر به في بقاع الأرض، وفي جماعات الناس، وفي مفردات أهل الهمة، وأهل العمل والعزيمة من أهل الرجاء، لأن سفور المعنى في فرد مقتض استجابة الصادقين لهذا الفرد، دون مشاركته في المعنى عليه السلام، ما دام صاحبه في القيام، ولكن خفاء هذا المعنى في ذاته يجعل باب الرجاء مفتوحا للكافة ليحصلوا على هذا المعنى، متابعين لمن توسموا أنه حقا وأهلا لهذا المعنى، مما يجعل فرصة العمل متاحة لجميع مجالاته على اختلاف مستوياته وتعدد صفاته...

وإن هذا الذي وافانا به رسول الله في ذاته، وفي بيته، وفي أصحابه، وفي تعاليمه، وفي سنته من رحمة الله للعالمين، لم يشأ رسول الله ولم تشأ عناية الله أن تحرمنا دوام رفده رغم جحودنا، فها نحن اليوم تعنون الرسالة الإسلامية بيننا روح من الله مدان، حتى يطمع الناس جميعا في أن يكون لهم مع هذه الروح نصيبا، يتجدد به رجاؤهم في الله على متابعة من عمل ومجاهدة، مهيئين لأنفسهم مع هذه الروح العظيمة فرصة اصطفائهم، فتجدد نفسها فيهم برغبتها في أن تداني الناس، وأن تنتشر فيهم بمعناها حتى تُيسر لهم تحقيق أملهم ورجائهم في الله وفي معرفته. وإذا قلنا الروح فليس الروح ذاتا، ولا تحمل معنى الذات، ولا صفة الذات في طبيعتها أو أمرها. ولكن الروح إذا جاز لنا أن نقرر ما معناها، وما يعنونها، فإننا يمكننا أن ندرك جانبا من عظمة الروح إذا قلنا إن سكان هذه المعمورة، أي سكان هذه الأرض

جميعهم بأممهم، وبدولهم، وبأجناسهم، وما يخالطهم من أحياء، وما يحيط بهم، إنما هم أعضاء في ذات واحد، لها روح واحد، أو أنهم ذات واحدة لروح واحد.

فالروح الواحد أرحب وأوسع بمعناه، وبإنائه، وبقدرته، وبما أودع الله فيه من نوره ومن سلطانه.. أرحب من هذه الأرض وسماواتها. أما الأرواح المدانية في ركب الروح حاملة أسماء قديم أجهزتها فهذه ما زالت نفوس متطورة في معين روح احتوائها من الأرواح المرشدة.

ألا نقر.. ألا ندرك ما حمل لنا رسول الله في حديثه عن الله في التعبير القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)[5]؟

فإذا كان هذا هو حديث الله على لسان رسوله، وهو أمر قد لا نستطيع تحقيقه في أوانينا على هذه الأرض بذاتها، على صورة يمكن تدريكها للغير، وربما استطاع المجاهد منا أن يصل في إدراكه لهذه الحقيقة في صورة خاصة، وعلى علم خاص به، ولكن لا يستطيع أن يعلم الناس تحقيقا دون سلوكهم، أو أن يعرف عنه تعريفا يخضع لقوانين الإدراك الحسي، ويخضع لقوانين التجربة، ولكن هذا هو على الأقل ما يمكن أو ما يجب أن يتصف به روح مدان، له معاني العبودية للروح الأعظم، يقوم فيما وصفت العبودية من الله.

وليس كل روح مدان له معاني العبودية للروح الأعظم، ولكني أعني روحا مرشدة، وحقيقة مجردة من عالم الحقيقة والتجريد، ومن حضرة الحقائق تداني الأرض لتأخذ بيد أهلها إلى عالم الحق لها، باستقبالهم فيوضات الحقائق، تفاض على قلوب الصالحين من عباده بين خلقه، ليكونوا لهم حقائقه وطرائقه.

فهذه الروح يجب أن يكون اعتناؤنا فيها، واعتقادنا نحوها، ووصفنا لها على ما أشارت إليه، أنها روح جامع محيط، وأن أهل الأرض جميعا، قد تكون الروح الجامعة لهم مجالا من مفردات هذه الروح، التي تتصف بمعاني العبودية للحق المجرد، والتي تداننا من وراء حجاب الوساطة، والتي تحدثنا بمجال من مجالاتها مدان، حتى يستطيع إناء من بيننا أن يتقبل - بدخوله في حلقة من حلقاتها في معراج إليها ـ شيئا من فيوضات امتداد هذه الروح، فهذا أمر جد خطير، وأمر عظيم، وأمر جلل، لأنه بذلك نخرج من دائرة نسبة الرسالة من الرسول إلى الإناء المقيد، بنسبتها إلى الحقيقة المطلقة له.

وإن تهيأنا لذلك، وإن صلحنا له، وإن أدركنا فيه، تهيأنا لاستبانة ما جاء به التبليغ في كتاب الله من القرآن، ومن الإنجيل، ومن التوراة، ومن سائر الكتب المقدسة عند أمم الأرض. وإن موافاة عالم الروح، وأخذه بأيدي الناس، أو بأيدي البشرية، وإن استجابة عالم البشرية بعد لأي أمر خطير في

تاريخ الأديان، بشرت به الأديان، وأعلنت عنه ووعدت به، ولكنا قد اخترنا لأنفسنا فهوما بعيدة عن الواقع من وضع أنفسنا، متشبثين بمعاني وضعناها للمجهول، قياسا على أفعال الفرد منا، ومحرفين لألفاظ التبليغ إلى مدرك نفوسنا.

فإن ابنا للإنسان بباطنه ظاهرا للناس، لم يطأ الأرض بعد. وإن عبدا لله بباطنه عاملا أمام الناس لم يظهر على الأرض بوصفه بعد، إذا أحسنا الفهم في الله، وقدرنا الله حق قدره، وما أدركنا أننا في عجز عن تقدير الله حق قدره، حتى يمكننا أن نتدارك ما فاتنا، وأن نصلح من ماضينا، وأن نحتفظ بحاضرنا بعيدا عن شوائب الماضي، وأن نرسم لمستقبلنا طريقا ينجينا معاني الزلل، ينجينا مما زلت فيه أقدام آباء لنا وسوالف الناس. وما تقديرنا لله حق قدره إلا في تقديرنا لعباده، واحترامنا لأنفسنا فيهم، وحرصنا على الحياة منهم.

ها هو الحق يكشف من أسرار الوجود، في كل يوم وفي كل عام، وفي كل بيئة، ما ينبهنا به إلى حقائق الوجود، وما ينبهنا به إلى قدسية هذا الكون، وما يوقظنا به من سباتنا العميق بقوارع هذه الآيات.. فهلا استيقظنا.. فهلا غيرنا ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا، وحتى يهيئ لنا أسباب المعرفة، وأسباب الحق، وأسباب الإيمان، وأسباب اليقين.

إن ألسنتنا تتحدث عن عبد مقيد ننتظره يغير الله به، أسميناه المسيح أو المهدي أو آدم، على ما نسميه وندعيه ولا نتوكل على الله، ولا نؤمن به وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو المغير سواء أوجد هذا العبد أم لم يوجده، فإن الكون مشغول به، وبنوره، وبمحبته، وبالامتثال لمراده.

حياة الكون قائمة به، وهو عليه قائم بقدرته، وبه ظاهر بعظمته، وفيه فاعل بحكمته، مدرك للناس ما طلب الناس رحمته، وما نسبوا إليه الفعل بعزته، ولكن الناس يريدون أن تنشق السماء فتسقط عليهم، أو تسقط، أو تسقط عليهم كائنا بشريا أو روحيا كائنا ما كان، في وهم وخيال وظن ورجم بالغيب، وإسراف في الوهم والزعم.

إنهم يقولون إن محمدا رسول الله أرسله الله من حضرته، فكيف جاء محمد؟ هل جاء على ملكين يحملانه من السماء؟ أم أنه نبت نباتا من الأرض؟ أم أنه نشأ نشأة كل وليد؟ إن عيسى الرسول أيضا، وهو ما نسميه بالمسيح، أو ما تسمى منا عندنا المسيح، وقد شذ في مولده كما نقول، وهو لم يشذ في مولده، ولكن غاير نظامنا في حمل أمه به، أو في لقاح أمه به، عن مألوف مداركنا من عالم شهادتنا من البشرية الآن في ظل قانون لصلات العوالم، فإنه وإن كان الحق قد أرسل روحا لبشر من عالم أعلى، تمثل بشرا سويا أمام بشرية مريم، من قديم وضعه، جعل الله في مكنته، وفي طبيعته، أن يصل إلى معنى اللقاح،

بما جعل له من قدرة على مثال مما يقع بيننا من حيث الجوهر، ولكن بعيدا عن المثال مما يقع بيننا من حيث المظهر، فإن مولد عيسى بيننا ما خالف مولد أي طفل، ومع ذلك قلنا إنه جاء من السماء، وما كان مجيئه إلا بمولد من أم على نظام هذه الأرض، فإن كل ما سوف يأتي من السماء لن يأتي إلا على مثال مما سبق أن أتى من السماء، مما سبق أن أدركنا في رسل الله، أو اعتقدنا ذلك لهم.

وإن ما يأتي من السماء على غير مثال مما أدركنا عن رسل من عالم البشرية اتصفوا بيننا برسل الله، ممن لم ينقطع أثرهم أو مثلهم، إنما هو سفور روح الله، أو ملاك الله، أو الربوبية تقوم سافرة من روح الله.. إن هذا المعنى ليس غريبا على البشرية، ولكنه لم يسبق قيامه فيها إلا مع الأنبياء، وبعض أصحابهم، لتأسيس بيوت لله بأهلها قبلة لدين، خص به الأنبياء قبل محمد، لم يقتصر عليهم من بعده.

أما ما نراه اليوم في الصلة الروحية، فهو خروج هذه الحقيقة عن دائرة الكتمان، بعد أن خرجت عن دائرة الخصوصية، ولو أدركنا هذا المعنى وفهمناه لفهمنا أن هذا يتم تحقيقا لما بشر به عيسى من أنه سوف يدعو الناس بإخوته يوم يقوم الحق من الإنسان.. فماذا ينتظر الناس لصورة قيام الحق من الإنسان؟ وهو ما قال به محمد من أنه سوف (لا تقوم الساعة قبل أن يظهر على الأرض آدم)[6].. فماذا ينتظر الناس من صورة لقيام آدم؟ وهو بعينه ما أشار إليه كونفوشيوس من القول بعودته، فماذا ينتظر الناس من صورة لعودة كونفوشيوس؟ وهو ما أشار إليه بوذا من دوام قيام قديمه على جديده...

وهو ما يشير إليه أهل الحقائق دائما من عودة، أو بعث، أو خير أكثر من الله، في ظل قانون يحيى عليه السلام ـ إن الذي هو بعدي رأيته أمامي - فرؤية الحق في القديم، أو رؤية الحق في القيام، أو رؤية الحق في المستقبل، هي مناط هدي الأديان، ومعارف أهل الطلب للحق أنفسهم، وفيما حولهم، وفي قديمهم، وفي مرجوهم.

وقد مثل كل نبي برسالته وهديه وجهة للحق تطلب معه، وجاء محمد فوجه الناس إلى أنفسهم، كل وما أعد له، معلما أكبر، وهاديا أحكم، ومبشرًا رحيمًا، ومنذرا أعلم، {قد علم كل أناس مشربهم}[7]، وتقاعس ظالموا أنفسهم عن تعاليمه، وعن حقيقة تعاليم من زعموا متابعتهم من الحكماء، والأنبياء والرسل، والأئمة من الدعاة والهداة، كما ظلموا أنفسهم في وهم وزعم متابعة مثلهم.

إن ظهور الذات المحمدية عنوانا على حقيقتها من الحق، كان فيه بدء ظهور وقيام الحق في الخلق، وإلا ففي ماذا ندرك مثالية ـ (خلفت الله عليكم)[8]-؟ وكيف يخلفه الله على الناس وهو معهم، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، إذا لم يكن هذا البعث بداية لظهور كلمات الله من أبناء إنسان الأزل،

مبعوثين بمعانيهم من أسماء الله كلها، وهو عالم تهيئ البشرية حتى الآن مجتمعها للعمل على كشفه، متصارعة على مادة الحاجة دون مادة الحياة؟

ها هي السماء وأهلها يتصلون بالأرض وأهلها مرة أخرى ليهيئوا جو الأرض ومجتمع البشرية لحال من السلام، ووضع من الاستقرار، تمهيدا لظهور كلمات الله تترى بين البشرية يوما، لعله قريب.

لقد انتهت رسالة الكلمات بظلالها، وجمعت صورها في ملكوتها، ولم يبقَ إلا أن تحقق صورها بمعناها منها في صور محدثها في رسالة روحية، يتجدد بها في الأرض ذكراها، ويكمل بها لها في السماء معناها، ويتخلق بها لها في وجود الله المطلق، عالم مبناها، اتساعا في الملك والملكوت، وملء لفراغ الوجود، وتعليمات بسعة الكريم الموجود.

بإدراك ذلك وتمامه تنتقل الأرض وأهلها نقلة في الله، تبدأ بها حياة جديدة، وتفتح لنفسها في كتاب الله صفحات سعيدة، وتمسك بأقلام سديدة، يتبدل حال أهلها من سافلين إلى عالين، ومن دنيا مادة وفناء إلى دنيا حياة ودين.

هذه هي بداية الآخرة من الأولى للأرض وأهلها، يبدلها غير الأرض، ويبدل السماوات معها غير السماوات، ويبدل الأمثال للناس، ويداول الأيام بين الناس، ويجعل من الأحياء أمواتا، ومن الأموات أحياء، وقد شاءت قدرته فجمع دواب السماوات والأرض في صعيد، وهيأهم للاجتماع على جديد، ورحمهم وشرفهم فمنحهم كمالا وتماما في أمر وليد، وأشرق على قلوبهم بوجه قديم جديد.

قل هذه هي النهاية، أو قل هذه هي البداية، إن لله في كل زمان آية، وليس لله في الناس بداية ولا نهاية.

اللهم حققنا بك فيك برحمتك.

اللهم حمدنا بك لك بمحمدك.

اللهم أحينا بك لك بكلمتك.

اللهم احشرنا بك لك في عبادك.

اللهم ارزقنا منك إليك الرشاد، ولا تمنعنا منك إليك القياد.

لا إله إلا أنت، ولا موجود بحق إلا أنت، ولا وجود إلا منك، ولا مآل إلا إليك ولا بقاء إلا بك، عليك نتوكل وإليك ننيب.

أضواء على الطريق

هو

الأول والآخر

والظاهر والباطن

وهو

بكل شيء عليم

(قرآن)[9]

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة الرعد -11

2 سورة البقرة -186

3 من مقولة لابن عطاء الله السكندري: "شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تَجَلَّتْ فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزجَّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك."

4 "من كرامات الشيخ أحمد ضياء الدين أن أحد مريديه حدثته نفسه أن يسأل حضرة الشيخ ظهور كرامة فكاشفه الشيخ في الحال بما في نفسه وقال له: الاستقامة خير من ألف كرامة". الأنوار القدسية.

5 إشارة إلى الحديث القدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.

6 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

7 سورة البقرة - 60

8 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

9 سورة الحديد -3

(٢٠)

لا إله إلا الله

حديث الجمعة

٢٦ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ - ١٠ أكتوبر ١٩٥٨ م

أشهد أن لا إله إلا الله

وأؤمن أن لا إله إلا الله

وأعلم أن لا إله إلا الله

وأوقن أن لا إله إلا الله

وأستعين بلا إله إلا الله

وأتوكل على لا إله إلا الله

لا إله إلا الله علم الوجود. وعلم الفطرة. ورسالة الإسلام. بالله نؤمن. وعلى الله نتوكل. والله نطلب. وبالله نستعين.

إن رسالة الإسلام قامت وعنونت وحدانية الله، وشهود الله فيما نشهد من الطبيعة، ومن الأحداث، ومن أنفسنا.

قام الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله، مشهودا لحسنا، وحواسنا، قائما بنا، قائمون به، قائما فينا، قائمون فيه. قريبا منا حتى لكأننا. قريبون منه حتى لكأنه.

إن كنا في هذا الدين على هذا المعنى، فنحن من الله، ونحن إلى الله، ونحن بالله، فلا جنة تراد إلا في حبه، ولا نار تخشى إلا في صده، ولا غائبا يطلب إلا في كشف الحجاب عن معيته. ولكنها الحياة على ما هي الحياة تنمو وتتطور، وبتطورها نرتقي، ونعلو، ونتواضع، ونتسع، ونتضاءل. نتسع عن الغافلين، وعن الجاهلين، ونتضاءل أمام المطلق من رب العالمين.

ها هي شهادة أن لا إله إلا الله قطوفها دانية، فلا موعود من جناته إلا حوته. ونارها مبرزة، فلا مرهوب من عقابه إلا أقامته.

قيامنا في قيامه، وقيامه في قيامنا. فلا مخشى من حساب، ولكنه قائم حساب في جزاء كله حكمة، وفي عطاء كله عزة ومعرفة ونعمة. فالله منا قريب، والله لنا مجيب، والله معنا متحدث، والله بوجودنا ولوجودنا هو الحديث والمتحدث. قلوبنا له عرش في عالم القوالب. قلوبنا لنا فينا بيت له وكعبة لنا. فهو فينا القبلة ببيته. وهو فينا الكتاب بعلمه. وهو فينا الملك بسلطانه. وهو فينا الملكوت بعنوانه. وهو فينا الحياة والقيوم بالحياة بوجدانه.

لا إله إلا الله حصن الله من العدم. لا دينونة على من دخلها حصنا لله بالفيض والكرم، أو على من أقامها في نفسه، وعلى نفسه بتقوى الله، وبذكر الله، وبوعي الله في كل وعي، وبذكر الله في كل ما نطق، وبحكمة الله في كل ما فعل، وبقضاء الله في كل ما أجرى عليه الله من قضاء الله. إن الله راحم بعزته، وإن الله علينا قائم برحمته وبمنته.

{ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}[1]. ما يفعل الله بجزائنا؟ ما يفعل الله بخلقنا؟ ما يفعل الله بإيماننا؟ ما يفعل الله بكفرنا؟ ما قدرنا الله حق قدره. ما قدرنا الله تقديرا يقبله مستوى من مستويات العقل، ويتقبله مستوى من مستويات التقدير.

إن الله غني عن العالمين. إن الله لا تنفعه طاعة. إن الله لا تضره معصية. ولكن نحن خلق الله. نحن الفقراء إلى الله. ونحن الذين تنفعنا الطاعة، وتضرنا المعصية. نحن من نزعم أننا عباد الله واهمين. فعبوديتنا لما استهوانا، ولما أحببنا، ولما تعشقنا من نزواتنا.

إن العبودية لله لا يختفي فيها الرب على عبده، ولا يحتجب فيها العبد عن ربه.

إن العبودية لله رب ومربوب. وعبد ومعبود. وموجود ووجود. وشاهد ومشهود. نفس في نفس. وحس في حس. وقيام في قيام.. ظاهركم العبد، وباطنكم الرب، فلا تعكسوا الأوضاع، ولا تعرضوا نفوسكم للهلكة والضياع. فإن ربكم، وإن إلهكم، وإن حقكم، وإن موجدكم، وإن معبودكم، وإن حبيبكم من منه نجواكم وسركم، بين الجوانح قابع، فلا تطلبوه في الهياكل والجوامع والصوامع. ولكن اطلبوه في أنفسكم، فهو أقرب إليكم من حبل الوريد، واطلبوه في بيته من قلوبكم فهو عليكم شهيد.

وإن القلب الوليد لهو الأب الجديد في معانيكم. فإذا كنتم قد احتويتم القلوب في الأبدان، فإن القلوب تحتويكم بالنعمة والإحسان. إن عرضتموها للحياة حييت بذكر الله، وحييت بفيض الله، وحييت بنور الله. حييت بيتا لله، فلا تمنعوا عن البيت أهله، ولا تغلقوه دون ربه.

إن ما توارثتم من وعي، وإن ما تناقلتم من ذكر، وإن ما زعمتم من دين، تحريف للكلم عن مواضعه، وإبعاد للحق عن منابره، وإغلاق لبيوت عن أهلها.

إن الذي أقول ليس بلاغة في كلام، ولا شقشقة من لسان، ولكنه مدرك في هذه الجماعة، وأمر مشهد فيها، وحس قائم بها، ويقين لا مرية فيه. من بين أفرادها بينكم من تحققه. وبينكم من أدركه، وبينكم من هو في طريقه إليه، وبينكم من هو عامل عليه.

وإنكم في اجتماعكم على غاية من الله، وفي محبتكم لبعضكم البعض، وفي وحدتكم كجماعة تتعرضون لنفحات الله في أيامكم، تتعرضون لنفحة من نفحات الله في دهركم، فتحل فيكم روحه، ويقوم فيكم سبوحه، فسبحانكم ما سبحتم، وتعاليتم ما ذكرتم، وأشرقتم وجوها لله ما آمنتم، وقمتم سيوفا لله ما هممتم، وأحواضا لله ما استقبلتم، فأنتم في فيض من الله ورحمة، وأنتم في ساحة من ساحات الله تحفها النعمة.

{فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}[2]. {وإن الدين لواقع}[3] كما أنكم تتواجدون، فليس الدين بوهم لواهم، ولا زعم من زاعم، ولا شقشقة من متكلم، ولا ظهور بعلم من متعلم. فالدين إيمان في النفس يقوم. والنفس حق من الله في الذات يقوم. والذات بيت لله وعلم عليه تقوم. حق يقوم كما أنكم تشعرون بحقائقكم، وبوجودكم، وأحاسيسكم. فلا وهم، ولا نفاق، ولا زعم، ولا رياء.

ها هي روح الله ترفرف على جميع البقاع، ويظهر فعلها في جميع الأصقاع. وإن الأحداث لتشير، لا بل هي أبلغ من كلام كثير، وأجدر بالنظر من مقولة عن عالم خبير.

ها هي يد الله تمتد في مشارق الأرض، ومغارب الأرض، وأواسط الأرض بفعلها، وتفاجئ بتدبيرها، وتبادر بقدرتها، وتعمل بحكمتها. تنظم الأحداث برحمتها، وتكيف الأمور بعزتها. تبين الأحداث لناظر، وتكشف عن حجبها لذاكر. فهلا تأمل الناس؟ وهلا ادكر الناس؟ وهلا قارب الناس حقا لهم مقارب؟ وهلا ائتمر الناس بأمر من الله بينهم؟ يسفر في الناس اليوم أمر لله، في تواضعه الجم، وفي رحمته للكل تعم، يداني من الله في معنى رسوله، ويقارب من الحق في معنى روحه، ويقيم له قياما فيكم بمعنى رحمته.

فهلا تذكر متذكر؟ وتأمل متأمل؟ ودبر أمر نفسه مدبر؟ إن غدا لناظره قريب. وإن الله بسهام قدرته يصيب. وإن أمره لواقع. وإن مراده لواقع. وإن تدبيره لأهداف رضوانه لواقع. وإن غايته لواقعة.

الناس أعجز من أن يطفئوا نور الله بأفواههم ـ تتكلم بالظلام، وتصدر عن الظلام، وتمثل الظلام، وتقوم بالظلام. إن الله بالغ أمره. إن الله جاعل لكل شيء سببا. إن الله متم نوره ولو كره الكافرون بنوره، به

يحيون، وبه يسعون، وفى ظله يقومون، وبرحمته ينظرون، ولكنها لتعمى منهم القلوب، أو تجمد فيهم النواظر، وتذهب من عقولهم الزواجر في كل ما بهم يحيط، وفي كل ما حولهم يقوم.

{والأرض جميعا قبضته يوم القيامة}[4] ... يوم يقوم الحق ... يوم يقوم الروح لرب العالمين ... يوم يكلمهم الموتى ... يوم تنشق الأرض عنهم سراعا بقديم ... يوم تساقط السماء عليهم انشقاقا بمليم ...

أرواح من الأرض تخرج عن أجداثها إلى السماء تعاليا، وأرواح من السماء تداني أهل الأرض الدنيا تدانيا، يجتمع أهل السماءين، وأهل الأراضين على أمر لله في الناس، قد جاءهم منه على قدر، وانتظروه أثرا وخبرا، وجحدوه عيانا ونظرا. ذكروه باللسان، وأغلقوا دونه القلوب والجنان، وصموا عن صوته الداوي بينهم الآذان، في كل الأمم، وفي كل الأزمان.

إن الله ما غاب. وإن الحق ما غاب. وإن أهل الله ما غابوا. وإن حقائق الله من الناس لأهل الحق منهم ما غابوا. طائفة بعد طائفة، وقيام بعد قيام، وجماعة بعد جماعة في ذكر محفوظ، وأثر متجدد متكاثر، بفرد في الناس متناثر. قلب في قلوب. وقلوب في قلب.

كلما جاءهم صوت من الله أصموا عنه الآذان، وكلما امتدت إليهم يد من أيدي الله ضموا أيديهم إلى جوانحهم، ومنعوا أنفسهم الخير كله، ما غاب قط.

إن الذي نزل الذكر للقلوب حفظه في القلوب. وإن الذي بعث محمدا بالحق من قديمه جدده في العقول للعقول. وإن الذي قام على كل نفس ذكر نفوسا منه بقيامه، دائم الأمر بدوامه. فكيف ينتظر الناس ما هو موجود وقائم، فيباعدون المنظور عن النظر بالانتظار، ويظاهرون الظاهر أمامهم في مراياهم بالاختبار، بوهم جديد على من له فيهم المستقر والقرار، ومن حجب عنهم الجهل والغيار؟

إن الحق ما عنا غاب حتى نطلبه غيبا. وما ترك حكمه وأمره وتدبيره لغيره حتى ننتظر قيام تدبيره وأمره يوما.

إنه في كل يوم هو القائم، وهو الحاكم، وهو المدبر.

فبماذا يعي الناس؟ وبأي أمر يقوم الناس؟ وكيف يفهم الدين الناس؟

عباد الله.. اذكروا الله، واشكروا الله على ما هداكم، واسألوه أن يحفظكم فيما أعطاكم، وأن يهيئ لكم أسباب المزيد مما به عناكم، واسألوه لا شريك له من تدبير لكم أو قيام بمعانيكم في ذوات له منكم تعنيكم.

واعلموا أنه لا إله إلا الله أنتم، وأنه لا إله إلا الله كنتم، وأنه لا إله إلا الله تكونون، وأنه لا إله إلا الله تقومون.

اذكروا الله في الصغير والكبير من شأنكم، واستعينوه في المرئي والمخفي من أمركم.

سلموا له القياد، ولا تواصلوا معه اللجاجة والعناد. وآمنوا برسوله فيكم لا يغيب، وفي معانيكم يقوم، وقيامه فيكم يطيب. تطيبون بقيامه زكاة لنفوس، وإشراقا لعقول، ويطيب في قيامكم دواما لرسالة، وتجديدا لكتاب، ورفعا لحجاب، فصلوا الرسول في صلته في قيامكم، بمعانيه فيمن تعنون، وفيمن تؤاخون، وفيمن تتابعون، وفيمن معناه تطلبون.

إن الرسول أمره منكم قريب فلا تباعدوه كما تباعدون الله، واستجيبوه فهو حقيقة من حقائق الله، تقوم في قيامكم، وتدوم بدوام ذكرها في ذواتكم، مذكورة فيكم، متجددة في تجددكم، قائمة في قيام نوعكم، فلا تصفوا ذات الرسول بفرد، أو بقوم، أو بجنس به تجعلوه عنكم بعيدا. فقد جعل الله لكم فيه أسوة وعزوة، وجعل لكم منه كعبة وقبلة، وجعل منكم وإياه قوة وعزة، وجعله فيكم فردا وأمة، وجعل منه لكم هديا ونعمة...

فاطلبوه في أنفسكم، واحتذوا مثاله، وجددوا في تجديد أحوالكم حاله، وتخلقوا بأخلاقه فتتخلقون بأخلاق الله، فإنكم اليوم من صنع صانعكم، وإنكم في غد من صنع أنفسكم. إنكم تصنعون أنفسكم فيما لا تعلمون بصنع الله منكم فيما به من الحق اليوم تقومون. أنتم اليوم خلائف الله على ذواتكم فيها، ومعانيكم بها. فانظروا الله كيف به عليها تُخلقون؟ وبسر الله ماذا تعملون؟ وبقدرة الله في قدرتكم اليوم كيف أنفسكم تنشئون؟ وكتابكم ماذا فيه تكتبون؟ وجوارحكم على أي صورة تصنعون؟ ووجوهكم على أي حال تُهيئون؟ إنكم لأنفسكم مثقال ذرة من عمل تنشرون. وبما صنعتم بها تقومون. إنكم سوف تجدون ما صنعتم أنتم في آنيتكم ومعناكم. وإن الله كان معكم في صوركم ومعناكم، وأنكم عن الحق حدتم...

فما كسبتم. فردوا الأمر إلى بارئكم من حاضركم. واعلموا أن الله معكم، وأن الله لكم وبكم هاد وصانع، وأن ما تخلقون بالحق فيكم اليوم هو ما تشهدون من الحق في غد. فارجعوا إلى الله من اليوم ومن الآن. ولا تجاهلوا أنفسكم بعيدة عن الله ـ وهي دين أدوه ـ واعلموها نفسا لله ـ فردوها لصاحبها ـ يزكيها، ومما سواه يخليها. واجعلوا من ظاهر معانيكم لخلقكم من يمتطيها، بدوامه عرشا لله يستولي عليه، وكرسيا بأمره وبسلطانه يقوم، وبحكمته، وبروحه، وبنفسه يعمل، مبعوثين فيمن صنعكم، غير مضيعين كما أضعتم. إنكم إن تزاوجتم في الله نفوسا متآلفة، وتحابيتم في الله عقولا متقاربة، واتحدتم في الله بذواتكم،

لبنات في بناء لله قوامه علما عليه معالمه، فقد شدتم لله هيكلا، ورفعتم له بيتا، وأقمتم لرسوله منبرا، وهيأتم لله في الناس يدا، وأقمتم للدين معنى، وأظهرتم لله في الناس وجها.

بكم حضرته وملائكته في الأرض كما هي في السماء. ظاهر لباطن حضرة موضوعة وحضرة مرفوعة. بيت موضوع وبيت مرفوع. كلمات متدانية وكلمات متعالية. كلمات صاعدة لبارئها وكلمات مدانية لبارئها. إن سماءكم في أرضكم سماء لدنيا، جعل الله فيها بينكم مصابيح رجوما للشياطين. كما جعل السماوات العلى مزينة بالمصابيح من أهلها. وإن المصابيح الدنيا في ذواتكم، وفي معانيكم، ومن بينكم، وهي رجوم للشياطين من شياطين الإنس والجن من قيامكم ممن تؤاخون وتألفون من معانيكم في مؤاخاة على الهوى اتباعها، وعلى غير الله اجتماعها. وإن الحق، وإن الخلق في تزاوج في الناس، بالتحاب المازج بين أهل دعوته وأهل إجابته، وأنتم اليوم تشهدون على أرضكم كيف يتزاوج أهل السماء من أهل الحق لأهل الأرض من صور الخلق، وكيف يجعلون من أبدانكم ذاتا لنفسين من زوجين في وحدة، العلوي في أرضكم بها، بإمكانياته ظاهر. ويظهر الأرضي في عالم مؤاخيه العلوي بما يفيء الله به عليه مجاهدا على مثال مما يقوم به العلوي في أرضه.

ماذا يطلب الناس من أمر الساعة، وأمر القيامة، وأمر الله المنتظر؟

ماذا يطلب الناس من رسالة الله بينهم على قيام؟

ماذا يطلب الناس من أمر كلمات الله تنزل الأرض على دوام؟

ماذا يطلب الناس من أمر بيوت الله ترفع بأهلها إلى الله، عارجة على بيان في معانيهم، وقيام من مبانيهم؟

إن كل ذلك بينكم قائم، ولكم ظاهر، وهو مشاهد لشاهد، ومدرك عن مشهده، ومدركه لعاقل، ولن يكون لله أمر إلا على ما هو كائن كما تشهدون وتعقلون. وما كان في عصر الرسل من الأمر إلا على هذا المعنى على قصد فيه، فما كان عصر محمد إلا على هذا المعنى على قصد فيه، وما كان عهد عيسى إلا على هذا المعنى على قصور فيه، وهكذا كان الأمر في عهد آدم على مثال من يوم عهدكم، هذا الذي تشهدون.

إن قضايا الله والإنسان والأنبياء والرسل والدعاة والفلسفة والدين ماثلة بين أيديكم اليوم عيانا وبيانا، وكلاما وإحسانا، وقياما وبهتانا.

ماذا يريد الناس؟ ماذا يطلب الناس؟ ماذا يفهم الناس؟ ماذا يفعل الله بالناس عند هذه العقول؟ هل هو في حاجة لأن يختبرهم اليوم في رسله؟ إنهم على جحود بهم في جماع، وها هو يعيدهم إليهم اليوم جميعا على اجتماع.

ها هو يجمع البقاع، ها هو يقرع الأسماع، ها هو يسقط الأسماء والأبدان، ها هو يظهر الكل تحت اسم الله الواحد الديان، ها هو الله اليوم معكم على شهود، وما فارقكم على وجود.. فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.

دعاء

اللهم إن حالنا ظاهر بين يديك، فاعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا، وتجاوز عن سيئاتنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وكن لنا حيث كنا. اللهم خذ بيدنا، وأنر الطريق أمامنا.. اللهم عاملنا بما أنت له أهل، وعافنا مما نحن له أهل، وعاملنا برحمتك ولا تعاملنا بقدرتك.. اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، وارفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم ارزقنا السلم والسلام، وارزقنا حلاوة الإيمان، وشرف الاستقامة والإسلام، ووفقنا لأسباب الاستجابة لأمرك، والاهتداء بنور ضمائرنا على ما أودعت فيها من حقك.

واجزِ اللهم عنا نبيك ورسولك، وسائر المرسلين خير الجزاء. واجزِ اللهم عنا مرشدنا، وسائر الأرواح المرشدين خير العطاء، وأعلِ قدرهم في ساحة نعمتك، واحشرنا معهم في عظمة رحمتك، واشهدنا مشهدهم من نورك إلى قيام معنانا في شرف معناك.

لا إله إلا انت.. سبحانك إنا كنا من الظالمين.. فاعفُ عنا، واغفر لنا، وارحمنا، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أضواء على الطريق

- {وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.}[5]
- يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله}[6]
- {فأينما تولوا فثم وجه الله}[7]
- {والله من ورائهم محيط}[8]
- {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}[9]

(قرآن كريم)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة النساء -147
2 سورة الذاريات - 23
3 سورة الذاريات - 6
4 سورة الزمر -67
5 سورة لقمان - 13
6 سورة لقمان -16
7 سورة البقرة -115
8 سورة البروج -20
9 سورة الرعد -33

(٢١)

صلاة عيد الأضحى المبارك

ما بين قبر ومنبر

حديث الجمعة

٩ ذو الحجة ١٣٧٨ هـ - ١٦ يونيو ١٩٥٩ م

ما بين قبر ومنبر جعل الله روضة من رياض.. لجنة من جنان.. لعبد من عباد.. تجددت بجديد قديمه، ودامت بدوام نعيمه.. نشأت مع صفاته وظهرت قرين ظهور ذاته.

كانت للناس قانونا، وكانت للمؤمنين نبراسا، وكانت للتجمع على كلمة الله وعلى الحق في الناس مقياسا.. عنوانا لصدق جماعهم، ورجاء لصادق اجتماعهم.

تأمل قبره على قيد خطوات ينتظره، واعتلى منبره كأنه إلى قبره ودرجه يسير. ما علا على الناس ولا فارق الأرض التي عنها ومنها تواجد.. انشقت عنه وكم قديما انشقت عنه. وعاد إلى أمه وكم قديما عاد إلى أمه. وارتقى منبره وكم ارتقاه وكم بقي يرتقيه، يسمعونه ولا يسمعون، ويزعمون افتقاده وما يفتقدون.

يولد بمعانيه مع كل وليد، ويتواجد بمبانيه مع كل شهيد، ويغيب عن ظهوره مع كل فقيد، وينتظر في رجائه مع كل أمل وليد.

ما بين قبر ومنبر روضة من رياض. ما بين قتل نفس واستشهادها.. ما بين موت حظوظها وارتفاع صوتها بالحق مبعوثا من قبر نفسها ميتة عن شهواتها، ومنبر عقلها مبعوثا بحقها، يتواجد الإنسان في روضة من رياض لجنة من جنان. يحيا الإنسان إذ يفارق الدنيا، ولم يفارقها بعد. ويفارق الغفلة وهو بين أهلها، ويباعد بينه وبين العدم وهو موجود في صورته وبين صوره.

ما بين قبر ومنبر.. ما بين باطل يزول فيقبر وحق يرفع فيظهر.. ما بين صوت للباطل يخفت ويخمد وصوت للحق ينطلق ويعلو فيسمع ما بين أمرين، فيظهر أمر الله، وتظهر للناس رحمة الله، وتظهر للناس نعمة الله، ويقوم الناس في جنة من جنان الله، وروضة من رياضه.

هذا ما عناه رجل المنبر والقبر أو رجل القبر والمنبر. هذا ما عناه رجل جعل من القبر سماوات، وجعل من التواضع آيات، وجعل من الإنسان علما على رب الإنسان. أشهد الناس حقهم في جماعهم مجتمعين في وحدة من بنيانهم ومن معناهم من بينهم.

شَرُفَ به الناس، وشَرُف به جنس الناس. شرَّف الناس وأحيا الناس، وجعل من نفسه خادما للناس وهو ربُ الناس، فردا من الناس وهو ملك الناس، راجيا الناس وهو إله الناس.

جعل من نفسه نفسا دون الناس وهو سيد الناس. وجعل سيادة الناس في خدمة الناس. فكان الخادم السيد والعبد الرب والمقود القائد. جعل للناس عليه القياد كما جعل من نفسه منهم لهم الخادم. وجعل من الناس على نفسه السياد وهو لهم السيد حتى يلتئم الناس بخروجهم من خصامهم وقلقهم إلى التئامهم ووحدتهم، ورتقهم أفرادا حول فرد، وبيوتا حول بيت، وجماعات حول جمع، مبرزا لقانون الله من الفتق والرتق على نواة من الخلق جديدا لقديمه، وهو المتعالي عن الوالدة والولد، وعن الظهير وعن السند، وهو المصطفى لا لعلة، وهو الداعي لنفسه لا لقلة، وهو الواحد المتعدد لا بخليقة، وهو القائم السبوح في كل حقيقة، والباطن القائم لكل خليقة.

عرَّف عبده باصطفائه فأضافه إلى نفسه جديدا لقديمه، وربا لمحبه ونديمه، ووجها مشرقا، وطلعة مقاربة لداعي قربه، يقوم في دعوته لنفسه بمعناه، وبحسه بالغداة والعشي يريد وجهه وهو وجهه، يريد وجهه بوجهه، ويؤمن بالله فيه وبالله معه، وينشد الله وهو معه ليراه ويسمعه. يراه في مرآة أخيه. يراه في مرآة مؤاخيه. يراه في نفسه تتعدد. يراه في قديمه يتجدد. يراه في جديده يبقى ويبقى ويبقى بباقٍ منه من قديم متلاحق لا يتناهى في جديد متجدد لا يتناهى.

هكذا عرف محمد ربه وهكذا أشهد محمد ربه، وهكذا عرف محمد ربه في الناس كما عرف ربه في نفسه. عرف ربه في الناس فقدم الناس، وعرف ربه في الناس ببقاء الناس، وعرف ربه في نفسه بقديم نفسه وببقاء نفسه. وطلب إلى الناس أن يعرفوا ما عرف، وأن يشرفوا بما هو به شرف، وأن يلاحقوه في ركابه ما بين قبر ومنبر تنشق عنه الأرض، وتنطبق عليه الأرض، وتمده السماء، ويحيا بالسماء، لا يرى في السماء سموا، ولا يرى في إطباق الأرض مذلة، ولا يرى في عجز الإنسان وهو العاجز أمام الرحمن وهو القادر، هوانا أو مذلة، بل يرى المذلة كل المذلة في عزة النفس بما به تعتز وإن كان من عزة الله، ما فصلت العزة عن الله نفسا معتزة به في معنى منفصل عنه.

اللهم إني أعوذ بك أن أكون بك مغرورا.

يزعم الأذلاء أنهم بهذا الذليل إلى ربه أعزاء بعزة أنفسهم لا بعزة الله قادرين، وبضعف أنفسهم لا بقدرة الله. فما الله بمذكور لهم في قلب، ولا على لسان، ولا في جنان، ولكن في وهم من زعم، وفي حال من بهتان.

ومثال الكمال ما بين قبره ومنبره. ما بين قبره يناديه فيحتويه، ومنبره يتهيأ له فيعتليه، جديدا بعد جديد، وبعثا لقديم من قيام بعد بعث في قيام بعد قيام. لا يصل صوته إلا من أتى الله بقلب سليم. لا يصل إلا إلى قلوب تفتحت بفطرتها وبرغبتها وبطبيعتها ومن تلقاء نفسها ملهمة من ربها.. مدركة برسوله في عقولها.. مؤمنة بالله لا عن كتاب ولا عن رسول.

فجل الله عن أن يعرفه رسول. جل الله عن أن يكون من رسول عليه دليل.

إن الله في فطرة الناس. إن الله في وجود الناس. إن الله في وعي الناس. إن الله في صدق الناس ما صدقوا أنفسهم.

إن الله يحول بين المرء وقلبه. إن الله يحول بين عبده من معناه وبين خلقه ممن جافاه في مجافاة نفسه.

إن الذي لا يرعى نفسه بالحياة ليس جديرا بالحياة، وإن الذي لا يدرك الحياة باعتقاد ديموميتها بمعنى الحياة من الحي القيوم ليس جديرا بأن يبقى متمتعا بهذه الحياة، فليخلق نفسه بحياة الله فيه على ما يريدها من العدم فيه.

إن الحياة لا تخلق ولا توهب. إن الحياة أبدية أزلية تتلاقى بأوليتها وبآخريتها. تتلاقى بآخريتها من قديمها مع أوليتها من جديدها في الناس. فالأول والآخر والآخر والأول معناهم وحياتهم، ما آمنوا بالحياة يحيونها، وآمنوا بالقديم يبعثونه، وآمنوا بالباقي يوجدونه، ويجددونه، ويوسعونه.

إن من لا يؤمن.. إن من لم يؤمن بأن الله في معناه أقرب إليه من حبل الوريد، قائم عليه بما كسب، ومن ورائه محيط بما فعل وبما يفعل وفيما يعمل ليس جديرا بأن يكون لله عبدا وليس جديرا بأن يصلح لأن يتعارف مع كله وهو جزؤه. فأنت جزء الكل من الوجود من الله.

يبدأ الله الوجود مع كل موجود بدايات من بدايات وبدايات في دوائر لنهايات من قديم لا يدرك تتبعه في حاضر لا يحاط بوجوده بنظام باقي لا ينتهي أثره ولا ينقطع خبره.

إن الله يبدأ الوجود مع كل موجود، وإن الله يبدأ الرسالة مع كل عقل، وإن الله يبدأ الحقيقة مع كل نفس. وإن الله يظهر بطلعته مع كل تجمع على حكمة. فأنتم بداية الله وأنتم نهاية الله وأنتم وجود الله

وأنتم عوالم الله في عالم لله. لا تغيبوا الله عن معانيكم، ولا تنؤوه عن مبانيكم، ولا تباعدوا بينكم وبينه بموروث من خطيئة، أو بموروث من إدراك، أو بمنقول من وعي.

أمامكم كتب الله تحسسوها بقلوبكم، واقرأوها ببصائركم، وتعشقوا الله في عشق جمال الحياة تحيونها. وخذوا عنه متعلمين بما تشهدوا من آياته إن أدركتموها فكنتم فيه وبه معلمين.

لا تكونوا ببغاوات لأديان ولا تكونوا نقلة لعرفان، خذوا العرفان لأنفسكم لتعرفوا، وتفتحوا بآذانكم للببغاوات لتسمعوا عله يتفتح بين جوانحكم من آذان، وعله يتواجد في وجودكم لله عين بها يشهد الله كما يشهد الله.

إنكم تشهدون الله والله يريد أن يشهد نفسه بكم في شهودكم له في أنفسكم وفيما يحيط بكم.

إن عيونا للبصائر لها فيكم مواضع ولكنكم لهذا لا تدركون إلا من تفتحت فيه العيون، وقد دعاكم لهذا رسول الله وعبد الله وعين الله، وما زال يدعوكم إليه.

يقوم بينكم بين قبر ومنبر ليفتح من رياض الجنان أبوابا، وليجعل من هؤلاء المسودين أسيادا، وليجعل من العبيد أربابا، وليجعل من الأسرى أحرارا، وليجعل من الموتى أحياء، وليجعل من التقيد إطلاقا، وليجعل من الظلام نورا.. وليجعل من الجهل عرفانا، وليجعل من الفرد إنسانا.

كل ذلك أتاه رسول الله وترك أثره وردد الناس خبره ولكن! وقد عرفوه قد تجدد المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة، ما بين قبر ومنبر.. قبر تعدد في قبور ومنبر تعدد في منابر، وعبد تعدد في عباد ورب تجدد في أرباب، ووجه تجدد في وجوه فتحا لأبواب الرجاء. هل كسبوه؟ هل لاحقوه؟ انتظروه وما عرفوه. ولاقوه وما نظروه. وذكروه وما خبروه. وزعموه وما حققوه.

(لا جديد في الحق)[1] كما (لا جديد تحت الشمس)[2].

إن الناس هم الناس في قديمهم وفي حاضرهم وفي مستقبلهم. وان الله هو الله في قديمه وفي حاضره وفي قابله. وإن الرسول هو الرسول فيما كان وفيما يكون وفيما هو فيه كائن.

قامت أمة محمد على قلة من بيت. وقامت بيعة محمد على غلام من أهل. وقامت رسالة محمد على قبر من حرم. وعلى مثالها قامت رسالته قيامة بعد قيامة ورسالة بعد رسالة ما بين قبر ومنبر. فعمُرت رياض، وتفتحت جنان، وأزيل في أناس بهتان، وقام بهم لهم في الله إنسان، وبنيان، وعنوان.

(لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك خير لك من الدنيا وما فيها.)[3] صدق رسول الله في قديم رسول الله، وصدق رسول الله في حاضر رسول الله، ويبقى صادقا رسول الله ما بقي الوجود، وما بقي الله ورسوله.

ها نحن نكبر الله ونصلي على رسول الله أربعة عشر قرنا كما نزعم، وكم كبر الله من قبل، وكم صلى على رسوله من قبل.. ألفاظا تنطقها الجوارح ولا تكسبها بعملها القلوب والقوالب.

أو يظن الناس أنه ما عرف رسول الله إلا بمحمد منهم؟ أو يظن الناس أن محمدا رسول الله هو أولية رسالة الله على ما شهدوا؟ إذا عرف الناس أن محمدا ليس أولية رسالة الله على ما شهدوا، ألا يدرك الناس أنه لن يكون نهاية رسالة الله؟ إنه نهاية وصلة من رسالة الله، وبداية وصلة في رسالة الله. إنه نهاية وصلة في حقيقة الله، وبداية وصلة في حقيقة الله. إنه بداية وجود لله كما أنه ثمرة قديم من وجود الله. وأصل لجديد من حق قيام الله.

إن محمدا في مبناه، وإن محمدا في معناه، وإن محمدا في مجلاه، وإن محمدا في قديمه، وإن محمدا في عديمه، وإن محمدا في نديمه، وإن محمدا في نوره، وإن محمدا في ظلامه، وإن محمدا في ناره، وإن محمدا في ترابه، إنه قانون من قوانين الله وحق من حقائق الله، قامت لقيام الله بلا بداية، وبقيت ببقاء الله بلا نهاية، وبلا احتجاب أو حجاب. وتدوم بدوام الله بلا حجاب أو احتجاب، ولا انتهاء ولا ابتداء.

إنه الناس.. إنه الناس في فرد.. وإنه تكاثر الناس في جمع.. إنه آدم.. إنه آدمهم.. وأبناء آدمهم.. إنه معناهم من حيث مبناهم على مثال من مبناه.. إنه معناهم من حيث معناهم من الله.. وإنه الرجاء والمرتضى.. وإنه النعمة والبلاء.. إنه الحكمة والجهل.. إنه النور والظلام في الناس في أنفسهم في معارفهم.. إنه الالتواء والهداية فليس في الحقيقة الكبرى التواء، كما أنه ليس في الحقيقة الكبرى اهتداء، فاهتداؤها إن فهم على اهتداء فهو الالتواء. والتواؤها إن فهم على حق وابتلاء فإنه الاهتداء.

إن الحقيقة الكبرى صمدانية في وجودها وبقائها وفي حكمتها، وقد جاء محمد بكل ذلك ليعلمه ويظهره. فنزل إلى الناس حيث الناس، وارتقى بهم حيث يرتقي الناس رقيا بعد رقي. نزل إلى الناس في الأرض مع النازلين وارتفع بهم إلى السماء إلى عليين، قائما بهم باسم القيوم أبا في آبائهم، ذاتا في ذواتهم، نورا في نورهم، ظلاما في ظلمانيتهم.

هذا هو رسول الله خرج للناس وشهد بالناس، رب الناس يدركونه، ويسمعونه، ويرونه، ويعرفونه ولا يتوهمونه. أما كيف؟ وأما متى؟ فكل على قدر مكانه.

بكل هذا جاء رسول الله، فكانت رسالته في ذاتها ختما لرسالات الله بذاتها جامعة لها قائمة بها، حلقة متصلة بحلقات قائمة بقيامات، بها ظهر الله من وراء الناس محيط، وبها قام الله على كل نفس بما كسبت، وبها تعارفت أبعاض الله في وحدة أبعاضه. فما تجمعت هذه الأبعاض إلا كان الجامع لها معها، {وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا}[4].

وبذلك كان الله الأكبر في أبعاض الله من الأصغر في التئام جمع على نواة منه.

وهكذا يكون الله ظاهرا، وهكذا يكون الجمع في تجمعه كبيرا متكبرا عاليا متعاليا قريبا منزها. فكان الظاهر والباطن مع رسول الله ملتقيان، وكان الأول والآخر في معناه صفتان منهما بدأ الله بدءً بظهور في الناس، وأعاد الله هذا البدء مرة بعد مرة بلا نهاية لما بدأ إلى انتهاء لأنه اللامتناهي المعطي عطاء غير مجذوذ.

وبذلك أصبحنا نشهد البداية ولا تعلم لنا النهاية، فقامت برسول الله بداية وبداية ما بين قبر ومنبر، لا تعرف لهذه البدايات حدودا في نهاية، وهكذا يكون ظهور الحق لا يظهر إلا في بداية من الحق في صور من خلق لأنه لانهائي، ولا يدرك إلا للانهائي في إدراك الإنسان لنفسه بمعاني الحق والدوام.

فالله خالق لنفسه صورا دائما وأبدا، ويخلق الله صوره دائما وأبدا، يبدأها مع كل ما خلق من موجود. ونصيب الإنسان في هذا المعنى أرقى من نصيب الكثير مما خلق. (ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[5]، والإنسان هو ظاهر الله فإذا قلنا لا إله إلا الله ودخلنا حصن لا إله إلا الله مع من دخل كنا في قيادة من رشاد، وكنا في طريق من سداد، وكنا في مباعدة وبعد عن مجادلة وعناد من جهل أنفسنا.

على هذا قامت سائر ديانات الله في بدايات من رسله لا ينقطع دوامها ولا ينتهي أمرها. أما ما مثله رسول الله من أنه خَتْم أنبيائه فهم بداية عبده وهو ما به انتهى من أمر العبودية لله، وبه قام عبدا لله، وبقيامه عبدا لله في الناس انقطع عصر الأنباء لأنه ما عادت هناك حاجة إلى الأنباء إنباءً عن الله.. إذ لا يصح الإنباء عن الله بعد قيام وحدانية الله بعباد الله، وسفور عباد الله بمعناهم من الله. فلا يليق بعد هذا أن ينبأ عن الله، وهذا ما انقطع بقيام رسول الله بانقطاع النبوة وبقيام عبادا لله. وهذا ما لم تدركه البشرية ولا المحمدية وغيرهم من الناس لأنهم لم يعرَّفوا بما عرَّف عنه رسول الله من أن قيام العبودية قاطع لقيام النبوة، لأن قيام العبودية يجعل الله قريبا قربا لا يحتاج إلى أبوة ولا روح قدس،

وأن العبد يعرف ربه ويقوم بربه، وأنه في حضرة ربه، وأنه موجود بوجود ربه، وأنه باقي قرين بقائه، ما وصف عبد برب، في حقيقة الله.

وكان محمد هو الموصوف بهذا المعنى، وهو المتجدد بهذا المعنى تجددا لا ينقطع في الناس بأناس يقع عليهم اصطفاء الله ورسوله، وبذلك يقترن ذكر محمد بذكر الله (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

ندعو الله أن يطلعنا على دنيانا وأخرانا، ويعرفنا خلقنا وحقنا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

من لا يعرف كيف يخدر لا يعرف كيف يرتقي

ومن لا يعرف كيف يموت لا يعرف كيف يحيا

ومن لا يموت من حياة لا يحيا من موت

مصادر التوثيق والتحقيق

1 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

2 (مَا كَانَ فَهُوَ مَا يَكُونُ، وَالَّذِي صُنِعَ فَهُوَ الَّذِي يُصْنَعُ، فَلَيْسَ تَحْتَ الشَّمْسِ جَدِيدٌ." (جا 1: 9). العهد القديم. وصارت حكمة متداولة.

3 استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم." أخرجه البخاري ومسلم.

4 سورة المجادلة - 7

5 مقولة صوفية.

(٢٢)

الموجود والموعود من أمر الله
هل صدقنا في طلبه فتابعناه؟ فكنا إياه؟

حديث الجمعة

٢٥ ذو القعدة ١٣٧٩ هـ - ٢٠ مايو ١٩٦٠ م

سلام الله على عباد الله، وعلى من آمن بالله، وعلى من اتقاه، وعلى من قبله ربا وارتضاه. الحمد لله لا شريك له، فلا يُحمد سواه. أتوكل عليه وأستعين به وأعمل باسمه رجاء رضاه.

والصلاة والسلام منه على كل من أرسله، وعلى كل من عرفه فأنبأ عنه، وعلى كل من علَّمه فعلَّمه، وعلى كل من قرَّبه فقرَّبه إليه، وعلى كل من شَرُفَه فَشَرُفه الناس بالشرف من القرب منه.

الصلاة والسلام على كل ما أوجد، وعلى كل ما عبَّد، وعلى كل ما أشهد. لا حياة إلا بالصلة به، ولا وجود إلا بالصلاة منه. الدين في وصلته والصلاة في قبلته، والكرامة في عزته ومرضاته وخشيته.

لا إله إلا هو. موجود لا ينقطع جوده ولا يختفي عن العارف وجوده. موعود لا ينقطع الرجاء فيه والرجاء منه والرجاء إليه فهو الموعود لكل طالب له. قديم أزلي عال متكبر. لا ينال ولا يدرك في قدمه.. القدم من خلقه ومن فعله. تنزه في قدمه عن القدم، كما تنزه في حاضره عن الحضور، كما تنزه في قابله موعودا عن الوعد، كما تنزه بقضائه عن الوعيد.

لا إله إلا هو. سبح نفسه بنفسه، فكان العابد قبل أن يكون المعبود، وكان المعبود قبل أن يكون العابد.

جعل أمانة العلم عنه فيمن أوجد ليعلم هذا العلم عنه، في علمه عن نفسه. لا يحيط محيط بعلم عن نفسه إلا بما شاء.

جعل الإنسان كينونة صالحة للعلم عنه في العلم عنه.

جعل الإنسان كينونة صالحة للعلم عن المعبود في صلاحيتها للعلم عن العابد. جعل الإنسان كينونة صالحة للعلم عن الرب في صلاحيتها للعلم عن النفس. جعل الإنسان الأول لجديده كما جعل الإنسان الآخر لقديمه. كما جعل الإنسان الظاهر لباطنه عين ما جعله الباطن لظاهره. جعل الإنسان من عمله.

جعل الإنسان هو عين عمله. من يعمل مثقال ذرة يراه مما عمل ربا له، ويراه وما عمل نفسا له. فهو وعمله شيئان، وهو وعمله أمران، وهو وعمله قضيتان، وهو وعمله حقيقتان.

{من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها}[1].. إنه ما أوجد ما أوجده بعمله إلا ونفسه مطيته إلى ما أوجد، وما أوجد عملا يرتضيه إلا ونفسه هي الرابحة لما ارتضى من هذا العمل، وهي عين هذا العمل، أو الخسارة لما خسرت به وهي عين الخسران.

إن الإنسان عمل غير ممنون. إنه عمل لا يصدر من غيره، وليس هناك من يمن على إتيان هذا العمل غيره. إنه من الله، وإنه إلى الله في كينونته وفي إرادته وفي مشيئته. والله لا يمن على الله، ونفس الله لا تمن على نفس الله، وذات الله لا تمن على ذات الله، وحضرة الله لا تمن على حضرة الله، ووجود الله لا يمن على وجود الله - وإن كانت له المنة -.

فإن عرف من عرف.. وإن أحاط من أحاط فما عرف إلا ما أراد المعروف أن يعرف، وما أحاط إلا بما أراد المحيط أن يحيط - منه وإليه، منه وعنه، منه وبه -.

بهذا جاءت رسالة التمام والكمال. وما كانت كل رسالة إلا رسالة التمام والكمال لمستواها في معارج الله -- منه وإليه -. وفي حقيقتها من حقائق الله - منه وإليه -. موصوفا بالأول - وهو عين الآخر-. وموصوفا بالآخر - وهو عين الأول-.

وما جعل محمد عبدا لله أول عباد إلا قرين وصفه بالآخر -. آخر عباد -. فمحمد إذ يوصف بالأول والآخر من عباد الله إنما توصف ذاته موصوفة بالعبودية لما دلت عليه من أقدس من ذات الله لا تتناهى أقداسها ولا تتناهى الدلالة عليها. وما وصف بالآخر إلا ذاتا ومعنى كذلك، جديد ذات لمعروف قديم من ذات حملت عين معناها من معاني الأول والآخر من عباد الله. دلالة على الأقدس من ذات الله. دلالة لا تتناهى عن قدس من أقدس.. إلى ما شاء الله في صمدي مشيئته عن صمدي ذاته عن صمدي وجوده.

إن الناس يجادلون في الله بغير علم عنه في علم يقوم عن أنفسهم منه. يجادلون في الله بغير هدى به وبغير هدى منه في اهتدائهم إلى معاني العبودية فيهم ومعاني الخلقية بهم ومعاني قيام الخلق بالخالق، دلالة عليه فيمن سمي بالمخلوق. وهو إذ يتخلق بعلمه فيكون عمله المخلوق - بخلقيته - موصوفا بالمخلوق، ويكون مخلوقه هو عين قيام خالقه.. {والله خلقكم وما تعملون}[2].. فيحتجب ما خلق عنه خالقا له بخالقه فيه، بنسبة الفعل إليه، والوجود له، ولا يقوم في الدلالة على خالقه إلا بعلمه عن نفسه وعند معلومه المتخلق

في عين نفسه. وبذلك تكون النفس علما على الأقدس مما عرفت عند الأحدث مما فعلت. وبذلك يكون رسول الأقدس والأقدم من وجوده عند الأحدث والمخلوق من وجوده وفعله.

إذا كان كذلك وأحاط به، إذا علم ذلك وعَلَّمه علم عن الله لا أول له. دلالة على الأقدس من ذاته. وعلم عن الله لا نهاية له معلوما عنده فيما علم عما أحاط به من فعله، يدرك به منشوده ومعروفه ومعلومه من الله. المحيط بوجوده وبذاته. المتجدد قديمه من فعله في جديده من خلقه.

هذه المعرفة هي ما جاء به محمد عبد الله ورسوله على تمام علم بها في نفسه، وعلى تمام رجاء لها من نفسه للناس ممن أعلم وبلغ، ممن واجه وجابه وحادث وكلَّم، وحمَّلهم أمانته، ما شهدوا منه في أن يشهدوا أنفسهم للناس بعده على ما شهدوه لأنفسهم في وجوده وفي شهوده.. مستقيمين على طريقه.. عهد لهم متخلقا بأخلاق الله.. مدركا دوام فعله ودوام تجليه بخلقه ودوام تكنزه عن خلقه بقديم من خلقه، ودوام تكنزه في خلقه بجديد من فعلهم في فعله، ومن خلقهم في خلقه.

عرف ذلك فاختار الرفيق الأعلى طلبا لقديمه وبقاء لمحدثه، وأولا في مرجوه مع محدث من محدَثه. عرف الحق في آدم عنه نشأ، وعرف الحق في آدم عنه ينشأ، وعرف الحق في أديمه، يقوم بمعناه من الحق.

عرف أنه الحق من ربه. وأن ما أنزل عليه هو الحق من منشوده ومعبوده. وأن ما قام به في الناس هو الحق من معروفه، ومن وحدانية معبوده.

صعب هذا القول على الإدراك أو تيسر، فهذا هو الدين! عُرف أو لم يعرف فهذا هو الدين! قُبل أو لم يُقبل فهذا هو الدين! قام فيه قائم أو لم يقم فهذا هو الدين! من أراد الدين في الإسلام أدركه. ومن أراد أن يكون على دين قدَّره. ومن عمل ليكون في دين يُسر له فهو في دين من وضعه، وليس في دين من فطرته.

أما من أراد أن يكون في دين من وضع نفسه ومن قيام حسه، ومن خيال مخيلته في خيال وجوده فهذا الدين القيم بعيد عنه، وله في نفسه دينه {لكم دينكم ولي دين}[3].

الدين الذي لا يقوم على العقل يرتضيه، وعلى الحس يرتئيه، وعلى إدراك للبصر يجتليه، مسموعا للسمع يستهديه فيهديه، قائما في القلب يستجليه فيجليه، ويتجلى فيه فيرويه، فليس بدين محمد، ولا يكون صاحبه في أمة محمد إلا ما كان على ما كان فيه محمد، وتجلى له، وتجلى فيه ما تجلى لمحمد، وما تجلى بمحمد.

إن محمدا فارق التراب لمعناه. إن محمدا فارق الضيق والتقيد في مشاهد مبناه. إن محمدا كان قلبه كعبته وكان قلبه إحاطته وكان في رسالته رسولا بعين وجوده. فكان القلب لمن أحاط به وكان المحيطون به

بمشاهده ما بقوا في إحاطتهم من صحبته، ولم يتناثروا من حلقته، وإلا فقد فقدوا معانيهم به إلى معانيهم بأنفسهم. لا أمة له ينسبون، ولا خلاصا به يخلصون. فلا قلب لهم بعين قالبه، به يقومون، وله يشهدون.

إن محمدا ودين محمد ورسالة محمد وكتاب محمد لا يقوم على أساس من وصف لقديم في الإنسان، كما لا يقوم على أساس من جديد على موصوف الإنسان. فالموعود عند محمد إنما هو حياة النفس بحياتها في الله. والمعبود عند محمد صمد في صفاته، صمد في وجوده، صمد في جوده، صمد في معناه ليس له صفات الحوادث.. لا يُخلق ولا يحاط به.. يُدرك ولا يدرك.. يتحقق به الخلق، فيصيرون بتحققهم حقا، وقد كانوا قبله خلقا.. ولم تنقص وحدانيته بخلقيتهم، ولم تخدش حقيقته بحقيقتهم.

فلا موعود عندهم ينتظرون ـ ولم يبقَ إلا الوعيد ـ وقد قامت الديانات من قبله على الموعود فكان هو موعودها، فقامت به على المشهود وكان هو مشهودها، {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}[4]. وبذلك كان آخر الأولين، وموعود الراجين، ومرجو الموعودين.

حقق الله الوعد والرجاء للموعودين من السابقين فصلى بهم إماما للنبيين. وقام عبدا في الأرض والسماوات يؤم المصلين ويصلي في المأمومين. يمتد فيهم بوجوده وبسجوده فيمتد الله في الناس بجوده، وهو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[5]. هو المخاطب في التكليف في الخلق والمخلوقين، وهو المخاطب في الرسل المكرمين، وهو الموصوف بالعبد في العابدين، وهو الموصوف بالحق في عظمته وإنسانيته وكيل على المتوكلين. فهو هو. هو التوحيد وهو التثنية وهو التثليث وهو التخميس وهو التسبيع عند المعددين، وهو التوحيد عند الموحدين، وهو القرب عند المقربين، وهو الغيب عند المنزهين، وهو الشهادة عند العارفين.

فهل وصف أو اتصف محمد من الواصفين؟ وهل أُدركت رسالته وهو الجليُّ الأمين؟ وما كان بينهم على الغيب بضنين. علم الغيب والشهادة عند المؤمنين. علم ما كان وما يكون فأعلمه ولطالب علَّمه، ولطارق للسبيل يسره. ما غره ولكن قدَّره، فسقاه على ما طلب، وقدر ما أطاق، لا مُيئسا من مزيد، ولا مانعا عن جديد، ولا مُحرِّما لقديم يُشهد، أو لقائم له يتعبد فيتجلى فيعبد، فيدركه معبودَه في شرف عبوديته بإدراك موجوده من عين موجده في شهادة أن لا إله إلا الله، وجها له ـ وهو الأكبر ـ ويدا له ـ وهو الأقدر ـ ووجودا له ـ وهو الأبقى والأعظم ـ في شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن الله أكبر.

ولا يشهد شاهد هذه الشهادة إلا إذا شهد أن محمدا رسول الله.. إلا إذا شهد أن محمدا رسول الله فيشهده محمدا في وجوده بوجوده، وأنه لا إله إلا الله. ويعلمه محمدا بعلمه في علمه بأن الله أكبر.

هذا ما جاء به دين محمد، وهو كلام غريب على الآذان. وهو كلام يبدو ثقيلا على الأفئدة والوجدان، لأن الناس يريدون أن يكونوا بما هم فيه من دين على ما وهموا أنهم في دين محمد، وأنهم له قد عرفوا وبه قد شرفوا. إذا خال المريض أنه سليم وأنه معافى عزَّ عليه الدواء، وهان عنده أمر الطبيب بإغفاله عن الاستدعاء.

إن مقياسكم أن تقيسوا أنفسكم على من جُعل لكم أُسوة. هل خاطبتكم الملائكة في الطرقات وفي الفُرُش حتى تكونوا في قوم محمد، وفي ذات محمد، فتتواجدوا في أمة محمد؟ هل شهدتم الله في كل ما يقع عليه نظر لكم؟ هل سمعتم الله في كل ما يتقبل سمع لكم؟ هل أحسستم جمال صوت الله في كل صوت يطرق طبلة آذانكم؟ هل أدركتموه المتحدث في كل حديث؟ هل أدركتم في كل حديث حكمته؟ هل أدركتم في كل مكان في الوجود آيته؟ هل خشيتموه فأدركتم معنى الخشية؟ هل أحببتموه فأدركتم معنى الحب؟ هل اتقيتموه فأدركتم معنى التقوى؟ هل استعنتموه فأدركتم معنى العون؟ هل استبنتموه فأدركتم معنى الاستبانة؟

إنكم تتحسسونه في ألفاظ. وتتخيلونه في مواجيد. إنه الله في عظمته. إنه العظيم في قربه. إنه القريب في بعده. إنه الحي القيوم. إنه نور السماوات والأرض. إنه حياة الأحياء. إنه ذات الأشياء. الوجود وجهه، والوجود طلعته. أينما تولوا فوجهه.. الإنسان عبده، والكون بيته. كل شيء من أجله خلق، وبيده ولنفسه، ومنه وبإرادته.

أين نحن من وصف الإنسان؟ أين نحن من العبودية للرحمن؟ ما دب عباد الرحمن على الأرض هوانا بهم، ولكن هوانا بها. فإنها لهم لا تقل وسمواتها لهم لا تظل. إنهم فوق السماوات بأقدامهم يدبون على مثال مما هم عليها يمشون. فهم مهما أهانهم أهل الأرض عند أنفسهم لا يهونون. إنهم أطفالا يعاملون، وأطفالا يخاطبون، وأطفالا أمام أعينهم يشهدون، وحقا من الله لهم يشهدون، وبرحمة منه يدانون، وبحكمته يتجلون، وبفضله لا يمنون ولكن يعطون ولا يمنعون، وأحواض ماء الحياة مملوكة لهم يوردون، بنظراتهم يحيون ما ينظرون، وبأنفاسهم يحيون من إليه يتجهون، وبأيديهم يباركون من يلمسون.

ما لكم كيف تقدرون؟ أفكلما جاءكم من الحق آت من ذكر محدث له تنكرون؟ {ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون}[6]! وأوزارا مع أوزاركم تحملون! إلى متى أيها الجاحدون تجحدون؟! وما عَلمكم المُعلِمون إلا عن قريب بينكم من الله، أنتم معه تتخاللون فتحيون إذ يتخللكم فتوجدون.

ما عرَّفكم الموعود ـ وقد جاءكم بالإسلام ـ عن نفسه، ولكن عن أنفسكم. وأبيتم إلا أن تزعموا أنكم عرفتموه وما عرفتموه وهو الموعود لمعانيكم وتطوركم، وما قدرتموه وهو الساعة لبعثكم. ساعتكم معه ما أقامها مقيم إلا ما ندر. وهو القيامة وما أقامها به مقيم منكم، إلا من عرف وصبر. فهو عن أرض النفوس ينشق ويتواجد، لا عن أرض التراب على ما وهمتم فزعمتم منه يتجدد فيتعدد.

فإذا قال لكم (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[7]، انتظرتم التراب وما عناه ولكن عناكم. ما التراب إلا أنتم ومعناكم، فأنتم أطرافه! وما التراب إلا أنتم وأنتم أوصافه! وما التراب إلا أنتم وأنتم أعرافه!

أسفر لكم الحق فجمدتموه، وجاءكم في جديده فأنكرتموه. وباسم الذكر ذكرتم اسمه. وباسم التراب من تراب أنفسكم ذكرتم وسمه. وما دعاكم لتكريم التراب ولكن للتخلص منه. ألم يقل لكم (كلكم لآدم وآدم من تراب)[8]؟ ألم يقل لكم على لسان ربه {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم}[9]؟ أشهدناهم على أنفسهم. شاهد ومشهوده. موجد وموجوده {ألست بربكم}[10].. والله من ورائهم محيط.

إن هذه صنعة آدم وهي لكم تكون، ولكن الله يطلبكم ومحمد يدعوكم لتكونوا لله حضرة، لتكون لله حضرة محدثة من حضرة قديمة - لله حضرة محدثة في جديد تتخلقون بأخلاقه، وتتصفون بأوصافه. ألم يقل لكم (تخلقوا بأخلاق الله)[11]؟ ألم يقل لكم (إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بإحداها دخل الجنة)[12] ؟ هل أدركتم لمَ عددها وحددها بثلاثمائة؟ لماذا جعل الأسماء الحسنى ب ٩٩؟ هل تجولت المدارك في ذلك؟ هل حاول فقه المسلمين إدراك ذلك؟ هل حاول فقهاء المسلمين أن يدركوا ما غمض على الناس فيقدموا لهم فيه خدمة؟ هل حاول فقهاء المسلمين أن يكونوا أتباعا للعارفين بالله حتى يستقيم فقههم، ويستقيم أمر الله في مجتمعهم في عصر من العصور على تعدد وتكرار لفرصة، أم واصلوا عملهم على موهوم من العلم، وموهوم من القول واللفظ، وبمنحوت من الحرف؟ يمدون موائد الضلالة باسم موائد اليقين!

متى كانت العقائد خاضعة لفقه الفقهاء وقول القائلين؟! إن الفقه ثمرة للعقائد وليست العقائد ثمرة للفقه. لقد كانت أمة محمد - من قبله ومن بعده في فقه وكانوا فقهاء. وكانت أمة يحيى وعيسى - من قبلهما ومن بعدهما- في فقه وكانوا فقهاء. ألم يقل كتاب محمد أو كتاب الله معه {الذين كفروا من أهل الكتاب}[13]؟ ووصفهم بالذين كفروا ووصفهم بأنهم من أهل الكتاب!

متى كان الكتاب أساسا لدين أو أساسا لعقيده أو أساسا ليقين؟! ما الكتاب إلا عون من الله وهو المعين، وإرشاد من الله وهو المرشد، وهدي من الله وهو الهادي، وقيادة من الله وهو القائد. إذا لم يكن الله في الكتاب فلا كتاب. وإذا كان الكتاب حجابا فطأه بالأقدام.

إن الله هو المنشود، وإن الله هو المعبود والمفقود، وإن الله هو الموجود. ألم يقل لكم {يضل به كثيرا}[14] كما قال {يهدي به كثيرا}[15]؟

أعطونا صورة من الضلال به خيرا مما تشهدون ممن يزعمون حمله وهم لا يحملون، ومن يزعمون تلاوته وهم إنما بألسنتهم ألفاظه يلوكون. لا قلوبهم يلمس ولا نورَه يلمسون.

إن خطباء أمته على ما وصف صلى الله عليه وسلم عند معراجه (بمقارض من النار تقرض شفاههم وألسنتهم فيسأل فيجاب إنما هم خطباء أمتك يا محمد)[16]، وهو الأمين يحمل هذا القول للناس حتى يتجنبوا من أمته الفاسقين الذين هم بدين الله يأكلون، وبدين الله يلبسون، وبدين الله يطعمون، وعن دين الله أنفسهم وأولادهم يمنعون.

عباد الله إلى متى تجهلون؟ جددوا في كل وقت إيمانكم، وجددوا في كل زمان شهودكم، وجددوا في كل قيام قيامكم على سنن من رسول تذكرونه بألسنتكم ولا تعرفونه بعقولكم، ولا أقول بقلوبكم وهو بالقلوب يحل ويعرف ويلمس ويدرك، وهو بالعقول يُكبَر ويُذكر وعنه يؤخذ، وهو للنفوس يزكيها بتحريرها من أوانيها منشقة عن أراضيها.

هذا هو محمد على ما يجب أن تعرف لتكونه. وعلى ما يجب أن يوصف فتتبعونه، وبه الدنيا عند عارفه تهون. صلوا عليه بالصلة به لا بألفاظ تلوكها الألسن صلة تقشعر منها الأبدان، ويحيا بها الوجدان. فإن قديما من الله من الإنسان، يصله فيصلي عليه وفي ذلك له ولرسالته الكفاية وله به عن الناس غنية.

إنه صاحب السبح في النهار. إنه صاحب السبح الطويل. إنه رسول الله للأولين والآخرين. للأولين بأوليته، وللآخرين بآخريته، وللحاضرين بحاضره.

لا إله إلا الله محمد رسول الله. لا إله إلا الله بوحدانيته نشهده، ومحمد رسول الله بانشقاقه عن أرض نفوسنا نجدده. نشهده ونتواجده، وبرحمة الله نَسْعَدُه ونُسعده. لا إله إلا الله محمد رسول الله. بها وجدنا، وبها نقوم، وبها نتواجد أبد الآبدين، وأزل الآزلين، بها نسعد وبها نحن السعداء، وبها سعدنا في قديم. لا إله إلا الله محمد رسول الله. اجعلوا منها غذاءكم، واجعلوا منها حياتكم، واسألوا الله بها رحمته وسكينته أن ينزلها على قلوبكم، وأن ينزل بها السلم والسلام على أرضكم. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

(إنا نصلي للروح الأبيض العظيم حتى نستحق حقيقة أن نكون أولياءه. نحن جميعا الذين نجاهد في سبل شتى لأن نكون وسطاءه، ولننقل قوته ومحبته وحكمته. فلنعرّض أنفسنا للامتلاء بإشعاعه، ولنسمح للروح الأعظم الذي بداخلنا جميعا بأن يتجلى ويعبر عن ألوهيته حتى يمكن التعرف علينا بالحقيقة التي نحن عليها جميعا. إننا أطفال الروح اللانهائي الذي تعلقنا به برباط الحب الذي لا ينفصم خلال كل الأجيال، ولا يمكنا أن نغيب عن حضرته، كما لا يمكنا أن نكون حيث لا يوجد هو).

عن الإنجليزية ـ من تلخيص لحديث عن الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة فصلت - 46

2 سورة الصافات -96

3 سورة الكافرون -6

4 سورة الإسراء -81

5 سورة الشعراء -218، 219

6 سورة البقرة - 87

7 من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقَّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

8 حديث شريف: "كلكم بنو آدم وآدم خُلق من تراب." أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد

9 سورة الأعراف -172

10 سورة الأعراف - 172

11 استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبزار والترمذي الحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلي. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة "، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني

12 حديث شريف، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخريج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وأخرجه الطبراني.

13 سورة البقرة -105 -11 ، سورة الحشر -2، سورة البينة -1 ، سورة البينة -6

14 سورة البقرة -26

15 سورة البقرة -26

16 من حديث شريف ذات صلة: "مرِرْتُ ليلةَ أَسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: خُطَباءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ بِهِ." أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلي.

(٢٣)

إن قضية آدم وكلماته هي قضية الدين
فهل عبَّد الناس أنفسهم لذلك وعن يقين؟

حديث الجمعة

٢ ذو الحجة ١٣٧٩ هـ - ٢٧ مايو ١٩٦٠ م

اللهم إنا إليك نجأر، وباسمك نقوى فنقدر، فنعرف فإليك نستغفر. اللهم إنا بك نحيا وبك نغيب. لا إله غيرك ولا معبود سواك. نشهدك واحدا لا شريك لك. ونشهدك قادرا لا خصيم لك. ونشهدك موجودا واحدا لا وجود لغيرك مع وجودك. ونشهدك غنيا منعما لا جود إلا جودك، ولا وجود لجود مع جودك.

باسمك نسترحمك. وباسمك نستهديك. وباسمك نستجيب لك. وباسمك نستقبلك. لا ظاهر إلا أنت. ولا متعالي ولا غيب إلا إياك. أنت الظاهر بظهورنا إن عرفنا. ونحن الغيب فيك بغيبك إن أنصفنا. يا ظاهر كريما بظهوره. يا غائب رحيما بغيبه.

أرسلت لنا الهدى في المهتدين، وعرفتنا الحق في العارفين، وأقمت الإنصاف بالمنصفين، وأنطقت الكتاب بالعالمين، وهيأت الطريق بالأئمة السالكين.

لا إله إلا أنت.. ارحمنا برحمتك في المرحومين، واغفر لنا بجودك في المغفورين، وألحقنا بكرمك بالصالحين.

أظهرت محمدا على كل الدين، وحققته بكل اليقين، وقومته فكنت خير المقومين وكان خير القائمين. عبدته لذاتك وللأقدس من ذاتك، ووحدته بروحك وللأعظم من روحك. جعلت منه معنى الإنسان، وجعلت منه وجه العنوان، وجعلت منه آدم أكوان، وأخرجت منه أوادم لدور، وجعلت المعرفة به بعثا لنشور، فكان المبعوث بالأمر المبين، فكان المبعوث بالأمر المطاع، فيمن بعث فيهم من السعداء المتقبلين. وجعلت فيه وبه بعثا من بعد بعث، وجعلته قبلة للناس تتجدد فتدوم ولا تنقطع، فيُغُمَّ الأمر على الناس اختبارا واعتبارا.

جعلته بيتا لا يغيب، ووضعته للناس عنوانا للمحبة، فيه يتحاب الناس، يحبهم ويحبونه يرتضيهم ويرتضونه. وجعلت بيته قبلة للحجيج، وقبلة للصلاة، وقبلة للطواف. وأضفته إلى نفسك بيتا لك فكان بيتا لله، أهله أهل بيت الله، والطائفون حوله طائفون حول بيت الله. لا ينقطع حوله الطواف في ظلام الليل أو ضوء النهار. سبحان الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي يتصف بيته بصفاته، وبصفته لا ينام فيطوف الناس به في دوام.

إن الله قد أظهر محمدا على الدين كله. قد علَّمه وأعلمه الدين كله فحمل الدين إلى الناس بقيام ذاته وظهور صفاته. وحمل الدين إلى الناس بكتاب أُمر فبلّغه، وبسنَّة أُدب فأظهرها، وعلَّم الناس بحب غامر يصدر عنه، وعفو شامل يصدر منه. لا يدين أبدا، ولا يكره أبدا، ويعتذر عن الناس دواما قبل أن يعتذروا إليه. وينصفهم من أنفسهم قبل أن يجادلوا بها.

فهو السيد السمح الغفور الذي جُعل أسوة للناس من رب الناس ملك الناس إله الناس. بالارتباط به يستعيذون من شر الوسواس الخناس. ببعثه فيهم وقيامه بهم يستعيذون من شر الوسواس الخناس من أنفسهم. به يبدلون من أوصافهم إلى وصفه، ويتخلصون من أرجاسهم إلى طهره. فيهم يقوم وبه لله يسجدون. به يُبدلون، وبه يحيون، وبه يقومون، وبه ربهم يشهدون. يستمعون إليه وإلى ما يصدر عنه، وما يصدر منه، فيتبعون أحسن القول.

به يقرأون صحائفهم وألواحهم في أناجيل صدورهم فيعرفون ما قدمت أنفسهم وما أخرت. فبالخير في أنفسهم مما قدمت يحتفظون، ولما أخرت يعملون فيستكملون. هو الساعة للمتقين وإلى ربه ينتهون. هو القيامة للمهتدين بالحق يقومون. هو الحق للعارفين، هو الكتاب للقارئين، هو كلام الله للسامعين، هو وجه الله للمشاهدين، هو نور الله للأحياء والمستحيين، هو رضوان الله للراضين، هو مالك يوم الدين عند صاحب الدين، هو مالك يوم الدين للمؤمنين. أقربهم منه منازل يوم يعلمون من كانوا على الخلق العظيم.. من كانوا أحسن الناس أخلاقا لا من كانوا أكثر الناس أرزاقا. فالرزق الكريم في القرب من صاحب الدين، نواة الحياة للمستحيين، ووجه الحياة للأحياء المستزيدين.

ماذا عرف الناس عن سيد الناس يوم قال لهم (أنا سيد ولد آدم)[1]؟ ويوم قال لهم (سيد القوم خادمهم)[2]؟ هل استخدموه فتخلف عن خدمتهم؟ هل سودوه فتخلف عن نصفتهم؟ هل عرفوه فقصر في وحدتهم؟

أضاف الناس إلى نفسه على ظلامهم، وجعل نفسه فيهم على ظلمهم. يوم قال لهم: (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة..)[3]، فهو الطائف في طواف الناس على ظلمهم وظلامهم. يحدثهم الله في ذوات نيام من

ذواتهم، فيصلهم على عجل من أمرهم بهديه، ويظهر غيب الله في شهادتهم برحمة رسول رحمته، وبقيام رسوله في قيامه بقيامهم. ولكنهم بجهلهم يتمادون في جهلهم. وبغيهم يعمهون في غِيِّهم، وقد داناهم مريدا رحمتهم ومريدا هداهم فينكرون عليه باسمه وينكرون على الرسول باسمه. والله ورسوله في عيان. والله ورسوله في بيان. والله ورسوله في خدمة الإنسان. يعرفهما فيه محسن. ويعرفهما فيه منصف. يعرفهما فيه صادق في الطلب لهما.

ولكن الناس في غيهم يتباغضون ويتنافرون، ولا يتواصون بحق، ولا يجتمعون على ظاهر من حق، ولا ينصفون أنفسهم بإدراكهم لعجزهم عن إدراك الحق.

إلى هذا أمسى حالهم دواليك على ما كان. وهكذا يستدير الزمان. وإنه ليستدير اليوم على هيأته كيوم خلق الله السماوات والأرض، وعلى هيأته كيوم خلق الله سماوات وأرض بمحمد، وعلى هيأته من يوم خلق الله به سماوات وأرض لآدم بآدم.

إن كلمة الله السابقة على الكون، وإن كلمة الله المنتهي إليها كل موجود هي الأول والآخر لكونها لا ينقطع أبدا عن الأولية إبرازها للوجود، ولا ينقطع أبدا الانتهاء إليها في الشهود.

فآدم في الوجود، وكلمة الله في الوجود، وروح القدس في الوجود، وعبد الله وإنسانه في الوجود، إنما هي قضايا الناس.. إنما هي معايير الناس.. إنما هي مقامات لحج الناس.. إنما هي معارج للناس من رب الناس إلى رب الأكوان والأجناس.

إن الذي جاء به محمد ـ وهو الدين كله وهو الدين القيم ـ إنما يكشف عن أديان في دين، وعن حقائق في حقيقة، وعن معارج في معراج، وعن جمالات في جمال، وعن أمم في أمة، وعن مفردات من الناس في إنسان من الناس.

{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[4]. هذا دين مما جاء به محمد. الناس يجتهدون ويجتهدون في المعروف، يتواصون فيه بالحق، ويتواصون فيه بالصبر. وهذا الدين ينتهي إلى حقيقة أن يهديهم الله به إلى السبيل. دين بدايته الفكر والجهد والعمل من الذات، والنظر إليها، وتكليفها، وامتطائها، والسير بها إلى غاية تتجول فيها النفس ويستشرق إليها العقل ويتشوق إليها القلب.

إن قام الإنسان في هذا الدين ـ وهو دين الفطرة ـ هداه الله إلى السبيل. وما هو السبيل الذي يُهدى إليه الإنسان؟ إنما هو محمد وقته، ومحمد زمانه، وإمام هذه البشرية وآدمها عند من يجتهدون في دين الله على الفطرة. يا محمد بلغ الناس وأعلمهم {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[5] . يا محمد قل للناس إني لن أغيب من بينكم، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[6] قل لهم {وأن هذا

صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}[7]. يا محمد قل للناس (المؤمن مرآة المؤمن)[8]. يا محمد كن للناس أخا، واخفض جناحك للمؤمنين من الرحمة لا من المذلة. يا محمد كن للناس خادما، (سيد القوم خادمهم)[9]. يا محمد تخلق بأخلاق ربك وتأمله كيف يتواضع للخلق، وكيف يقوم على الخلق برحمته وهم يقومون في رحمته بخصومته. يا محمد تخلق بأخلاق ربك، واصفح الصفح الجميل. يا محمد قل لهم أنا مؤمن بربي وأنا مرآة ربي وهو المؤمن بنفسه العابد لذاته، القادر بإحاطته، الغني بوحدانيته. وكن لهم المؤمن بنفسه وبي إذا ارتضوا أن يكونوا من المؤمنين بي وبك حتى يؤمنوا بأنفسهم. إذا ارتضوا أن يؤمنوا بي عرَّفتهم إياك، وإذا ارتضوا أن يؤمنوا بك فعرفهم إياي. عرفهم أن الرب والعبد في الإنسان حق واحد. قل لهم من ارتضى أن يكون عبدا لعبد الله فهو عبدُ لله. ومن ارتضي أن يكون ابنا لابن آدم فهو ابن آدم. قل لهم إني كرمت أبناء آدم من أجل آدم. قل لهم إني اصطفيت آدم لنفسي، واجتبيته، واخترته، ومحوته عن نفسه، وأبقيته بمعناي من أجل كلماتي منه من أبنائه. قل لهم إني (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[10]، فهو عبدي وهو إنسان ظهوري، ووجه طلعتي. وإني على ما فعلت لآدم أفعل لأبنائه. فإني مكرمهم، وإني مشرفهم، وإني أفعل لهم ما فعلت له بفعلي فيهم ما فعلت فيه. لقد تلقى مني كلمات في أبنائه بها اخترته، وبها حكَّمته في أبنائه في ملكوتي فأقام عدلي، وبها حكَّمته في العاجلة لأبنائه فأقام رحمتي. لم يخشَ فيَّ لومة لائم من أبنائه فرحمت به أبناءه. وعلَّمت به أبناءه وعلَّمتُه الأسماء كلها.

يا أبناء آدم.. إني آخذ من ظهوركم ذريتكم. إني مخرج منكم على ما أخرجت من أبيكم من سلالة، ومحكمكم لبعضكم في بعض.. محكم الأب في أبنائه، ومحكم الأبناء في آبائهم. فمن عرف أني من ورائه ومن خلفه محيط، وأنني الحاكم فيمن حكمت، وأنني المختبر فيمن ابتليت، فعرفني في نفسه كما عرفني في غيره، فإني مصطفيه ومجتبيه ومحققه بما حققت به آدم وبنيه من أسمائي.

إن الله قد جعل من آدم يدا له صنع بها، كما جعل منه يد رحمة منه رحم بها. إن الله فعل بآدم على أبنائه مبتليا له. فلما وَفَّى اختباره وانقضى بلاؤه وحل وقت جزائه اصطفاه إليه واجتباه فأمسكته يده. ومنها امتد قادرا فاعلا راحما بلا حساب ولا منة. يأتي وقت لآدم ليعمل من أجل أبنائه. لقد عمل آدم من أجل نفسه فقسى على أبنائه ـ قسوة على نفسه ـ وأقام العدل في أبنائه، وواءم بين إرادته وإرادة ربه في منَّتِه وجزائه حتى رضيه الله، وعرف عن الله، وعرف الله، وعرف رحمة الله، فاستخلفه الله وخلَّفه. فبدأ عمله من أجل أبنائه. تحول من خلاص نفسه والانشغال بها إلى خلاص أبنائه والانشغال بهم. وبذلك كان عبد الله في أوله، وكان رحمة الله في آخره، وكان رسول الله في

دَوامه. كان رسول الله لأبنائه حتى يلحقوا بعالمه.. حتى يلحقوا بحضرته.. حتى يلحقوا بربه في لحاقهم به.

إن قضية آدم هي قضية الدين، وهي قضية الوجود، وهي قضية الإنسانية، وهي قضية البشرية، وهي قضية الكونية، وهي قضية كل نفس.

أظهر الله محمدا على هذه القضية. وبإظهاره عليها أظهره على الدين كله، وأقامه الله في هذه القضية، وبإقامته أقامه في الدين كله، وجعل منه أسوة في هذه القضية، وبهذه الأسوة كان جماعا للدين كله.

إنه آدم، وإنه عيسى، وإنه موسى، وإنه إبراهيم، وإنه المهدي، وإنه بوذا، وإنه كل ما أظهر الله في صفة من صفات الكمال لإنسان في الإنسانية.

إنه العلم والعلماء إن علموا. وإنه الفقه والفقهاء إن فقهوا. وإنه الولاية والأولياء إن تولاهم الله. وإنه الأئمة والمأمومين ما استقام إمام، وتابع مأموم. وإنه الأُمة ما وجدت معاني الأُمة. وإنه الأُمم ما وجدت معاني البشر. وإنه الإنسان ما وجد معنى الإنسان. إنه المعروف العارف. إنه العارف الذي هو عين المعروف. إنه الواصف الذي هو عين الموصوف. إنه المرسَل الذي هو عين المرسِل. إنه العبد الذي هو عين الرب. إنه الوجه الذي هو عنوان الكل. لا تصرفوه إلى شبح من جسد، فكل الأشباح من الأجساد إنما تقوم بحق واحد، هي له عنوان، وهي له بيان، وهي له بنيان. بيوت توضع وبيوت ترفع من لبنات من الأجساد، تعنون ما يقوم فيها من الحق، من حجاب الظلام طورا، ومن حجاب النور طورا.. أطوارا بعد أطوار، وأزمانا بعد أزمان، وقرونا بعد قرون، وأجيالا بعد أجيال.

الناس فيها طبقات. طبقات ترفع، وطبقات توضع. وهم في وجودهم طبقات، طبقات في ألوانهم على ما يعرفون، أو ما يحبون.. طبقات في صحتهم، وفي غنيتهم، وفي مكنتهم.. طبقات في أوصافهم وأبدانهم.. طبقات في عقولهم وفي نفوسهم.. طبقات في قلوبهم.. طبقات في أوضاع اجتماعهم.

يتلاقون في صعيد واحد كما تتلاقى طبقات الإنسان في سماوات من بعد سماوات، وإنسانيات من بعد إنسانيات، وعوالم من بعد عوالم، ووجود من بعد وجود، يتلاقى الكل في الله في صعيد واحد من معرفته.

{وما قدروا الله حق قدره}[11].. إن الله يتصف بعظمته في قربه كما يتصف بعظمته في بعده. إنه الله قريب بعظمته كما أن الله بعيد بعظمته. إن الله قريب برحمته كما أن الله بعيد برحمته. إن الله قريب بقدرته كما أن الله بعيد بقدرته. إن الله قريب بمعرفته كما أن الله بعيد بمعرفته.

كيف يتحدث الناس عن الله إذا لم يكن وضعهم الأول أنهم يفتقرون إلى الله؟ وأنهم الفقراء إلى الله؟ وأن الله وحده هو الغني الحميد؟ كيف يعبدون الله وهم يعلمون أن الله غني عن عبادته من غيره؟ كيف يصلون الله وهم يجهلون أنهم موصولون بالله؟ كيف يرفع الحجاب عن أنفسهم وهم يجهلون أنهم غير محجوبين عن الله، أينما يولون فهم وجهه، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وهو معهم أينما كانوا، وهو معهم في كل نفس؟

إن الله بعيد عنهم بشرف رسوله، ولكنه قريب إليهم بنفسه. {ويحذركم الله نفسه}[12]. إن الله فيهم بنفسه ولكن يطالبهم بالإيمان برسوله لأن في الإيمان برسوله كشفا لعظمته فيما يخلق، وفيما يبدع، وفيما يهب. هو كشف لعظمته فيما يعرف، وكيف يعرف.

إنه يدعوهم للإيمان برسوله. يا أيها الذين آمنوا بأني معكم، بأني من ورائكم محيط.. يا أيها الذين آمنوا آمنوا بأني قائم على كل نفس بما كسبت. يا أيها الذين آمنوا بأني أقرب إليكم من حبل الوريد.. يا أيها الذين آمنوا بأني المشهود أينما تولوا وجوهكم.. يا أيها الذين آمنوا بي اتقوا الله، اتقوا من آمنتم به، اتقوا ما عرفتم من الحق فيكم، اتقوا ما عرفتم من الله في الوجود، اتقوا الله الذي عرفتم، واطلبوا منه ما لم تعرفوا منه، اطلبوا منه ما غاب عنكم بعظمته، اطلبوا منه ما لم يصلكم من رحمته، اطلبوا منه ما لم تدركوا من عطائه، {اتقو الله وآمنوا برسوله}[13].

إن آمنتم برسوله فلا قيامة ولا بعث ولا ساعة. إن إيمانكم برسوله هو ساعتكم. إن لمحة إيمانكم برسوله إنما هي أمره. وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر أو هو أقرب. {يسألونك عن الساعة أيان مُرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها}[14].. لهم فيك أسوة، ولو بك تأسوا فانتهوا إلى ما انتهيت إليه، لقام فيهم ما قام فيك، ففيم تقوم القيامة؟ إن هذه هي القيامة.. {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[15]. إن الذين بايعوك إنما بايعوا الله على أنفسهم فبايَعهم الله نفسا بنفس. محاهم عن أنفسهم، وقتل أنفسهم ذبيحة في مرضاته فكانت عليه ديتهم وكانت نفسه ديتهم فبادلهم عن أنفسهم نفسه نفسا بنفس.

أحبهم فأحبوه ورضيهم فارتضوه. طلبهم فطلبوه، ووجدهم على ما أراد فوجدوه على ما أرادوا. (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)[16]. {خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين}[17].. ناداه أن ادخل في السلم. يا أيها الناس لمَ تخاصموني؟ لمَ تحاربوني؟ لمَ تحاجوني؟ ادخلوا في السلم معي. {ادخلوا في السلم كافة}[18].. فإذا سالموا الله ووجدهم مسالمين كانوا ما طلب من الناس أن يكونوا له عبادا على ما خلقهم وأراد بهم أن يكونوا له عابدين، فعبدهم لمعرفته ولنفسه فكانوا وجوها لمن لا شريك له. فلا شريك له من نفوسهم ولا من وجودهم ولا من إرادتهم ولا من تدبيرهم ولا من تصويرهم.

{وإن الدين لواقع}[19].. (ولو اطلعتم الغيب لاخترتم الواقع)[20].

بهذا جاء محمد للناس. جاءهم بدين البحث عن العقيدة صادق البحث. وجاءهم بعنوان الطريق صادق السلوك، ثم جاءهم بنهاية المطاف يحبون الله ويحبهم. يرتضون الله ويرتضيهم. وبذلك تنتهي معاني الدين والدين إلى معاني اليقين والعين، فيعرف الناس أن قبلتهم في قلوبهم، وأن حجهم لأنفسهم، وأن صلاتهم لمعانيهم، وأن صلتهم بحقائقهم، وأن الله على ما عرفوا وعلى ما قاموا فيه كتبا له، وموجودا في وجوده، وإنسانية لمعاني إنسانه في حياتهم الدنيا وفي حياتهم الآخرة.

هذا ما جاء به محمد على جماع، وجاء به الرسل على تتابع، لا فرق بين ذاته وذواتهم، ولا نقص في ذواتهم عن ذاته. إنهم في آدم، وإنهم من آدم، وإنهم إلى آدم، وإنهم لأوادم.

هذا هو الدين. وهذا ما تأتي الروحية اليوم لتكشف عنه على جماع، لتجدده على جماع، لتنفض الغبار عنه على جماع. تنفض الغبار عن ملة بوذا، كما تنفض الغبار عن ملة محمد، كما تنفض الغبار عن ملة عيسى، كما تنفض الغبار عن ملة موسى. وإذا نفض الغبار عن ملة الأنبياء وحكمة الحكماء لوجد الناس أنهم في ملة واحدة، وحقيقة واحدة، ودين متصل الحلقات، جمعه الحق ولا يجمع هو الحق. الحق جماعه والحق حقيقته وإبداعه.

فالأنبياء المؤسسون للأديان ما كانوا في الله وفي بيت الرحمن إلا لبنات (وما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي إلا كبناء تم لم تنقصه إلا لبنة فكل من رآه قال ما أجمله لولا نقص هذه اللبنة أنا لبنة البناء)[21].

لا تفاضلوا ولا تفرقوا بيني وبين الأنبياء من قبلي. لقد حذرنا الرسول كثيرا من ذلك. لقد نهانا عن التعصب له وعن مخاصمة الأنبياء وأُممهم. لقد عرفنا أنه والأنبياء وأممهم ما جاء وما جاءوا إلا بالحق، وأنه ما جدد الا ما غفل عنه في أمم الأنبياء من قبله. {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى}[22]. (قوم أناجيلهم صدورهم)[23]. {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[24]. {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[25].

إذا كنا في هذا فنحن في صورة من صور الدين، ونحن طبعا نطلب أن نكون دائما في الصورة الأرقى من صور الدين. ولكن الرسول يسر لنا أن نبدأ بالأيسر والأقل، ولكنه طلب منا أن لا نقف مع الأيسر والأقل. {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[26]، يتواصون بالحق ويتواصون بالصبر، فقد أمرنا أن نتباحث في الحق وأن نطلب أحسن الأحوال وأحسن المقامات منه، وأن نجعل من دنيانا مزرعة لأخرانا، وأن نموت قبل أن نموت فنعيش مع الموتى لنكون من المؤمنين.

كل هذا جاءنا به محمد رسول الله فغفلنا عنه طورا، وتغافلنا عنه أطوارا، وانتقضناه طورا، وانتقضنا عليه أطوارا. وهكذا حتى غابت عنا معالم الدين، وحتى غابت عنا معالم الحق ودخلنا فيما دخلنا فيه من جاهلية قبل بعثه.

ها هو الزمان يستدير على هيأته كيوم بعث الله رسوله بالحق في صوت من السماء يناديا أن لبوا نداء الله ـ وقد ناداكم على ألسنة رسله ـ وإنا هنا لنلبي هذا النداء، ونلبي هذا الصوت، ولا نضع أصابعنا في آذاننا حذر الموت، لا بل نقبل على الموت، ونتعلم الموت فنتعلم الحياة فنحيا بموت أنفسنا، وبعث الأحياء فيه في أنفسنا منه لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم إنا نستغفرك، ونسترحمك، ونستهديك. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم إنك أرحم بنا منا، وأعلم بنا وأقرب إلينا منا، اللهم خذ بيدنا، وعلى أنفسنا فانصرنا، وباعد بيننا وبين كل ما يباعد بيننا وبينك. اللهم وفقنا لما تحب وترضى، ويسر لنا سبيل ما تحب وترضى، وأقمنا فيما تحب وترضى، واحفظنا على ما تحب وترضى، وابعثنا على ما تحب وترضى لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم فأنزل سكينتك على قلوبنا. اللهم عافنا من إقامة عدلك فينا. اللهم عاملنا بعفوك ورحمتك. اللهم ادفع عنا. وأنزل السلم والسلام على أرضنا.

اللهم باعد بيننا وبين ما يباعد بيننا وبينك من خصام، ومن حرب، ومن تقاتل. وألف اللهم بين قلوبنا، وبين نفوسنا، وبين عقولنا، وبين ذواتنا، وبين موجوداتنا. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(تذكروا دائما أنكم ـ أنتم الأصليون ـ وأنكم روح ولستم جسما. وتذكروا أن تعلمكم لهذا الدرس من الصعوبة بمكان ما دمتم متجسدين وما دمتم في العالم الفيزيقي. ولكن أنتم الأصليون ولستم المادة. ولا يمكن أن تظلوا إلى الأبد متأثرين بالأشياء المادية. ولو أنكم قد تخضعون الروح مؤقتا، وقد تسيئون إليها أو تؤلمونها مؤقتا، إلا أنه لا يمكنكم أن تحطموها، لا يمكنكم أن تطردوها من الوجود)

(عليكم أن تتعلقوا بقوانين الحقيقة التي تدور حولها كل حياتكم في ذاتها، والتي يدور حولها كل العالم نفسه، وهي المفاتيح الوحيدة لحل لغز الوجود.

إن قوة الروح هي الحقيقة. وهي مقيدة بالوسطاء الذين تحت تصرفها. ولو وجدت آلافا أكثر من الوسطاء لأمكن إنجاز عمل كثير أعظم. فهذه القوة تبذل تأثيرها في حدود الوسطاء الذين تعطونها إياها)

من حديث للسيد الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

1 من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه. كما أخرجه الطبراني.

2 حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.

3 من الحديث الشريف: "بيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بِهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

4 سورة العنكبوت -69

5 سورة الحجر -9

6 سورة يوسف -108

7 سورة الأنعام -153

8 حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعَتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

9 حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.

10 مقولة صوفية.

11 سورة الأنعام -91 سورة الزمر-67

12 سورة آل عمران -30 , سورة آل عمران -28

13 سورة الحديد - 28

14 سورة النازعات – 42- 44

15 سورة الفتح - 10

16 عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

17 سورة النحل - 4

18 سورة البقرة - 208

19 سورة الذاريات - 6

20 مقولة من الشائع أنها لعمر بن الخطاب بلفظ: "ولو أنّ الله كشف لنا حُجب الغيب، ما اختار إنسان لنفسه غير ما اختاره الله له". لكن لم نجد لها سندا.

21 إشارة إلى الحديث الشريف: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين." أخرجه البخاري ومسلم

22 سورة الأعلى -18:19

23 من الحديث الشريف: "صِفَتِي أحمدُ المتوكّلُ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئُ بالسيئةِ، مولدُه بمكةَ، ومُهاجرُه طَيبةُ، وأُمَّتُه الحمَّادون، يأتزِرون على أنصافِهم، ويوُضّؤون أطرافَهم، أناجيلُهم في صدورِهم، يَصفّون للصلاةِ كما يصفُّون للقتالِ، قربانُهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دعاؤُهم، رُهبانٌ باللَّيلِ لُيوثٌ بالنَّهارِ". أخرجه الطبراني.

24 سورة الزخرف -57

25 سورة محمد -1:2

26 سورة الزمر -18

(٢٤)

(هذا الدين القيم)

حديث الجمعة

٨ شعبان ١٣٧٩ هـ - ٥ فبراير ١٩٦٠ م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وباسم الله أستعين. أحمده.. أحمده.. حمدا دائما أزليا. منه إليه. وأستغفره من شرور وجودي، ووهم موجودي. لا موجود بحق إلا هو. عنت له الوجوه ـ الحي القيوم ـ. لا تأخذه سنة، ولا يتسلط عليه نوم. قائم على كل نفس بما كسبت.

عباد الله.. ممن أشهد ولا أشهد. وخلق الله ممن أدرك ولا أدرك. اذكروا الله قائما عليكم في قيامه على كل نفس من ورائها محيط لها أقرب من حبل الوريد. واذكروا أن له بين جوانحكم بيتا لا تملكونه، ويحول بقدرته دونه ـ هو قلوبكم ـ. إليها فاتجهوا وعليه قائما قيوما بها فاعتمدوا، واجعلوا من جوارحكم عبادا له يحجون إلى بيته، ويستقبلون قبلته، ويطمعون أن يكونوا من أهل حضرته.

يا أيها الناس.. أما آن لكم أن تستيقظوا إلى هذه الحقيقة البسيطة؟ أما آن لكم أن تصدقوا أنها حقيقة؟ أما آن لكم أن تفرقوا بين أجسادكم ومعانيكم؟ أما آن لكم أن تطالعوا قرآن الله فيكم؟ أما آن لكم أن تأخذوا كتبكم بأيمانكم؟ أما آن لكم أن تنقلبوا بجوارحكم وأحاسيسكم إلى من هو من ورائكم محيط، فتشهدوه فيما أمامكم مما يشغلكم من الوجود؟ فهو الذي من ورائكم، وهو الذي يُشهد أمامكم، وهو الذي عن أيمانكم بما كسبتم، وهو الذي عن يساركم بما انزلقتم، وهو القديم الجديد في معاني القدم والجدة من معانيكم.

يا أيها الناس.. حتامَ يشغلكم الحديث عن غيركم وعن أمر غيركم ولا يشغلكم حديث أنفسكم وأمر أنفسكم؟ إذا اجتمعتم على رفيق في نجوى فلا حديث لكم إلا بنميمة أو بحقد أو بحسد. تتحدثون عن غيركم سليما أو مريضا، مخطئا أو مصيبا، غنيا أو فقيرا، موفقا أو غير موفق، ولا تتناجون في الله، ولا تواصون به وأنتم في نجواكم عن الله هو معيتكم وهو قيوميتكم. وأنتم في نجواكم في الشيطان في مثال على مثال من قيام أهل الرحمن. فريق وفريق. جمع وجمع. فيهما العبد ومنهما الرب. أولئك أولياؤهم

الطاغوت، وأولئك الله رابعهم وجامعهم إن كانوا ثلاثا، وهو معيتهم فيما هو دون ذلك أو ما أكثر من ذلك.

يا أيها الكافرون! يا أيها الكافرون بالله لكم معية! يا أيها الكافرون بالله منكم قريب! يا أيها الكافرون بالله أنتم له وجوه من ورائكم محيط! يا أيها الكافرون بالله أقرب إليكم من حبل الوريد! يا أيها الكافرون بالله أنتم منه من قديم وكنتم منه فيه في أحسن تقويم! يا أيها الكافرون بالله إليه ترجعون وبأنفسكم منه تكفرون، وظلامها يوما تفارقون، ونور الله لها يوما تطلبون، وسراج الله في عالمها يوما تشعلون! عالمان، لهما رب في معيتهم من العالَمَين في معنى الإنسان معية الأشياء، ومن معنى الإنسان معية الرحمن.

إن الإنسان في خلقه لحقه لكنود. وما ربه إلا الإنسان في حقه رب غفور لا يسأل ولا يدين. رحمة للعالمين. عَرَّف نفسه عبدا لنفسه وعرَّف ربه عبدا لربه. عرف قديمه في أحسن تقويم رفيقا أعلى ورفيقا أعلى فطلبه. طالب بالحياة به. والقيام معه. والعدم في وجوده والتوحد في وحدته وموجوده، مُنكِرا على عالمه الضيق من تواجد ذاته عالما وليدا، وعبدا جديدا، وحقا ووجها شهيدا، في طريقه لحياة بعد حياة يستجلبها إليه رسول قديمه من معناه، رسولا لله في مستديمه من متجدد مبناه.

هذا الكلام على وضوحه مجملا، معجم في حال شرحه مفصلا. إن الدين عقائد ومعارف يصل إليها الإنسان بالطلب والتسليم في الإسلام ـ ولكن الناس لا يريدون أن يسلموا.. لا لله.. ولا لرسول الله.. ولا لعباد الله. ولا يسلم الناس لله إلا في إسلامهم لرسوله. وما رسول الله إلا الإنسان الأزلي لمعنى الإنسان. وما ظهور رسول الله إلا تواجده بآدم وتجديده في تواجده بكلمات لله منه إليه عبادا للرحمن، حتى تظهر الوحدة بذات آدم علما واسما، وحتى تظهر صفاته وآياته ومعانيه في تجدداته من كلمات الله فيه. أفاضها عليه قديم معناه وعين وقيوم مبناه. المتكاثر في تكاثره.. المتجدد في تجدده.. المتواجد في تواجده. نعما هو. وتعالى عن الصاحبة والولد فهو الجديد دوما بلا كبد، وهو المتواجد بلا سند، وهو القيوم في الوالد وما ولد، وهو الإنسان بلا عدد.

إن قضية الله في الإنسان، وإن قضية رسول الله في الله، وإن قضية رسول الله في الناس هو ما يدور عليه الدين، وهو ما تدور حوله العقائد، وهو ما تصح به الطرائق، وهو ما يحيا به الخلائق، وهو ما يتحقق به العباد، وهو ما يتربب به الرحمن في مظاهر حقه من الإنسان.

إن الناس ما جاءهم رسول لله إلا كانوا به يستهزئون. {أهذا الذي بعث الله رسولا}[1]؟! هل هو متميز عنا؟ متى قال الرسل أنهم متميزون عن الناس؟ ومتى قالت الحقائق بين الناس أنها متميزة عن الناس؟ إن الناس هم الذين يخاصمونهم ثم بعد خصام فانهزام يميزونهم، حتى يبقوا على أحوالهم فيعبدوهم ـ

ومن دون الله يعددوهم ـ ولو أنهم تابعوهم وصدقوهم فصدقوهم فعاونوهم لحشروا معهم في عوالم الحياة. من عوالم الدنيا إلى عوالم الحق، إلى جنان الحق. لا ترى فيها إلا وجوها لله تشهد وجها لله.. وجوها لله تفنى في وجه لله.. ووجها لله يتجلى لنفسه في وجوه منه. وإن شاءوا حققوا لأنفسهم ذلك وهم في دناهم بدخول حصن لا إله إلا الله مع أهله بمعناهم.

هذا ما جاءنا به الحق من الله رسولا له في جلباب خلق جديد لقديم، هو في جده وجديده بما أنزل إليه من قديمه الحق، فكان بين الناس الحق من الله. {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[2]. بُعثت بينكم بالحق وزهق مني كل باطل. لقد مت بحياة الموت، وبعثت بحياة البعث.. يوما بعد يوم. فقد كان يغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة، أغيان أنوار لا أغيار بها، فأرى في نفسي من الله ما أراد الله أن أحيط بالعلم به عنه.

وها أنا على شدة قرب فيه، وبعث به، وقيام بأمره أقربكم إليه، وأخوفكم منه. أخافه وأرتجيه، وأحمده وأجتبيه، وأصطفيه، لا أرتضي إلا ما يرضيه، ولا أخشى إلا مما يحجبني عنه فيه. أراه ربا للشياطين فأخشى فتنته. وربا للرحمانيين فأرجو رحمته.

(وها أنا رسول الله بينكم ولا أدري ما يفعل الله بي غدا)[3].

ها قد أعلمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وجعل مني مدينة للعلم. وجعل من عليّ بينكم بابها. ومع ذلك فقد أعلمني أنني لا أعلم الغيب (ما قلت لكم قيل لي فصدقوني فإني لا أكذب عليه وما قلت لكم أني أرى فالرأي يخطئ ويصيب)[4]، فاعملوا عقولكم معي.

ها قد جعل بي منه لكم أُسوة. ضرب بها بينكم لكم مثلا. ها أنا ذا روح القدس بينكم، وقد كان بالأمس أخي عيسى بينكم لبنوة الروح وامتدادها إلى عالمكم مثلا، جعل بينكم لنورها فيكم مُثلا، كما جعل بينكم لحقها مثلا. جئتكم اليوم بجماعه وبحضرة اجتماعه. جئتكم برحمة الله كلها مفتحة أبواب حضراتها للعالمين. جئتكم برحمة مهداة جعلت لأنفسكم طهرا وزكاة. وهيأ الله بها بينكم لامتداد نوره، وهو نور السماوات والأرض وما فوقها وما قبلها وما بعدها وما تحتها.

ما جاء رجل قومه بخير مما جئت. وما استقام رجل قبلي في أمره بأفضل مما به استقمت. (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[5]. وإن الأقوم مما أنا عليه مستقيم إنما هو بعثي بينكم بمقام بعد مقام أرجوه ـ وقد وعدنيه ـ. فالأقرب مني ليس سواي. والأكبر مني ليس غير معناي. وما كان آدم في جديده الموعود إلا مظهري وقيامي بالحق المشهود أنا له إنسانه. وأنا من قديمه مسيح عيانه، وأنا رجل جنانه كما أنا عبد سلطانه.

فما الجنة والنار، ومأموري وأمري، ومعناي وحقيقتي، من دنياي وخليقتي، إلا أوصافكم وحقائقكم، ومعانيكم ومبانيكم.

اعبدوا الله على ما أراد الله.. اعبدوا الله على ما أراد أن يعبد معي لتكونوا في الله عيني، وحتى لا يفرق الله في يوم بينكم وبيني...

أمد لكم موائد الحق تطعمون، وأنصب لكم أحواض الحق تستقون. وبمعناي في عين معانيكم تنشدون هكذا تفعلون. فموائد الحق في موائدكم تمدون، وأحواض الحق في أحواضكم تفيضون ـ ما كنتم مني فكنت منكم ـ عبادا لله يشهدون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، ويقومون في الناس بالله ورسوله. أمة وسطا الرسول عليهم شهيد، وهم على الناس شهود، لا عن سعي في الله قعود، ولا في نكوص عن الطريق وعن العمل وعن الكسب جحود. ليس بهم رجوع بقديم، أو تواكل عن قويم، وتراخ عن مستديم.

أمة وسطا يرون العمل حقا، وأنه بهم يليق على ما هو عليهم مفروض. لا ينتظرون للعمل جزاء لأنهم رأوه حقا. فإذا دخلوا حياة الجزاء، لا يقعدهم الجزاء عن العمل، بل يواصلون الحياة العاملة بحياة الجزاء فعلا للحق وقياما به مستديم. يُبعثون من قبورهم في قبور معانيهم من ذواتهم ليبعَثوا الناس من مقابرهم من قبر قلوبهم. (عذاب أمتي في قبورها)[6] . يُبعث المرء على ما مات عليه، {كما بدأنا أول خلق نعيده}[7] ـ {إن كنتم في ريب من البعث}[8] ـ {إنه على رجعه لقادر}[9] عذاب أمته ما عرفوا الانتساب إليه. إنما يبعثون في حياة قبورهم من مظاهرهم من الأجداث يعني رسول الله أنهم يبعثون في حياتهم من وراء المنظور من عالم الأرض، تنشق عنهم الأرض في هذه الحياة مرة وأخرى معه، وأنهم في هذه الحياة من حياة الجزاء والنعمة لا يجزعون مما فيها من ضر ولا يركنون إلى ما فيها من نعمة، ولكنهم يجتمعون عليه.. عليه الصلوات - وهو الذي به تكون الصلات وله المكث- فيدركون ما فاتهم في سابق ويطلبونه ويعملون له في الحاضر فيكون لهم في لاحق ـ في مصاحبة ـ. فيأتي بهم حياة الكسب والجزاء في الدارين.. يأتي بهم حياة العمل.. يأتي بهم في ظلل من الغمام.. يأتي بهم في حقائق من القيام.. يأتي بهم في أجهزة من النيام.. يأتي بهم في ركب من النور، هو فيه رب النور. وهو فيه الحق الجهر المستور. يأتي بهم متخلقا بأخلاق الله على ما عرف منه. {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[10]. يأتي بهم في ركب يجدد به رسالته، ويقيم الله به في الناس عنايته بشرا رفع ذكره، بشرا جعل له الخلد. يأتي بهم إلى الناس بما أنكر الناس عليه وعلى قومه، وعلى أحبابه، وعلى وجوهه، وعلى وجه الحق فيه. يأتي إليهم بالحق الذي جحدوه، وبالقيام الذي أنكروه، وبالوجود الذي إن شاءوا كسبوه وإن شاءوا فقدوه. يأتي بهم أرواحا ويأتي بهم أشباحا {وقل الحق من ربكم}[11].

إن رسالة الإسلام.. إن رسالة محمد جديدا لكل قديم من رسل الله باعثا في بيئته وفي أمته قديم المرسلين.. قديم الحكماء والمحكمين.. قديم الأمر من الآمرين والمأمورين.. حجر زاوية للبشرية لا بداية لها ولا انتهاء لها، في ربوبيته لا أول لها ولا آخر لها، من ألوهيته لا غيب لها ولا إحاطة بها {دينا قيما}[12] طلب إلى الناس أن يلجوه في رفق، وأن لا يدخلوا عليه في عتو من أنفسهم بوعي من وعي، أو زعم من عقل. طلب إليهم أن يبدأوا الوعي من أنفسهم، وأن يفيدوا مما أفاد رسول الله بتجربته في نفسه، وأن يتابعوه على ما فعل من مولده حتى تجدد بشبحه، وقامت عليهم روحه.

ولكن الناس يريدون أن يتذاكروا واهمين أنفسهم محيطة بالمعرفة برسول الله قبل أن تبدأ قلوبهم الحياة. لا بل يتجاوزون رسول الله إلى ربه ويريدون أن يتحدثوا في ربه متجاهلين أو متجاوزين أو مستكبرين على الحديث في رسوله - وهم في حديثهم عن الرسول أعجز- وكذلك في حديثهم عن ربه أعجز وأبعد. ولو أنهم جعلوا وقصروا حديثهم على التحدث عن أنفسهم وعن معانيهم وعما يصح أن يكون لهم من الله وعن مراقي الحياة يرقونها طبقا بعد طبق إلى المثل الأعلى منهم يرفعون وينشدون، وأنهم المثل الأعلى في الله فيهم لهم دون من فوقه عن إدراك فيه ليعجزون، وإن رأوه ينكرون ويخاصمون ويمزقون وعنه يصدون...

ألا ينظرون في أنفسهم ليشهدوا آلاء الله تترى فيما أوجد فيهم وفيما أبدع لهم! من طرق الحياة استجابت له الحياة، ومن وهم الحياة امتد في وهم الحياة. وإن أحواض الحياة في الناس من بينهم حفظها الله ووعدها تتجدد في تجددهم، وتبقى في بقائهم، وأنه كلما أظلمت عليهم الدنيا بما ينفثون من ظلام أنفسهم أشعل الله جذوة في قلب رجل منهم، أحياه ربه فأحياهم -وما يشعرون-.

(المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[13]. (المؤمن مرآة المؤمن)[14] فلينظر أيكم إيمانه في وجه من يحب. وليعلم أن الله لا يقطع عن الأرض عباده، أو كلماته، أو روح قدسه، أو ذوات مباركة منه بامتداد نوره معانة بقدرته، ميسرة بأمره لخدمة الناس من المؤمنين به والطالبين له.

كل هذا وأكثر منه جدده في الناس للناس من قديم للناس محمد الناس. فمن من الناس سلك الحياة على ما أرادها له محمد؟ عبد الله وعنوان رضائه لمعاني العبودية له. يقوم فيها الناس ويعملون لكسبها بمنة الله واصطفائه.

إن محمدا علَّم الناس أن يعملوا لأن العمل هو ما يليق بهم، وعلى ما فرض الله، وأن العمل من جانبهم لا يقتضي من الله مقابلا لأنه ما تم إلا بتيسيره، وما تم إلا بإرادته، وما وجد إلا بتوفيقه وهديه فهو منه مِنَّة. وإن الله على ما يليق به إنما يمُن على العباد بما يَمُن به مَنَّا غير معلول من عمل.. مَنَّا غير مقدور

بمقابل.. مَنًّا من الله المانّ عطاء غير مجذوذ، والله في مِنَّته لا يُمن على عباده وله المِنَّة فهو من كمال فضله يمُن في ثوب الكسب. ويتفضل في وصف الجزاء. كما لا مِنَّة لنفسه. وقياما له بوحدانية عينه.

كل هذا جاء به محمد عبده ورسوله، في تَعبيد الناس أنفسهم لربه متابعين له على مثال من فعله وقوله، وعلى ما أبرز نفسه معبَّدة له بعثا وكسبا، حتى يعرف الناس به معنى البعث ومعنى الكسب، وحتى يعرف الناس به معنى الساعة ومعنى القيامة.

لو لم تذكر الأديان من قبله لفظ الساعة ما ذكرها رسول الله.

لو لم تذكر الأديان من قبله لفظ القيامة ما ذكرها رسول الله.

ولكن الناس التووا عن أنفسهم كما التووا عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن قوله وفعله فحرفوا الكلم عن مواضعه، وألفوا وأخرجوا ورسموا للناس ساعة من وضعهم ما وضعها الله، وقيامة من خلقهم وقيامهم ما خلقها أو بلغها الله، وجنة ونارا من وصفهم وتدبيرهم ما هدى بها الله.

لا تلمس قلوبهم نور كتابه، ولا تمتد أنفسهم من روح قدسه، ويقيمون أنفسهم على الناس آلهة ورسلا ودعاة وخزنة لجنان ولدور لنار.

يقول أحدهم جالسا مجلس الله (قويكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق منه وضعيفكم عندي القوي حتى آخذ الحق له)[15].. فيصفقون ويسجدون ويباهون به ويعظمون.

سبحانك! سبحانك! ما أجل شأنك! أبهذا هدى رسول الله؟

(ربما كان أحدكم ألسن بحجته فأقضي له فليتق الله)[16]. أم بهذا أمر رسول الله؟ أخلافة عن عبد تابعتموه؟ أم خلافة عن رب وصلتموه؟ إنها النفوس تزعم العلم والقدرة، وتزاحم أهل الحق على مجلسهم من خدمة الناس فتصد عن السبيل.

سبحان الله! سبحان الله! أإله غير الله من أنفسكم تقيمون! وخلقا لا عبدا له تسجدون! وعبد القبلة وسيد القبلة تقلون! ووجوهه من بيته تظاهرون! ووجه المادة والشيء يجري في دمائكم تستقبلون! سبحان الله ورسوله عما تصفون! {يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون}[17] إني على بينة من ربي فلن أعبد ما تعبدون. وإني على بينة من أمركم فلن تعبدوا ما أعبد. {كل حزب بما لديهم فرحون}[18].

إني لأشهد ما لا تشهدون، وإني لأشهدكم وما تعبدون. أإذا فارقتكم وما تؤلهون فعليَّ وزري ولكم إيمانكم على ما تعتقدون!

سبحان الله! لا قوة إلا بالله! أحكم أمره ودبره، ويسر طريقه وقدره. فريق للجنة من جنان وجهه الكريم مع عباد الرحمن، وفريق للسعير من منهاج وجه عدله المستقيم مع وجوه النصب والسعي والشقاء من عباد الدنيا والشيطان.

{ولكل وجهة هو موليها}[19] فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الطريق المستقيم إلى الرحمن، بالرحمن، مع الرحمن وعباده نستقيم.

لا نرى لوجه الله فينا قدما فيؤسف. ولا نرى له جديدا فينتظر. ولا نرى له غيبة فيجحد. ولا نرى فيه نقصا فيختبر. لا إله إلا هو. هو الحي القيوم نحمده ونستعينه ونشكره ونستزيده. لا إله لنا غيره ولا موجود بحق إلا هو. سبحانه وتعالى عن الوصف وسبحانه وتعالى عن الغيب وسبحانه وتعالى عن الشهود.

اللهم يا موجود في وجودنا.. يا من هو أقرب إلينا منا.. ويا من هو أدرك بنا عنا.. اللهم فارحمنا وخلصنا من شرور أنفسنا ومن شرور الأشرار من خلقك.

اللهم قوم فيك سبيلنا، وقوم بأمرك أمرنا، وارحمنا برحمتك المرسلة بنا ولنا، لا مؤاخِذةً بظلمنا، غافرة لتقصيرنا، مقاربة مدانية لعجزنا.

اللهم إنا نشهد بك لنا فعلها. اللهم صلها في مزيد. اللهم جددها في قديم جديد. اللهم ارحمنا بها وارحم بها عبادك، وأجزل بها عطاءك، وعمم بها أمرك، ويسر وأعلِ بها في الناس حكمتك. اللهم ولِ بها أمورنا خيارنا ولا تولِ بعدلك بها أمورنا شرارنا.

اللهم عاملنا بعفوك ولا تعاملنا بعدلك.

لا إله إلا أنت رسولك قبلتنا ولكلماتك فينا محبتنا. اللهم بنا منك فارحمنا وبهم فينا فأشهدنا. لا إله إلا أنت إنا كنا من الظالمين.

وفي الصلاة الأزلية القائمة لك أقم صلاتنا وصلاتنا.

أضواء على الطريق

- من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش:(يجب أن لا تُقسموا عالمكم إلى أقطار أو شعوب. يجب أن تسعوا لتتعلموا أن الجميع وجوه للروح الأعظم، وأن الجميع أطفاله مهما فصلت بينهم البحار والجبال والمسافات).

- (إني أُصر أنه يوجد في دخيلتكم المعرفة المعصومة عن الخطأ والصواب في أي موقف تجابهونه مهما كان معقدا في أي دور من حياتكم الأرضية).(الصواب بالنسبة لبعضكم قد يكون خطأ بالنسبة لبعض آخر لأنهم ليسوا في نفس المستوى من التقدم الروحي). (إن الشخص المدني المسالم قد يكون في دور من التقدم أعلى أو أسفل من الرجل العسكري المحارب. ولكن كلاهما قد يكون على صواب وإن كانا يمثلان فلسفتين على طرفي نقيض).(دع الفرد يقر وينفذ ما يمليه عليه دافعه. دعه وحيدا مع نفسه وقد تخلص من كل نوازعه، من كل فكرة خوف أو جبن. اتركه ينصت لصوت ضميره الذي حددته حالته من التطور الروحي، إنه لن يخطئ أبدا ولن يتردد أبدا).

مصادر التوثيق والتحقيق

1 سورة الفرقان -41

2 سورة الإسراء -81

3 حديث شريف: "واللَّهِ ما أدرِي - وأَنا رسول اللَّه - ما يفعل بي ولا بكم." صحيح البخاري.

4 استلهاما من الحديث الشريف عن حادثة تلقيح النخل: "إنما هو ظنٌّ ظننتُه إنْ كان يُغني شيئًا فاصنعوا فإنما أنا بشرٌ مثلُكم والظنُّ يُخطئُ ويُصيبُ ولكنْ ما قلتُ لكم قال اللهُ عز وجل فلنْ أكذبَ على اللهِ." أخرجه أحمد في مسنده.

5 حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسَّرَقُسْطِيِّ في كتابه" الدلائل "، والسيوطي في كتابه" الجامع الصغير"، وابن السمعاني في" أدب الإملاء "، وأبو نُعَيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.

6 إشارة إلى الحديث الشريف: " إنَّ هذِهِ الأُمَّةَ ستُبتَلَى في قبورِها فلَولا أن لا تَدافَنوا لدعَوتُ اللَّهَ أن يُسْمِعَكم عذابَ القَبرِ، ثمَّ أقبلَ علَينا بوجهِهِ فقالَ: تعَوَّذوا مِن عذابِ النَّارِ تعوَّذوا مِن عذابِ القبرِ." أخرجه مسلم

7 سورة الأنبياء - 104

8 سورة الحج - 5

9 سورة الطارق - 8

10 سورة الرعد -41

11 سورة الكهف- 29

12 سورة الأنعام - 161

13 حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

14 حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

15 من حديث الخليفة أبو بكر الصديق حين بويع بالخلافة.

16 من الحديث الشريف: " إِنَّما أنا بَشَرٌ وإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأَقْضِي علَى نَحْوِ ما أَسْمَعُ، فَمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أَخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإِنَّما أَقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّارِ. " أخرجه البخاري ومسلم.

17 سورة الكافرون -2:1

18 سورة المؤمنون -53, سورة الروم -32

19 سورة البقرة - 148